



فِي مَوَكِبِ السَّيْرِ النَّبَوِيِّ

أو
فِي بَيُوتِ الرَّسُولِ ﷺ

تأليف
الدكتور محمد المختار ولد أباه الشنقيطي

1405 هـ - 1984 م

طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر إحياء التراث الإسلامي
بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.



فِي مَوْكِبِ السَّيْرِ النَّبَوِيِّ

أو

فِي بَيُوتَاتِ الرَّسُولِ ﷺ

تأليف

الدكتور محمد المختار ولد أباه الشنقيطي

1405 هـ - 1984 م

طبع هذا الكتاب تحت إشراف اللجنة المشتركة لنشر إحياء التراث الإسلامي بين حكومة المملكة المغربية وحكومة دولة الإمارات العربية المتحدة.

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

الحمد لله رب العالمين
والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على سيد المرسلين وعلى آله
وصحابته أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فهذا كتاب في موكب السيرة النبوية، تأليف الدكتور محمد
المختار ولد اباه. وهو من الكتب القيمة التي تضيف إلى المكتبة الإسلامية،
دراسات وبحوثا مستفيضة في حياة النبي ﷺ، وفضائل زوجاته ومكارم
صحابته من مهاجرين وأنصار.

وينقسم الكتاب إلى ما يلي :

مقدمة يتناول الكاتب فيها حياة النبي ﷺ، منذ نشأته يتيما من
أبيه، رضيعا في بني سعد بن بكر، حيث يفقد أمه بعد ست سنوات من
ميلاده، فيقوم بكفالاته جده عبد المطلب سنتين، ثم يحتضنه عمه أبو
طالب، إلى أن يبلغ سن الرشد.

ويشير الكاتب إلى أن النبي ﷺ في هذه الفترة، ظل بأعين ربه،
يرعاه في حله وترحاله، فحبب إليه الخلاء والتحنث والتفكر في ملكوت
السموات والأرض، فكان ذلك سبب هجره للمجتمع الضال المنحرف،
وابتعاده عن مجالس اللهو والمجون المنتشرة في مكة، وعزوفه عن مسامرة
فتيان قريش.

وتتضمن هذه المقدمة، وفي إيجاز وعمق، بدء النبي ﷺ، بتبليغ
الدعوة والجهربها، وما وعد به من النصر والعصمة، وما لقي من أعداء
الدين من كيد وسخرية واستهزاء، واعراض عن الحق، إلى أن جاءت
الهجرة النبوية، لتبرهن على أن الإسلام ليس مكيا ولا قرشيا، وإنما هو
دين الله الذي ارتضاه للبشرية جمعاء.

وقد حرص الكاتب على أن يشير في كل مناسبة إلى خلق النبي ﷺ وشمائله، وما وهبه الله من قوة وصبر وإيمان ووفاء، مما جعل منه نبي الرحمة والرفقة، ورسول الوفاء والعهد، مشيراً في كل ذلك إلى الآيات والأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع.

وبعد هذه المقدمة، يخلص إلى القسم الأول من الكتاب، وقد خصصه لأهميات المؤمنين وللظروف التاريخية التي أحاطت بدخولهم في بيوت النبي ﷺ، وعن عشرته هـن، وما كان هـن من مواقف خالدة، وما امتزن به من فضائل وشمائل وجهاد في سبيل الله.

وينتقل إلى القسم الثاني من الكتاب، فيستعرض فيه حياة نخبة من المهاجرين الأولين، الذين أخرجوا من ديارهم، يبتغون فضلاً منه ورضوانا، فيذكر بمواقفهم وبطولاتهم ومصيرهم وجهادهم بأنفسهم وأموالهم، وما خصهم الله به من خصائص الفضل، ومميزات الاصطفاء والاجتباء.

أما القسم الثالث، فيخصصه للأنصار الذين نصرُوا النبي ﷺ وآووه، ودافعوا عن الإسلام، وتلقوه بقلوب أشرق الإيمان فيها، ونفوس امتلأت حبا لله ورسوله.

فتتابعت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، مشيرة إلى جهادهم وإلى فضلهم في الإسلام، حتى كان حبهم من الإيمان.

هذا هو كتاب «في بيوتات الرسول» أو في موكب السيرة النبوية الذي تتشرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالملكة المغربية، وشقيقتها وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة الإمارات العربية المتحدة بأبي ظبي، أن تقدماه إلى القراء الكرام عموما، وإلى الباحثين والطلاب خصوصا في إطار الصندوق المشترك بينهما، لآحياء التراث الإسلامي الذي وضع أساسه رائدا البعث الإسلامي أمير المؤمنين، جلالة

الملك الحسن الثاني أيده الله ونصره، وأخوه سمو الأمير الجليل الشيخ
زائد بن سلطان آل نهيان حفظهما الله، أمين، وهو تعالى حسبنا ونعم
الوكيل، والحمد لله رب العالمين.

وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية
الدكتور عبد الكبير المدغري العلوي

بسم الله الرحمن الرحيم

(1) مقدمة :

«في موكب السيرة النبوية» مشاهد يحلو للمؤمن أن يراها وأن يتصفحها. وصفحات يطيب له أن يقرأها، وأن يعيد قراءتها. آيات نزلت من السماء إلى الأرض لتزيد أولي الألباب إيماناً و يقيناً، ومواقف تذكى العواطف وتبعث على اكمال مكارم الأخلاق، وحكمة سنت شرعة ومنهاجا لتحقيق الانسجام بين العاطفة والعقل.

نرى من خلال هذه المشاهد الأسباب التي امتدت بين الرب وبين العبد، بين الخالق وبين البشر. فنرى كيف بعث الله سبحانه بشرا رسولا، وأوحى إليه كلامه بلسان عربي مبين، وأمره أن يدعو إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونرى كيف واجه هذا الرسول رسالته، وكيف آمن بها، وكيف كان يحمل ثقل القول الذي ألقى عليه، وكيف واجه المصاعب التي اعترضته، آمن محمد بأن الله معه، يسمع ويرى. يأمره أن لا يستئيس، وأن لا يضيق صدره بالرسالة، وينزل عليه الفرقان على مكث ليثبت فؤاده، ويحذره من الجهل والشرك، ويقول له حينما يتضايق من تكذيب قومه «إنما الآيات عند الله» (1)، وأنه كرسول، لا يستطيع أن يأتي بآية إلا بإذن ربه، ولو ابتغى نفقا في الأرض، أو سلما في السماء ووعدته بالعصمة، وعصمه من الناس ووعدته بالنصر ونصره على أهل الشرك.

(1) الآية 109 من سورة الانعام.

لقد أردنا في هذه الصفحات أن نستعيد من ذاكرة التاريخ، في فصول موجزة مواقف حياة رسول الهجرة، ثم حاولنا أن نبسط القول عن بيوت النبي، ونعني بذلك الحديث عن أمهات المومنين، وكيف كانت عشرة الرسول هن، والظروف التاريخية التي أحاطت بدخولهن في بيوته، راجين بذلك أن نتفهم الصلة بين الحياة البشرية والحياة النبوية.

ثم ننتقل إلى الكلام عن السابقين من صحابته. عن أولئك الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق، إلا أن يقولوا ربنا الله، وهم المهاجرون الأولون، ثم عن (الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم، ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا). وهم الأنصار، الذين ظهرت على أيديهم معجزة الإسلام، وتحققت فيهم مواعيد الكتاب الذي لا ريب فيه. ها هم هؤلاء، الذين أردنا أن نستعيد ذكرياتهم بعد 14 قرناً من حياتهم، لعلنا بهذه الذكريات ندرك أمثلة من حياة البشر، عاشها أصحاب الرسول من مهاجرين وأنصار بين يدي الله ورسوله، وينظر الله إلى أعمالهم ويعلم ما في قلوبهم، فيرضى عنهم ويثبتهم ويعدم الفتح القريب. راجين أن نكون من «الذين جاؤوا من بعدهم يقولون»: ﴿ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم﴾.

(2) رسول الهجرة :

إنه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، صفوة بني هاشم بن عبد مناف، وهم صفوة قريش، وقريش من خيرة كنانة، وكنانة من خيرة العرب.

نشأ محمد يتيماً من أبيه، رضيعاً في بني سعد بن بكر، وما هي إلا سنوات ست حتى فقد أمه، أمنة بنت وهب، فكفله جده عبد المطلب بن

هاشم سنتين (2)، وبعده احتضنه عمه أبو طالب حتى بلغ سن الرشد. في كل هذه الفترات كان بأعين ربه، يرعاه في حله وترحاله، يأويه في خلواته، فحبب إليه الخلاء والتحنث، والتفكر في ملكوت السموات والأرض.

بدأ الهجرة الأولى إلى الله وهو في ريعان شبابه، فهجر مجالس اللهو والمجون التي اعتادها فتيان أهل مكة (3)، وظل دائم التفكير، متعبدا في صلواته صادقا في نفسه، آمينا في قوله وفعله.

هذا فضل ربه عليه الذي اصطفاه من أمتة وهداة، وشرح صدره، ورفع ذكره، وأعطاه حتى رضى. وهذا فضل الله علينا إذ أرسله رحمة للعالمين. فاصطفاه بهجرته إليه التي جعلت ربه يؤدبه ويحسن تأديبه. يلقي عليه القول الثقيل، ويأمره أن يصدع بأمره ويعدده أنه سيكفيه الأعداء والمستهزئين وأنه سيعصمه من الناس. أمره أن يصبر لحكم ربه الذي ما ودعه وما قللاه، وأن يصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه. وأن يصطبر على الصلاة. يأمره أن لا يستخفه عرض الحياة الدنيا، وأن ما عند الله خير وأبقى. يقص عليه قصص الرسل ليعتبر بما لاقوه من إذاية وتكذيب. ثم يأتي نصر الله، ﴿ولينصرن الله من ينصره﴾ (4).

في هذه المدة أسلم نفسه إلى ربه، فوهبه ربه إلى أمتة، فكان إسلامه هو ما نعني بهجرته الأولى، وقبوله أن يهب نفسه لأمتة، هو ما نعني بهجرته الثانية.

(2) الروض الأنف ص 181 ج 2 طبعة دار النصر - القاهرة أسد الغابة 15 / 1 طبعة طهران.

(3) أخرجه الطبراني في معاجمه الثلاثة - انظر مجمع الزوائد للهيثمى 226 / 8.

(4) «ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز» الحج.

وهذه هي هجرته الثانية وهي تتجه إلى أمته. توجهه بقلبه وبفكره إلى الله ثم وجهه الله إلى الناس بشيرا ونذيرا وداعيا إليه بإذنه وسراجا منيرا.

وآمن محمد برسالته، وتحمل أعباءها وجاهد في تبليغها. فأمر قومه أن لا يعبدوا إلا إلهًا واحدًا، رب السموات والأرض، ونهاهم عن الشرك وعن قتل أولادهم، وعن الفواحش ما ظهر منها وما بطن. فتعرض لسخرية المستهزئين وللإذاية من كل معتل وزنيم، فلم يثنوا له عزما، ثم حاولوا اغراءه بالملك والمال. فأخطأوا الرأي والتقدير حيث إنهم لو وضعوا الشمس في يمينه والقمر في شماله، لما تخلى عن رسالته (5).

حرص على هداية قومه، وعز عليه عنتهم، رأفة منه ورحمة بهم. فأنذرهم، وقال لهم إنه لن يغني عنهم من الله شيئا (6). فتأدوا في غيهم وطغيانهم، واعتدوا على المستضعفين من أصحابه، واشتدت رأفته بالمستضعفين منهم. المغلوبين على أمرهم في مكة مثل آل ياسر، وبلال بن رباح، وخباب بن الارت. ولقد شاركهم في محنتهم وذكر أنه ظل أياما في مكة هو وبلال لا يطعمون إلا ما يواريه ابط بلال (7).

دعى قومه ليعيدوا الحياة والعدل والإنصاف إلى كل مظلوم وليحفظوا دماء الناس، وأنسابهم وأموالهم وأعراضهم. وليقضوا على حمية الجاهلية، وليستعيضوا عصبية الجاهلية بأخوة الإسلام.

(5) البداية والنهاية لابن كثير 41 / 3 الطبعة الاولى.

(6) صحيح مسلم 76 / 1 الطبعة المصرية - صحيح البخاري 149 / 4 الطبعة المصرية.

(7) أخرجه الترمذي - كذا في الترغيب والترهيب للمنذري 198 / 4.

أما هجرته الثالثة إلى المدينة، فإنها ترمز إلى استبدال انتائه إلى الوطن المادي بانتائه الديني. لقد نشأ محمد في مكة، فيها أهله وقومه، أهل مجد وشرف، عرف شعابها وهضابها، وعليه أشرقت فيها أنوار الوحي. وفيها بيت الله وحرمه، وفيها المناسك التي تركها إبراهيم ومن تبعه من الحنفيين. فارتبط بها الرسول ارتباطاً روحياً وإنسانياً غير أن قاطنيتها حيث لم يستجيبوا لدعوة الإسلام، لم يحافظوا على صلات الوطنية بينهم وبين الرسول. فكان لا بد أن يغادر الرسول مكة، ليؤسس دولة الإسلام بالمدينة. فأظهر الله بذلك، أن دين الإسلام ليس وقفاً على بلد، ولو كان هذا البلد هو مكة التي فيها أول بيت وضع للناس، بيت المثابة والهدى والأمن. وفيها المقام الأسمى لأي الأنبياء إبراهيم عليه السلام، وأظهر الله أن دين الإسلام ليس وقفاً على قبيلة، ولو كانت القبيلة هي قريش التي عزت بمكانها من بين العرب وشرفت بسقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام. فاختر الله مدينة أخرى غير أم القرى، لتكون مأوى الرسول ودار الهجرة ومنطلق الإسلام. واختار قبيلة أخرى لتكون أنصار الله ورسوله.

هذه هي الهجرة التي برهنت على أن الإسلام ليس مكيًا ولا قرشيًا، وإنما هو دين الله الذي ارتضى للبشرية جمعاء. وهذا هو الرسول الذي اختاره الله ليكون واسطة بين روح القدس، وبين الناس عامة. وكانت أهليته لهذه الرسالة تقيض استعداداً فطرياً هيأته العناية الإلهية له. فوهبه قوة ثبتته الله بها على الإيمان، وأخلاقاً فريدة جعلت من رسول الإسلام نبي الرحمة والرأفة. ورسول الوفاء والعهد.

وهناك استطاع أن يضرب المثل الأعلى في الصدق والوفاء، وفي الرأفة والرحمة، ها هي بعض أخلاقه التي أردنا أن نوجز فيها القول.

إنه بث ليم مكارم الأخلاق (8)، وقد قالت عائشة عنه، كان خلقه القرآن (9)، قال عنه القرآن إنه ﴿لعل خلق عظيم﴾ (10).

إنه لم يك إلا بشرا رسولا، بشرا يأكل الطعام ويمشي في الأسواق. لا يتميز عن أصحابه بشعار أو امارة، يجلس بين أصحابه مثل ما يجلسون ويتعجب مما منه يتعجبون ويضحك مما منه يضحكون، يأكل على الأرض ويشرب قائما أو قاعدا، يخدم نفسه بنفسه، يعلف الناطح، ويحلب الشاة، ويخسف النعل، ويرقع الثوب، ويعين الخادم ويأكل معه، ويشترى بضاعته من السوق ولا يقبل لأحد أن يحملها عنه. يعود المريض، ويلبي دعوة من دعاه، ويجلس حيث انتهى به المجلس (11). عمل بيده الكريمة في بناء مسجد المدينة (12)، وفي حفر الخندق (13)، واحتطب مع أصحابه لكي لا يتميز عنهم بشيء (14)، ونهى أصحابه أن يقوموا له وأن يعظموه مثلما فعلت النصراني بالمسيح بن مريم (15)، وإذا رأى من أحدهم ما يوحي بالخوف منه زجره قائلا : «إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد» (16). وقد تعترضه ذات الحاجة في طريقه فيقول لها اجلسي في أي طريق شئت أجلس إليك (17).

هكذا كان محمد، عبد الله ورسوله، كرجل، وكنبي، مبينا لنا الفروق بين النبوة من جهة، وبين الكسروية والقيصرية من جهة أخرى، ومعطيا أعلى الأمثلة لانسجامه المطلق في حدود البشرية المثلى.

(8) مسند الإمام أحمد - انظر البداية والنهاية 35 / 6.

(9) صحيح مسلم. انظر البداية والنهاية 35 / 6.

(10) «وإنك لعل خلق عظيم».

(11) الدلائل للبيهقي. والطبراني في الكبير. - انظر البداية والنهاية 33 / 6.

(12) صحيح البخاري 24 / 4.

(13) صحيح البخاري 45 / 5.

(14) شرح السواهب الدنية للزرقاني 4.

صحيح مسلم - انظر البداية والنهاية 44 / 6.

رواه الطبراني في الأوسط - المجمع للهيثمي 5 / 9 قال : وفيه من لم أعرفهم.

صحيح مسلم 215 / 2.

ولقد كان وفاؤه لهجرته إلى أمته وفاء كاملا من يوم رسالته إلى يوم شفاعته هداهم سواء السبيل في حياته، وترك بينهم القرآن، وبين لهم شريعة الحق، فظل بعد وفاته نبراسا لهم. يرد على تحياتهم وهو في قبره (18)، ويتقبل صلاتهم عليه (19).

ثم امتدت رأفته إلى كل ضعيف، فدعا الله أن يحييه مسكينا، وأن يميته مسكينا، وأن يحشره في جملة المساكين (20). وعرف ضعف النساء، فاستوصى بهن خيرا (21)، واعتنى كل العناية بالأيتام وقارن بين مقامه في الجنة ومقام كافل اليتيم (22)، ويروى أنه مر على صبية في يوم عيد فوجد أحدهم كئيبا عريانا فحن له، وألبسه الجديد وقال له أما ترضى أن أكون لك أبا وعائشة أما (23)، يسمع بكاء الصبي في الصلاة - وفيها قرعة عينه - فيخفف منها رفقا به وبأمه (24). واستنكر معاملة الأرقاء، ونهى عن ندائهم بالعبد والأمة، وأمر أن يسموا بالفتيان والفتيات (25)، وسماهم إخوانا (26)، وكان آخر وصية لأمته : الصلاة وما ملكت أيمانكم (27).

ومن الضعفاء الذين شملتهم رأفته وشفقته، المذنبون من أمته، وهذا يفسر لنا حديث شفاعته وحرصه على أن لا يتعجل بدعوته مثل

(18) أخرجه أبو داود - انظر الجامع الصغير 148 / 2.

(19) أخرجه أبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان - كذا في نيل الأوطار 63 / 3

(20) ابن ماجه والترمذي - انظر البداية والنهاية 50 / 6.

(21) صحيح البخاري 96 / 4.

(22) صحيح البخاري 170 / 6.

(23) رواه البزار - كما في مجمع الزوائد 161 / 8.

(24) صحيح البخاري 160 / 1.

(25) صحيح مسلم 197 / 2.

(26) صحيح البخاري 80 / 7.

(27) سنن ابن ماجه - انظر جمع الفوائد 695 / 1.

ما فعل غيره من الأنبياء تعجل كل نبي دعوته واختبا محمد دعوته شفاعة لأمته (28). ليست شفاعة للمتقين ولكنها للمذنبين، الخطائين المتلوثين لأهل الكبائر (29)، تلك الشفاعة التي استحي منها آدم حين ذكر ذنبه، وأشفق منها نوح حين سأل ما ليس له به علم، وأعرض موسى لما ذكر قتلته للنفس وأحالتها عيسى إلى محمد. فوقع محمد ساجداً، وأمره ربه أن يرفع رأسه ليقول فيسمع، وليسأل فيطاع، ويشفع فيشفع، وتتكرر شفاعته، فلم يبق إلا من حبسه القرآن.

لقد شملت رأفته المسلمين مستضعفين كانوا أو عصاة وغيرهم، فلم يرض أن يدعو على سكان الطائف من ثقيف (30)، وشدد على ظلم أهل الذمة (31)، وبرأ إلى الله مما فعله خالد بن الوليد في بني جذيمة (32)، في غزوة الفتح (33)، وصفح عن اليهودي الذي نال منه ومن بني عبد المطلب بين يديه (34)، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى (35)، والله يهدي من يشاء (36).

لم تقتصر رافة محمد على بني الإنسان، بل إنها تناولت كل ما هو حيوان ونبات، تناولت الكون الذي يسبح بحمد الله ولو كنا لا نفقه تسبيحه، فنهى عن قطع الشجر (37)، وأمر باحترام حياة كل نفس

-
- (28) صحيح مسلم 75 / 1.
(29) صحيح الترمذي - انظر فيض القدير 162 / 4.
(30) الاكتفا في سيرة المصطفى - مخطوط.
(31) سنن أبي داود - انظر تخريج السنن للمنذري 255 / 4.
(32) صحيح البخاري 111 / 8.
(33) الدرر 236.
(34) مجمع الزوائد للهيثمى 240 / 8.
(35) بقية الآية «فلا تكونن من الجاهلين» الأنعام.
(36) «ولقد أنزلنا آيات بينت والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم» النور.
(37) رواه أبو داود - كذا في جمع الفوائد 515 / 1.

حية (38)، وحرّم احراق الحيوان بالنار (39)، أو أن يجعل غرضاً في الرماية (40)، ونهى عن المثلة به (41)، وتشويه خلقه بالسّمات (42)، ثمّ دعا إلى استعماله برفق، وإحسان، حتّى في ذبحه (43)، وأنكر أن تستعمل الدواب كما تستعمل الكراسي (44)، أو أن يكون الراكب عليها يستفزّها كالشيطان، كما نهى عن قتل كل ذي روح عبثاً (45).

هذه كانت أوامره ونواهيه، وتلك كانت عظائمه، فوعد بتأجّر من سقى كل ذي كبد رطبة (46). وذكر أن بغياً دخلت الجنة جزاء أن سقت كلباً يلهث عطشاً (47)، وذكر أن امرأة دخلت النار بسبب هرة حبستها فلم تطعمها حتّى ماتت جوعاً وعطشاً (48).

إنّ مثاليته الأخلاقية، جعلت لنا فيه الأسوة المثلى، وألزمنا بطاعته التي أمرنا بها الله لننجو من الشرك بخالق الأكوان، لأنّه جحود للعقل، والعقل أصل فضيلة الإنسان، وفرقان بين الحق والباطل. وحرص أن يجنبنا في شريعته الضرر والضرار (49)، لأنّه بالمؤمنين رؤوف رحيم.

(38) صحيح مسلم 116 / 2.

(39) أخرجه أبو داود - انظر تخريج السنن للمنذري 115 / 8.

(40) أخرجه أحمد والترمذي وابن حبان - كذا في الجامع الصغير 195 / 2.

(41) صحيح البخاري - كذا في الجامع الصغير 191 / 2.

(42) سنن أبي داود 26 / 3.

(43) صحيح مسلم 117 / 2.

(44) أخرجه أبو داود - انظر تخريج السنن للمنذري 393 / 3.

(45) أخرجه الطبراني - كذا في الجامع الصغير 193 / 2.

(46) صحيح البخاري 98 / 3.

(47) المصدر السابق.

(48) صحيح البخاري 93 / 4.

(49) أخرجه أحمد - انظر المناوي 168 / 2.

لقد ظهرت رأفته بنا في اختياره لأيسر الأمور (50)، ورفع الحرج واجتناب الإكراه (51)، وفي المعاملات بين علل المحرمات، وحكمة الفروض والواجبات، فالربا حرام لأنه وسيلة ضغط القوي على الضعيف، والصدقات واجبة لأنها طريق بر وإحسان من الغني للفقير، يحق الله الربا ويربي الصدقات (52)، والصدق يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة. والكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار (53). والظلم شر في نفسه، والعدل خير في نفسه والفواحش مظهر انحطاط البهائم، والعفة مظهر الكرامة الإنسانية.

هكذا كانت طريقه في الحلال والحرام، وكلاهما بين وطريقه واضح.

وعرف محمد رسول الله عليه الصلاة والسلام أن الدين صعب، ولن يشاده أحد إلا وغلبه فأمرنا أن نسد وأن تقارب (54) ونهانا عن الوصال (55)، وطلب منا أن نجتنب نواهيه، وأن نأتي بأوامره بما نستطيع (56). فارتفع عن أمتة الخطأ والنسيان وما استكروها عليه (57)، كما بلغه ربه، أنه ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها﴾، وأوحى إليه أن يدعو بقوله : ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا ولا

(50) أخرجه البخاري ومسلم - انظر البداية والنهاية 36 / 6.

(51) صحيح البخاري ومسلم كذا في جمع الفوائد 63 / 1.

(52) تمام الآية : «والله لا يحب كل كفار أثيم».

(53) صحيح البخاري 90 / 7.

(54) صحيح البخاري 170 / 7 صحيح مسلم 347 / 2.

(55) صحيح البخاري 123 / 8.

(56) صحيح مسلم 221 / 2.

(57) الطبراني انظر الجامع الصغير 24 / 1.

تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا
طاقة لنا به، واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا
القوم الكافرين.

لقد اقتضت الحكمة الإلهية أن لا يؤمن بمحمد قومه، وأن لا
يستجيبوا لداعي الحق والرشاد، فأذوه في داره، وحاصروا أهله في الشعب
وفتنوا المستضعفين من أصحابه، وبعد الهجرة أذن الله في قتالهم، دفاعا
عن النفس والحق، فكانت غزواته وسراياه ردا على سلسلة من
الاعتداءات المعروفة. فقبل وقعة بدر حاول المسلمون استرجاع بعض
حقوقهم، ففاتتهم القافلة، وأدركهم جيش قريش بعد أن أبى أبو جهل أن
يعود إلى مكة إلا بعد أن يسمع أغاني القينات بعد هزيمة محمد
وأصحابه (58)، ولكن قضى الله أمرا كان مفعولا، انهزمت قريش،
وانتصر رسول الله، ولم يسمع أبو جهل ما يطربه.

وفي أحد، وفي الأحزاب، هاجمته قريش في دار هجره، وألبت عليه
قبائل العرب واليهود، ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم
نوره ولو كره الكافرون﴾.

وغدرت بنو قريظة وبنو النضير عهدهم وهم يدعون أنهم يؤمنون
بالله وأنهم أوتوا نصيبا من الكتاب، وكتب الله عليهم الجلاء وعذبهم في
الدنيا ولهم في الآخرة عذاب أليم.

وتمادت قريش في غيها، فمنعته من الحج إلى بيت الله، واستمرت في
فتنة المسلمين في دينهم والفتنة أكبر من القتل. ثم قبلت العهد في صلح
الحديبية، وعادت فنقضته فأخلفوا الموعد، وقتلوا المسلمين ركعا وسجدا.

ثم كان الفتح الأكبر في مكة وفي حنين، غير أن هذا الفتح لم يستهدف قيصرية ولا كسروية، وإنما أراد أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يظل الرسول المجاهد، والأب الحنون لجميع المسلمين، حتى يلتحق بالرفيق الأعلى ودرعه مرهونة عند يهودي في حفنات من الشعر يطعم منها أهل بيته (59).

كل هذا السلوك سواء منه ما كان بشريا أو روحيا يعطينا المظاهر الثلاثة للهجرة النبوية، لقد كان مظهرها الأول الانقطاع إلى الخالق، وثانيها اصطفاؤه كرسول إلى البشرية، وثالثها التحول المادي من مكة إلى المدينة، وهو رمز جهاد الرسول في سبيل كلمة الحق وتحقيق العدل وبت الإحسان. وسنرى في هذه الفصول الموجزة، أمثلة من حياته الخاصة، في صلته بأزواجه وصحابته من مهاجرين وأنصار.

(59) أخرجه الشيخان - كذا في جمع الفوائد 687 / 2.

في بيوت النبي

القسم الأول في بيوت النبي

(1) في بيت خديجة :

انها خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي، تزوجها محمد بن عبد الله قبل أن يكون رسولا، وإنما كان فتى من أشرف قريش وهامة عزهم في بني هاشم بن عبد مناف، خطبها له عمه أبو طالب الذي كان كفيلا عليه وذكر ما له من رفعة وحسب وأنه لا يوزن به فتى من قريش إلا رجع به فضلا ونبلا وعقلا (60).

ورضى أهل مكة عن هذه الخطبة، وفرحوا بها، فتغنت بها ولأئدهم ورددوا فيها الأراجيز.

لا تزهد في خديج في محمد نجم يضيء كضياء الفرقد (61)

ولم تكن خديجة لتزهد في محمد بل رضيته ورضيت به، وأحسنّت إليه وكان بها برا كريما محسنا، أعانها في تدبير تجارتها، (62) وربى ابنها هند ابن أبي هالة أحسن تربية - فكان هند ابن أبي هالة يقول : «ليس أحد أكرم مني أهلا : أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وامي خديجة، وأخي القاسم وأختي فاطمة بنت رسول الله.

1- أسد بن خويلد 238 ألف 2.
2- أسد بن خويلد 240 ألف 2.
3- أسد بن خويلد 435 ألف 3.

مكثت خديجة في بيت النبي عليه الصلاة والسلام نحواً من أربع وعشرين سنة ورزقت منه أبناء لم يرد الله أن تمتد بهم الحياة. أما بناتها فقد كبرن وسوف نتحدث عنهن فيما بعد.

وبعث محمد في بيت خديجة وأصبح رسولا لله بشيرا ونذيرا وهاديا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا. وكان أول من أيده وصدقته زوجته خديجة (63) آمنت برسالته وقالت له إن ربه لن يضيعه، لأنها تعرفه، عرفته صادقا آمينا، وزوجا وفيا، وعرفته عابدا متخشعا رغبت نفسه عن أوثان قريش وتعلقت روحه بالحق، وعرفته كريما يحمل الكل ويقرى الضيف ويعين على نوائب الحق. ورضى رب محمد عن إيمان خديجة وعن سيرتها وأمر أمينه جبريل عليه السلام أن يقرئها السلام، وأن يبشرها في الجنة ببيت من قصب لاصخب فيه ولا نصب (64).

وذكرت عائشة بنت أبي بكر أنها ما كانت تغار من امرأة مثل ما تغار من خديجة. فرسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتأ يذكرها ويحن إلى أيامها. وكثيرا ما كان يتصدق عنها. ويدعو لها. (65) وذات يوم سلمت عليه أختها هالة وكان صوتها يشبه صوت خديجة فنزع إذ سمع كلامها وقال اللهم هالة !! (66) وبلغت من عائشة الغيرة ما بلغت. وقالت مثل ما تقول النساء إذا غلبتهن الغيرة. وانتصر النبي عليه الصلاة والسلام لخديجة وقال : «إنها آمنت حين كذبتني الناس، وواستني بمالها حين حرمني الناس ورزقت منها الولد» (67).

(63) الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عمر بن عبد البر ص 40.

(64) أخرجه الشيخان - كذا في جمع الفوائد 570 / 2.

(65) صحيح البخاري 214 / 4.

(66) صحيح البخاري 215 / 4 وصحيح مسلم 244 / 2.

(67) أسد الغابة 435 / 5.

في سنة واحدة توفيت خديجة وأبو طالب. ويقول ابن قتيبة في المعارف ان لم يكن بينهما إلا ثلاثة أيام. (68) ولكن الرسل لا تؤثر المصائب في حياتهم. فحياتهم لله وما كان لله دام واتصل. ولكنهم أيضا بشر يتألمون كما يتألم الناس ويفرحون كما تفرح الناس.

حزن الرسول عليه الصلاة والسلام على أبي طالب كما حزن على أم ولده ورفيقته الحنون خديجة بنت خويلد التي سبقتها وتركت في قلبه ذكريات طيبة وتركت له بنات كريمات عليه وعلى أمته.

فمنهن زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. زوجها أبوها وأما من ابن خالتها أبي العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس. ظلت معه بعد الهجرة وكان أبو العاص في أسارى بدر ولما أذن بالفداء بعثت زينب عقدا لها في فداء أبي العاص ورآه النبي وعرفه فذكرها وتذكر أمها ورق لها قلبه الرحيم فقال لأصحابه : «ان رأيتم أن تردوا لها عقدها وأسيرها فافعلوا». ورضى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. برأيه فأطلق أبو العاص ورجع العقدة إلى زينب. (69) وواعد أبو العاص النبي صلى الله عليه وسلم. أن يعين زينب على الهجرة إلى المدينة وبر بوعده وأثنى الرسول صلى الله عليه وسلم على برة ووفائه وحسن مصاهرته. (70) فأتت زينب المدينة وأسلم بعد ذلك أبو العاص وحسن إسلامه ورجعت إليه زينب ويقول الشاعر :

وان لصحبة الأخيار فضلا بها عبد الأمير يصير سيذا

(68) وكذلك في البداية والنهاية لابن كثير 167 / 2 وأسد الغابة 436 / 5.

(69) البداية والنهاية 312 / 3.

(70) صحيح البخاري 197 / 4.

وكانت ابنة أبي العاص امامة تأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في المسجد فيأخذها ويقربها منه ويحملها في الصلاة (71).

ومن بنات خديجة رقية وأم كلثوم كانتا في مكة عند ابن أبي لهب ولكن الله أراد الخير بعثمان بن عفان بن أبي العاص ابن أمية ابن عبد شمس. اكرم الله عثمان بمصاهرة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فتزوج رقية وتوفيت حينما كان النبي بيد. تزوج بعدها أم كلثوم وتوفيت عنده كذلك. وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم. لو كانت لنا ثلاثة لزوجناكها (72).

أما فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم. فهي زوج علي بن أبي طالب وأم سيدي شباب أهل الجنة : الحسن والحسين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها أنها بضعة منه وأن من آذاها فقد آذاه. وقد خرج البخاري عن الليث عن أبي مليكة عن المسور بن مخرمة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم. يقول وهو على المنبر أن بني هشام بن المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا ابنتهم علي ابن أبي طالب. فلا آذن ! ثم لا آذن ! ثم لا آذن ! إلا أن يريد ابن أبي طالب. أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم. فإنما هي بضعة مني يربيني ما أرابها ويؤذيني ما آذاها !! (73).

ليس لعلي طبعاً أن يرغب عن ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولا أن يتزوج عليها ابنة هشام بن المغيرة. وليس له أن يؤذى رسول الله. ولا أن يريه في ابنته.

(71) أسد الغاية 400 / 5.

(72) المصدر السابق 376 / 3.

(73) صحيح البخاري 151 / 6.

أما المسور الذي روى هذا الحديث فهو بن مخرمة بن نوفل ابن عبد مناف بن زهرة فهو من أحوال النبي. وكان المسور غلاما لا يتجاوز الثامنة من سنه. حينما التحق الرسول بالرفيق الأعلى (74) كان والده مخرمة يقول اني لدة رسول الله صلى الله عليه وسلم. لأنني ولدت عام الفيل. الذي في صحيح الترمذي انه قيسر بن مخرمة (75) والمسور من رواة الحديث المشهورين. وحفيده أبو بكر بن عبد الرحمن ابن المسور من شعراء قریش وفتيانهم فهو الذي يقول في قصة مشهورة :

بينما نحن بالبلاکث فالقاع سراعا والعيش تهوى هویا
خطرت خطرة على القلب من ذکراک فما استطعت مضیا
قلت لبيک إذ دعاني لك الشوق وللحادیین ردالمطیبا

أما نحن فسنعيد المطی إلى فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم - لقد كانت من أحب بناته إليه. كانت تذهب معه وهو في مكة إلى الكعبة وتذب عنه وهو في الصلاة. (76) وحينما نزلت عليه «وأنذر عشيرتک الأقربين» دعا بطون قریش وأنذرهم ثم دعا ابنته فاطمة قائلاً : «يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنک من الله شيئاً» - (77) وفي مرض وفاته أسر إليها بدنو أجله وأخبرها أنها لن تمکث بعده طويلاً حتى تلتحق به. ويقول واصفوها أنها كانت تشبهه. وإذا رأوها ماشية قيل

(74) أنظر الإصابة 119 / 6.

(75) أنظر أسد الغابة 336 / 4.

(76) صحيح البخاري 61 / 1.

(77) صحيح البخاري 175 / 3.

هذه مشية رسول الله صلى الله عليه وسلم. (78) كان النبي يجمعها مع علي والحسن والحسين ويضع عليهم كساءه ويقول ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا. (79) وكان يجلس ابنه الحسن على فخده ويقول ان ابني هذا سيد. (80) وقد جاء مصداق قوله عليه الصلاة والسلام فبإبنة الحسن خمدت نار الفتنة بين الأمة وحقنت دماء المسلمين.

كانت فاطمة عند علي ابن أبي طالب تقوم وحدها بخدمة بيتها وحينما شكت إلى أبيها أن الطحن بالرحى أضرت يديها وطلبت منه خادما يعينها أتاها رسول الله صلى الله عليه وسلم، هي وعليها وجلس بينهما وقال : «ألا ادلكما على خير مما سألتماه ؟ إذا أخذتما مضاجعكما

فكبرا الله أربعاً وثلاثين وأحمدا ثلاثاً وثلاثين وسبحا ثلاثاً وثلاثين. وقال علي» انه لم يترك هذا الدعاء حتى في ليلة صفين (81).

وها هم باختصار أهل بيت خديجة ، ذلك البيت الذي أشرق فيه نور الإسلام وأضاء الخافقين، البيت الذي حمل فيه محمد رسالته الشاقة العظيمة التي تدعو إلى البر والإحسان والتوحيد وتنهي عن منكرات الشرك والفحشاء، وهو البيت الذي تردد فيه جبريل الأمين على طه الأمين، وأوحى إليه السبع المثاني والقرآن العظيم.

(78) أخرجه الشيخان كذا في جمع الفوائد 571 / 2 وهو في صحيح البخاري 170 / 4.

(79) سنن الترمذي 229 / 2.

(80) صحيح البخاري 93 / 8.

(81) صحيح البخاري 45 / 4.

(2) في بيت سودة

دخلت بعد خديجة بنت خويلد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصرين بن مالك ابن حسل بن عامر بن لؤى. وهي من أسبق الناس إسلاماً وهجرة.

لقد كان ابن عمها أبو سبرة بن عبد العزى بن قيس من أول من هاجر إلى الحبشة ويقال أنه أول من وصلها. (82) وكانت مع بن سبرة زوجته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود. وأخوها عبد الله بن سهيل. ثم التحق بهم السكران بن عمرو بن عبد شمس ومعه زوجته وابنة عمه سودة بنت زمعة (83).

فكان أقارب سودة من بني عامر بن لؤى مثل سائر بطون قريش. منهم من هدى إلى الإسلام في أول أمره مثل أبي سبرة والسكران وأخوه سليط. ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس. ومنهم من لم يرد الله أن يهديه مثل عمرو بن عبدود بن قيس الذي كان قاتل المسلمين يوم بدر ولقى حتفه حينما اقتحم خندق المسلمين في وقعة الأحزاب. لقد تحدى معسكر المسلمين ونادى يطلب المبارزة فقام له ابن أبي طالب وتقول بعض الروايات أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال حينما خرج علي ابن طالب لقتاله . «اللهم إنك أخذت عبيدة يوم بدر. وحمزة يوم أحد. هذا علي ! رب لا تذرني فرداً وأنت خير الراحمين ! (84) ومن

(82) الذي في البداية والنهاية 66 / 3 والدور لأبي عمر 50 وأسد الغابة 166 / 5 ان أول من قدمها - فيما قيل - حاطب بن عمرو وأخو سهيل بن عمرو.

(83) الروض الأنف 76 / 2 والبداية والنهاية 66 / 3 والدور 50.

(84) العقد الفريد 43 / 7.

بني عامر من اهتدى بعد أمة. مثل سهيل بن عمرو الذي كان من
مطمعي قريش يوم بدر.

وانتصر النبي صلى الله عليه وسلم على قريش في وقعة بدر وعاد
إلى المدينة ومعه الأسارى والغنائم. ومن بين الأسارى سهيل ابن عمرو
أسره مالك بن الدخشم أخو بني سالم بن عوف. ويروى أنه قال حين
أسره :

أسرت سهيلا فلا أبتغي أسيرا به من جميع الأمم

وخندف تعلم أن الفتى فتاها سهيل إذا يظلم

وتحكي لنا سودة أنها كانت في مناخة بني عفرأ وذلك قبل أن
يضرب الحجاب. إذ قيل هؤلاء الأسارى. فذهبت لتراهم وإذا بسهيل ابن
عمها وأخي السكران وهو في جانب الحجرة ويداه مجموعتان إلى عنقه
فلم تستطع أن لا تقول : «يا أبا يزيد أعطيتم بأيديكم ! ألامتم كراما».
وتقول سودة والله ما نبهني الا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم.
«ياسودة أعلى الله ورسوله تحرضين؟». قالت قلت والذي بعثك بالحق ما
ملكك نفسي حين رأيت أبا يزيد مجموعة يداه إلى عنقه إن قلت
ما قلت.

وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم. عذر زوجته سودة وعرف أنها
ما كانت لتحرض على الله ورسوله. أنها كانت تحب الله ورسوله وترغب
في رضاه. لقد وهبت لعائشة قسمتها من رسول الله ابتغاء مرضاة رسول
الله. (85) وكانت ممن عرفن - بالنسك والعبادة. وكانت قبل أن يضرب
الحجاب إذا اضطرت للخروج لا تخرج إلا ليلا متكررة مخافة أن تعرف.
ولما رآها عمر ذات ليلة وقال لها : «ألا قد عرفناك يا سودة» (86) لزممت

(85) أخرجه الشيخان - كذا في جمع الفوائد 594 / 1.

(86) صحيح البخاري 25 / 6.

بيتها وانقطعت للعبادة حتى روى عنها انها قالت «كنت أحج في بيتي» (87) وإنما تعني بذلك أن عليها أن تقرر في بيتها وأن لا تتبرج تبرج الجاهلية الأولى. وأن تذكر ما يتلى في بيتها من آيات الله والحكمة. وإذا كانت قد تحج في بيتها بقلبها فإنها أيضا كانت تحج ببدنها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد كانت معه في حجة الوداع. وكان يعرف ما بها من ضعف حيث أنها كانت بطيئة جسيمة. ففرق بها ورحم ضعفها فأذن لها بالسير ليلا من المشعر الحرام إلى منى. وذلك لتصل قبل حطمة الناس فلا تتورط في زحامهم. (88) وفي هذه الحجة بالخصوص. بسط رسول الله يد الرحمة لأمته فكان لا يسأله أحد من الحجاج عما قدم أو أخر من حجة إلا قال : «افعل ولا حرج» ففي البخاري عن ابن عباس قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم. عن حلق قبل أن يذبح. قال لا حرج لا حرج. وقال له رجل آخر رميت بعدما أمسيت قال : لا حرج. وأخرج أيضا عن ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم. وقف في حجة الوداع فجعلوا يسألونه. فما سئل يومئذ عن شيء قدم أو أخر إلا وقال «افعل ولا حرج» (89) فهل كل هذه الرحمة وهذا التوسيع وصل إلى الأمة من بركة سودة فهي التي كانت أول من استأذنه أن تتقدم قبل الحجاج وأن لا تدفع من المشعر الحرام بدفع الجميع. فرحمها وأذن لها ورحم كل من سألها بعدها وقال له «افعل ولا حرج».

وقد توفيت سودة في خلافة عمر بن الخطاب (90) رضي الله عنها وعن جميع المسلمين.

(87) انظر الترغيب والترهيب 212 / 2.

(88) أخرجه الشيخان - كذا في جمع الفوائد 489 / 1.

(89) صحيح البخاري 175 / 2.

(90) أسد الغابة 485 / 5.

(3) في بيت عائشة :

الحديث عن عائشة حديث طويل. من الصعب اختصاره ومن المحال إيفاءه حقه في فصل قصير.

كانت لا تتجاوز تسع سنين حينما خرجت تلعب مع صواحبها على أرجوحة وهي جبل يشد بين عمودين يركبه الصبي ويهز به. وبينما عائشة على أرجوحتهما حتى أتمتها أمها أم رومان. ومعها نساء من الأنصار يرددن : «على الخير والبركة وعلى خير طائر» (91) والطائر هنا هو الحظ والقسم. ومنه قوله تعالى : «وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه».

وقد كان طائر عائشة طائرا ميمونا. لقد أصلح النساء من شأنها وأدخلنها في بيت النبي صلى الله عليه وسلم. ومكثت في هذا البيت تسع سنين حتى قبض النبي وهو بين سحرها ونحرها (92).

وفي هذه المدة سمعت الكثير من الحديث ووعته. حتى قال عنها أبو موسى الأشعري : ما أشكل على أصحاب محمد حديث قط وسألنا عنه عائشة إلا وجدنا عندها منه علما. (93) وقال مسروق رأيت أصحاب محمد يسألونها عن الفرائض. (94) لقد أعطاه الله سبحانه سعة في

(91) أخرجه الشيخان

(92) صحيح البخاري 205 / 4.

(93) رواه الترمذي

(94) الإصابة - 18 / 8 وأسد الغابة 502 / 3.

الحفظ والعلم. فكانت تحفظ عشرات الآلاف من شعر لبيد (95) وما تحفظ لغيره أكثر. ولقد أعدها الله أحسن إعداد لتكون من أعظم أمهات المومنين شأنا. وقد رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم، والملك يحملها في سرقة من حرير، ويقول هذه امرأتك ويقول رسول الله ان كان من عند الله يمضه. (96) وكان من عند الله، وأمضاه فكانت زوجته في الدنيا وفي الآخرة.

كانت عائشة أحب نساء النبي إليه، أعني نساء اللواتي كن معها في المدينة. وكان أصحاب رسول الله يعلمون حبه إياها. فكان أهل الهدايا ينتظرون يومها ليتقدموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هداياهم عندها. وكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم يعلمن ذلك ويفرن منها ما عدا صديقاتها منهن.

وقد روت عائشة أن نساء النبي كن حزينين. حزبا هي ومعها حفصة بنت عمر، وسودة بنت زمعة، وصفية بنت حيي. وكانت أم سلمة على رأس الحزب الثاني ومعها سائر نساء الرسول عليه الصلاة والسلام (97).

وقد اجتمع نساء النبي عند أم سلمة وسألنها أن تناشد رسول الله صلى الله عليه وسلم، العدل في بنت أبي قحافة. وأن يأمر الناس أن يأتوه بهداياهم أين ما كان. وكلمته أم سلمة في الأمر فلم يجبها أولا، ثم راجعته وألحت عليه فقال لها لاتؤذيني في عائشة، فما نزل على الوحي

(95) صحيح البخاري 126 / 6.

(96) صحيح البخاري وصحيح مسلم - انظر الإصابة 18 / 8 وأسد الغابة 503 / 5.

(97) المصدر السابق - نفس الصفحة.

في ثوب امرأة غيرها وقنعت أم سلمة بهذا القول وقالت له أتوب إلى الله من أذاك يا رسول الله.

ولكن نساء النبي حاولن من جديد، وبعثن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته فاطمة عليها السلام، فبلغته رسالتهن فقال لها : «أي بنية الا تحبين ما أحب» قالت بلى وعادت إليهن وأبت أن تراجعها فيما بعد، غير انهن لم يياسن ولم يستسلمن فأرسلن زينب بنت جحش، فأتت النبي صلى الله عليه وسلم، وهو في بيت عائشة فكلمته في أمرهن وأمر عائشة وتناولت منها، والغيرة من شيم النساء، فالتفت الرسول صلى الله عليه وسلم، إلى عائشة مؤذنا لها أن تجيب عن نفسها، ولما أجابت بنت جحش حتى أسكتتها، سري عنه وقال : «إنها بنت أبي بكر» (98).

نعم انها بنت أبي بكر، وسنقف ساعة عند أبي بكر في الفصول

الآتية :

ولنعد إلى عائشة أم المومنين رضوان الله عليها، ونجدها وهي في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، تنصت إليه بإمعان، وتعقل ما يقول، وترفع إليه حوائج ذوي الحاجات وترد عليهم بما يريد، وتنام مبكرة بليل ويبيت يصلي قريبا منها وإذا ما أراد السجود غمزها لتتنحى قليلا كي ما يجد موضعا يضع فيه جبهته السمحة (99) وربما استيقظت من نومها فتبحث عنه ولا تجده مكانه فتغلى سورة الغيرة في نفسها، ثم لا تلبث أن تهدأ حين تسمعه يصلي قريبا منها، وأحيانا تغاضبه وتحاول مع بعض صديقاتها من نساءه أن تحتال عليه (100).

(98) صحيح مسلم 245 / 2.

(99) أخرجه الشيخان - كما في جميع الفتاوى.

(100) صحيح البخاري 159 / 6.

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يعلم أن كل هذا من حبه أياه. فيقبل تدللها وغيرتها بصدر رحب. وأحيانا يمازحها فيقول لها انه يعرف غضبها ورضاها عليه. وحين تستفسره عن ذلك يقول لها أن يمينها إذا كانت راضية «لا ورب محمد» وإذا كانت في حالة أخرى تقول : «لا ورب إبراهيم» وتبتسم عائشة ابتسامة المعترف (101)

ولم تسلم عائشة في عهده الزاهر من كيد المنافق والحسود. لقد كان جل نساء النبي خصما لها. وأردن أن لا تكون إلا واحدة مثلهن ولكنهن لم يستطعن. وأكبر امتحان وانتصار عرفتهما عائشة هما في قصتها المشهورة بحديث الافك، وها هي تقص علينا هنا الحديث فتقول «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين أزواجه فأيهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلى الله عليه وسلم معه. قالت عائشة فأقرع بيننا في غزوة غزاها فخرج سهمي فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. بعدما أنزل الحجاب فكنت أحمل في هودجي وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوته. وقفل دنونا من المدينة قافلين أذن ليلة بالرحيل فقممت حين أذنوا بالرحيل فمشيت حتى جاوزت الجيش. فلما قضيت شأني. أقبلت إلى رحلي فلمست صدري فإذا عقد لي من جزع ظفار قد انقطع. فرجمت فالتمت عقدي فحبسني ابتغاؤه.

وقالت وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلونني فاحتملوا هودجي فرحلوه على بعيري الذي كنت أركب عليه وهم يحسبون أنني فيه. وكان النساء إذ ذاك خفاف لم يهبلن ولم يغشهن اللحم. إنما يأكلن الملقمة من

(101) صحيح البخاري 151 / 6.

الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه وحملوه وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل فساروا ووجدت عقدي بعدما استمر الجيش فجئت منازلهم وليس بها منهم داع ولا مجيب، فتيممت منزلي الذي كنت فيه وظننت أنهم سيفقدونني فيرجعون إلي. فبينما أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي، ثم الذكواني من وراء الجيش، فأصبح عند منزلي فرأى سواد إنسان نائم، فعرفني حين رأيته، وكان رأي قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما تكلمنا بكلمة، ولا سمعت منه كلمة، غير استرجاعه وهوى حتى أناخ راحلته فوطيء على يدها فقامت إليها فركبتها فانطلق يقود بي الراحلة حتى أتينا الجيش موغرين في نحو الظهيرة، وهم نزول، فقدمنا المدينة.

فاشتكيت حين قدمت شهرا والناس يفيضون في قول أصحاب الافك لا أشعر بشيء من ذلك الذي يريني في وجمي أني لا أعرف من رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللطف الذي كنت أرى منه حين اشتكيت، إنما يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسلم ثم يقول «كيف تيكم» ثم ينصرف فذلك يريني ولا أشعر بالشر، حتى خرجت حين نقيت، فخرجت مع أم مسطح قبل المناصع وكان متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، قالت وأمرنا أمر العرب الأول في البرية قبل الغائط، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا.

قالت فانطلقت أنا وأم مسطح وهي ابنة أبي رهم ابن المطلب بن عبد مناف وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن اثاثة بن عباد بن المطلب. فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي

حين فرغنا من شأننا فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت تعس مسطح
فقلت لها بئس ما قلت أتسيين رجلا شهد بدر. فقالت : أي أو لم
تسمعي ما قال ؟ قالت وقلت ما قال ؟ فأخبرتني بقول أهل الافك.

قالت فازددت مرضا على مرضي فلما رجعت إلى بيتي دخل علي
رسول الله صلى الله عليه وسلم. فسلم ثم قال : «كيف تيكم» فقلت له أتأذن
لي أن آتي أبوي ؟ قالت وأريد أن أستيقن الخبر من قبلهما. قالت فأذن
لي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقلت لأمي يا أمتاه ماذا يتحدث
الناس ؟ قالت يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة
عند رجل يحبها لها ضرائر الا كثرن عليها. قالت فقلت سبحان الله أو
لقد تحدث الناس بهذا. قالت فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت لا يرقأ
لي دمع ولا أكتحل بنوم. ثم أصبحت أبكي.

قالت ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم. علي بن أبي طالب
وأسماء ابن زيد حين استلبث الوحي يسألهما وتستشيرهما في فراق أهله.
قالت فأما أسمية فأشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من
براءة أهله وبالذي يعلم لهم في نفسه فقال أسمية أهلك ولا نعلم إلا خيرا.
وأما علي فقال يا رسول الله لم يضيق الله عليك. والنساء سواها كثير.
وسل الجارية تصدقك. قالت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم. بريرة
فقال : أي بريرة. هل رأيت من شيء يريبك ؟ قالت له بريرة والذي
بعثك بالحق ما رأيت عليها أمرا قط أغمضه. غير أنها جارية حديثة
السن تنام عن عجين أهلها. فتأتي الداجن فتأكله.

قالت فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم. فاستعذر من عبد الله
ابن أبي وهو على المنبر فقال يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل
قد بلغني عنه أذاه في أهلي ؟ والله ما علمت على أهلي إلا خيرا. ولقد

ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا. وما يدخل على أهلي إلا معي.
قالت فقام سعد بن معاذ (102) أخو بني عبد الأشهل. فقال أنا يا رسول
الله أعذك فإن كان من الأوس ضربت عنقه. وإن كان من إخواننا من
الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك. قالت فقام رجل من الخزرج وكانت أم
حسان بنت عمه. من فخذ. وهو سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج قالت
وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد كذبت !
لعمر الله لا تقتله ولو كان من رهطك ما أحببت أن يقتل. فقام أسيد بن
حضير وهو ابن عم فقال لسعد ابن عبادة كذبت. لعمر الله لنقتله فإنك
منافق تجادل عن المنافقين. قالت قالت : فثار الحيان الأوس والخزرج
حتى هموا أن يقتتلوا. ورسول الله صلى الله عليه وسلم. قائم على المنبر.
قالت فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم. يخففهم حتى سكتوا
وسكت.

قالت فبكيت يومي ذلك كله لا يرقأ لي دمع ولا اكتحل بنوم.
قالت وأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا يرقأ لي دمع ولا
أكتحل لنوم حتى أنني لأظن أن البكاء فائق كبدي. فبينما أبواي جالسان
عندي وأنا أبكي فاستأذنت على امرأة من الأنصار فأذنت لها. فجلست
تبكي معي. قالت فبينما نحن على ذلك دخل علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم. فسلم ثم جلس. قالت ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها.
وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني.

قالت فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ثم قال :
«أما بعد يا عائشة انه بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيبرئك

(102) اختلفت الروايات هل المعنى سعد بن معاذ أو أسيد بن حضير. فابن عبد البر يعتقد أنه
أسيد لأن سعد قد توفي في غزوة بني قريظة ويقول : إنها كانت قبيل التريسيين. بين
البخاري يذكر انه سعد.

الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبى إليه، فإن العبد إذا اعترف ثم تاب تاب الله عليه، قالت فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مقالته، قلص دمي حتى ما أحس منه قطرة، فقلت لأبي : «أجب رسول الله صلى الله عليه وسلم، عني فيما قال، فقال أبي : «والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم»، فقلت لأمي : أجيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما قال، قالت أمي والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ من القرآن كثيرا : اني والله لقد علمت، لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به فلئن قلت لكم أني بريئة لاتصدقوني، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم أني منه بريئة لاتصدقني فوالله لا أجد لي ولا لكم مثلاً إلا أبا يوسف حين قال «فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون».

ثم تحولت فاضطجعت على فراشي والله يعلم أني حينئذ بريئة وأن الله مبرئي ببراءتي ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيأ يتلى، لشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم، في النوم رؤيا يبرئني الله بها فوالله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم، مجلسه ولا خرج أحد من أهل البيت حتى أنزل عليه فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء حتى أنه ليتحدر منه من العرق مثل الجمان، وهو في يوم شات من ثقل الذي أنزل عليه قالت فسرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها ان قال يا عائشة اما الله فقد برأك، قالت فقالت لي أمي قومي إليه فقلت والله لا أقوم إليه، فاني لا

أحمد إلا الله عز وجل. قالت وأنزل الله تعالى «ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم» العشر الآيات ثم أنزل الله تعالى هذا في براءتي.

قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن اثاثة لقربته منه وفقره. والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال. فأنزل الله «ولا يأتل أولوا الفضل منكم إلى قوله غفور رحيم». قال أبو بكر الصديق بلى. والله اني لأحب أن يغفر الله لي. فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه. وقال والله لا أنزعها منه أبدا. قالت عائشة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم. سأل زينب بنت جحش عن أمري فقال لزينب ماذا علمت أو رأيت فقالت يارسول الله احمي سمعي وبصري. والله ما علمت إلا خيرا قالت عائشة وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فعصمها الله بالورع.

لقد رماها إذا المنافقون وبعض حاسديها بصفوان بن المعطل وشق أمرها على رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومكث نحو شهر لا يعاشرها حسب ما ألفت منه واستشار في أمرها ولا تنسى عائشة أن عليا بن أبي طالب قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم. في معرضها «النساء غيرها كثير». وقد تولى كبر هذا الحديث عبد الله بن أبي وكانت عائشة لاتبرئ حمنة بنت جحش وحسان بن ثابت. ولم يال حسان جهدا في أرضائها فيما بعد. فكان يزورها ويمدحها بقوله :

حصان رزان ما تزن بريسة وتصبح غرثى من لحوم الغوافق

وتجيبه جواب من لا يزال يجد عليه. غير أنها تذكر أنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان يأمره بهجاء المشركين من قريش ويقول له أن روح القدس معك. وفي هذا عند عائشة شفيع مطاع.

فكانت تقول أنه الذي قال :

فإن أبي ووالده وعرضي لعرض محمد منكم وقاء (103)

وانتصرت عائشة في حديث الأفك وبرأها الله تعالى مما قالوا بالقرآن ، وقدرت عائشة هذا الانتصار حق قدره، وآبت إلى بيتها أوبة الظافر المتين، وظلت أعواما مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في نعمة وسعادة وسرور. يتنزل الوحي من الله في بيتها، ويقرأها جبريل السلام (104) ويحبها رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعظمها المسلمون.

وكان لها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، عزاء في إيمانها وأن النبي دفن في بيتها بعدما أراد أن يكون مرضه عندها فكان يقول في هذا المرض «أين أنا اليوم؟ أين أنا غدا؟ وعلم أزواجه أنه يحب أن يقيم عند عائشة وسمحن له بذلك. وأتاها وقد اشتد وجعه بين رجلين احدهما العباس والثاني لم تذكره عائشة لأمر ما وقال ابن عباس أنه علي بن أبي طالب (105) وكان من عزائها أيضا أن أفضت الخلافة إلى أبيها الحنون أبي بكر.

ولبثت عائشة بعد النبي صلى الله عليه وسلم نحوًا من خمسين سنة (106) كانت فيها كعبة أهل المدينة ومقصد جميع المسلمين. والكل يقدر مكانتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويستنير أهل العلم بما لها من فقه وحديث، ويتقوى أهل الرأي بمشورتها ويحرص ذو الحكم على تأييدها وعلى اكتساب نفوذها. فكانت حقا زعيمة أمهات المومنين.

(103) صحيح البخاري 3 / 143 وصحيح مسلم 334 / 1.

(104) صحيح البخاري 74 / 7.

(105) صحيح البخاري 148 / 6.

(106) الإصابة 20 / 8 وأسد الغابة 504 / 5.

وتأبى أن لاتعطي لمنصبها مدلوله في كل ميدان. وهذا ما يفسر لنا ما حملها على تدخلها العنيف في مشاجرة المسلمين.. وقيل أنها ترددت قبل أن تذهب إلى البصرة وأن ابن أختها عبد الله بن الزبير لم يزل بها يفتل في الذروة والغارب حتى ذهب بها.

وقال علي بن أبي طالب أنها من أطوع الناس في الناس. وسافرت عائشة إلى العراق مع طلحة والزبير. وكان يوم الجمل والطرف الثاني هو ابن أبي طالب وفي هذا الموقف الحرج القت كلمة فيها قالت أيها الناس ؟ صه صه . فكأنما قطعت الألسن في الأفواه فقالت : «ان لي عليكم حق الأمومة وحرمة الموعظة. لا يتهمني إلا من عصى ربه. ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم. بين حاقنتي ودافنتي. وأنا إحدى نسائه في الجنة له ادخرنى ربي. وسلمني من كل بضع. وبني ميز بين منافقكم ومومنينكم. وبني رخص لكم في صعيد الايواء ثم أتى ثالث ثلاثة من المومنين وثاني اثنين إذ هما في الغار. وأول من سمى صديقا. مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم. راضيا عنه وطوقه طوق الامامة. ثم اضطرب حبل الدين فمسك أبي بطرفيه . وزين له افياءه. فوقم النفاق وغاض نبع الردة وأطفأ ما حش اليهود. وأنتم يومئذ جحظ العيون تنظرون الغدرة وتسمعون الصيحة. فرأب الثاني واودم العطلة وانتاش من المهواة واجتحي دفين الداء حتى أعطى الوارد وأورد الصادر وعمل الناهل. فقبضه الله واطئا على هامات النفاق. مذكيا نار الحرب للمشركين. وانتظمت بضاعتكم بحبله.

ثم ذكرت تولية عمر بن الخطاب واثنت عليه خيرا وقالت انها ما جاءت تلتمس اثما ولا لتدلس فتنة. وذكرت أن قولها كان صدقا وعدلا

واعذارا وتعذيرا. ثم سألت الله أن يصلي على محمد وأن يخلفه في المسلمين بأفضل خلافة المرسلين. ثم رجعت إلى المدينة وتقول بعض الروايات أنها أسفت على ذهابها نحو البصرة. وقد بالغت بتقدير أسفها حتى قارنته بأسفها على أنها لم تنل من رسول الله صلى الله عليه وسلم. عشرة أولاد كلهم مثل عبدالرحمن بن الحارث بن هشام. ولو رزقت عائشة من رسول الله صلى الله عليه وسلم. أولادا لكان أمرهم أعظم بكثير من أمر عبد الرحمن بن الحارث بن هشام. (107)

وتلقت عائشة بعد رجوعها إلى المدينة النصيحة والعتاب. معارضة قوية. فلم تفارقها ثقتها بنفسها ولا بمكانتها الخالدة. وكانت تجيب لائميها بالنثر إذا وجهوا إليها النثر وبالشعر إذا سمعت أنهم قالوا فيها شعرا. وقد بلغها أن الأحنف بن قيس خاطبها بأبيات قال فيها :

فلو كانت الاكثان دونك لم يجد عليك مقالا ذو أذاة يقولها

فقلت عائشة رضي الله عنها الى كان يستجم ؟ إلى الله أشكو عقوق أبنائي ثم أجابته بقولها :

بنى اتعظ أن المواعظ سهلة ويوشك أن تكتان وعرا سبيلها
ولا تنسين في الله حق أمومتني فإنك أولى الناس أن لا تقيلهما
ولا تنطقن في أمة لي في الخنا حنيفة قد كان بعلى رسولها

(107) رواء الطبراني - كذا في مجمع الزوائد : 7 - 238.

ونلاحظ في تصرفها وفي كلامها وشعرها تأكيدها لمنزلتها من الأمة. فهي أم المؤمنين ولها عليهم جميعا حق الأمومة، ألا وهو البر والإكرام.

ثم اعتزلت الفتنة وقرت في بيتها، ولما سمعت بوفاة علي ابن أبي طالب تمثلت بقول المعفر الباقلي.

فألقت عصاها واستقر بها النوى كما قر عينا بالآياب المسافر (108)

وهي تعنى أن عليا استراح من متاعب الناس وقدم إلى البر بالعمل المبرور. ولم يك هذا أول بيت تتمثل به عائشة فإنها حين رأت أباها وهو في حالة الاحتضار أنشدت قول حاتم الطائي :

لعمرك ما يغنى الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

وقال لها أبو بكر بخ بخ يا بنية هلا تلوت «وجاءت سكرة الحق بالموت» وهي قراءة رويت عن أبي بكر (109)

وفي عهد معاوية تقدمت بعائشة السن، وحنكتها التجارب، وأسعفها علمها وذكاؤها، فعاشت حياة مطمئنة سعيدة في بيتها ورسول الله صلى الله عليه وسلم، معها في البيت. إلى أن التحقت به.

(108) طبقات ابن سعد 40 - 3

(109) -تاريخ الخلفاء للسيوطي : 78 والطبقات 187 / 3.

(4) في بيت حفصة

دخلت بيوت النبي بعد خديجة وسودة وعائشة. حفصة بنت عمر بن الخطاب وكانت قبل عند خنيس بن حذافة السهمي وبعدها أراد والدها عمر أن يزوجه من أبي بكر. ولما أعرض أبو بكر عنها قال عمر: خسرت خسرت حفصة. ثم ما لبثت أن خطبها النبي صلى الله عليه وسلم. ثم قال أبو بكر لعمر قد علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكرها وذلك سبب إعراضي عنها ولكني ما كنت لأفشي سر رسول الله صلى الله عليه وسلم (110)

انها من خيرت أمهات المومنين. عرفت بكثرة الصوم والصلاة والأمانة. (111). وعدت مع عائشة ممن حفظ القرآن. وعندها كان المصحف (112). الذي كتبه بأمر من أبي بكر وعمر. زيد بن ثابت الانصاري الذي يقول فيه حسان ابن ثابت :

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت (113)

وكانت حفصة أيضا من اللواتي روين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. العلم. (114) ولها مع رسول الله قصة مشهورة نزل فيها القرآن.

(110) أخرجه البخاري - انظر جمع الفوائد : 567 / 1.

(111) الاستيعاب لأبي عمر بن عبد البر : 1816 والإصابة 582 / 7.

(112) أخرجه البخاري - انظر جمع الفوائد : 597 / 2.

(113) ديوان حسان : 67.

(114) الإصابة : 582 / 7.

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على إرضائها، وأسر إليها حديثا قيل عنه أنه في تحريم جاريته مارية. ورضيت حفصة بالحديث وأخبرت به صديقتها عائشة. (115) ولكن الله كان لهما بالمرصاد. فأمره أن لا يحرم ما أحل له، وأخبره العليم الخبير بما كانت تتحدث به حفصة وعائشة. وأمرهما الله بالتوبة النصوح، وهددهما أن عادتا إلى التظاهر على النبي في شأن زينب بنت جحش والعسل الذي شرب عندهما. هدهما الله بالخروج من بيوت النبي وهو أشد العقاب. وتقول بعض الروايات أنه طلقها. وأمره جبريل أن يراجعها مرضاة لعمر. وتقديرا لعبادتها. (116) وسمع عمر قصة حفصة وأقسم أن لو أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم. بضرب عنق حفصة لفعل. (117) غير أن الأمر لم يصل إلى هذا الحد. فحفصة تابت توبة نصوحا ورضيت بالله ورسوله. ويقص عمر كيف كان يحاول أن يعرف ماذا جرى في بيوت النبي عليه الصلاة والسلام.

ويقول أنه كان يسكن قرب المدينة وله صديق من الأنصار وكل منهم يبيت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ويأتي لصاحبه بأخباره. وما شعر عمر حتى أتى صاحبه يدق عليه دقا عنيفا فسأله مذعورا ماذا حدث ؟ فهل غزا المدينة الفسانيون الذين كان المسلمون يتخوفون منهم آن ذاك ؟ وقال له صاحبه لا. الأمر أشد من ذلك. رسول الله طلق نساءه. فراجع عمر وقال : «خسرت حفصة» ثم ذهب

(115) أخرجهما الطبراني في الأوسط - انظر مجمع الزوائد : 10 / 5.

(116) الاستيعاب : 1812. الإصابة : 582 / 7.

(117) صحيح البخاري : 67 / 6.

من توه إلى المدينة وصلى الصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وبعد الصلاة انفرد النبي في حجرته. واستأذن عمر على رسول الله ولم يجبه الباب. فرجع إلى المسجد ولكنه لم يستطع الجلوس ورجع واستأذن من جديد ولكنه لم يجد جوابا. فرجع إلى المسجد ثم ما لبث أن أتاه غلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. مؤذنا له بالدخول. ودخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووجده مضطجعا على الأرض. ولم يستطع عمر أن يجلس فبقى واقفا وقال : أطلقت نساءك يا رسول الله فأجابه بلا. فهذا روع عمر. ثم بقي واقفا مكانه. وبعد ذلك قال لقد كنا يا رسول الله في مكة ونحن نغلب نساءنا ولما جئنا المدينة وجدنا الأنصار ونساءهم تغلبهم فأفسدوا علينا نساءنا. فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم. واستطاع عمر أن يدنو منه قليلا. وقال يا رسول الله لقد قلت لحفصة أن لا تغتر بما تفعله عائشة، لأن عائشة أجمل منها وأضوأ. فابتسم النبي صلى الله عليه وسلم أيضا. واستطاع أن يجلس وأن يتناول أطراف الحديث مع رسول الله وعرف أن حفصة لم تخسر بل ستظل في بيت رسول الله عليه الصلاة والسلام. (118) فكانت من القانتات لله ورسوله اللواتي سيجدن أجرهن مرتين. فهي أم المومنين وبنت عمر بن الخطاب، وسنرى من هو عمر بن الخطاب.

كانت حفصة شقيقة عبد الله بن عمر. أمها زينب بنت مظعون. (119) وخالها عثمان بن مظعون أول من دفن في البقيع. وكان أخوها عبد الله من علماء الصحابة وعبادهم وحفظتهم. ومن بنيه سالم بن عبد الله وهو من أهل الفقه والحديث، ويقول عبد الله بن عمر في ابنه سالم.

(118) صحيح البخارى : 67 / 6.

(119) - اسد الغابة 227 / 3 الإصابة : 181 / 4.

يلومونني في سالم وألومهم وجلدة بين العين والأنف سالم

وكان نافع مولى ابن عمر من أوثق الرواة ويسمى المحدثون رواية مالك عن نافع عن ابن عمر سلسلة الذهب لصحتها. ومن أخوة حفصة عاصم بن عمر وليس شقيقا لها. وأم عاصم بنت عاصم بن عمر هي التي أنجبت عمر بن عبد العزيز الخليفة الأموي المشهور بالتقوى والعدل (120) ومن شعر عمر بن عبد العزيز هذه الأبيات :

انه الفؤاد عن الصبا وعن اتقياد للهوى
فلعممر ربك ان في شيب المفارق والجلال
لك واعظ لو كنت تتمم اعماظ ذوى النهى
حتى متى لا ترعوى وإلى متى وإلى متى
ما بعد ان سميت كهلا واستلبت اسم الفتى
بلى الشباب وأنت ان عمرت رهن للبللى
وكفى بذلك زاجرا للمرء عن غى كفى (121)

وقد توفيت حفصة بنت عمر عام خمس وأربعين من الهجرة رضوان الله عليها (122).

(120) الإصابة ، 3 و 4 / 5 وأسد الغابة 76 / 3.

(121) تاريخ الخلفاء ، 226.

(122) أسد الغابة 436 / 5.

(5) في بيت أم سلمة

أم سلمة هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله ابن عمر ابن مخزوم. وسوف نرى لبني مخزوم بن يقظة بن مرة شأنا عظيما في قريش. ولم يجد النبي صلى الله عليه وسلم أشد عليه من مشركيهم ولكننا لاننصف بني مخزوم إذا لم نذكر ما أسدوه للإسلام من أيادي بيضاء عرفها لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فكان منهم الوليد بن المغيرة وأبو جهل بن هشام بن المغيرة وهما معلوما الشأن. وفي يوم بدر قتل من كبار بني مخزوم عمرو بن هشام ابن المغيرة (أبو جهل) وأخوه العاص بن هشام، ومسعود ابن أبي أمية بن المغيرة أخو أم سلمة وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة. (123) وكان في أسرى بدر خالد بن هشام ابن المغيرة وأميمة بن أبي حذيفة بن المغيرة والوليد بن الوليد ابن المغيرة. ولم يكن هذا كل من قتل أو أسر من بني مخزوم (124) ولكننا اقتصرنا على أبناء المغيرة لنبين شدتهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

لقد كان الأرقم ابن أبي الأرقم (واسم أبي الأرقم عبد مناف) بن أسد بن عبد الله ابن عمر المخزومي. ممن سبق إسلامه وحسن. فهو الذي تحصن المسلمون في داره مكة. وكان مع النبي يوم بدر. (125) كما

(123) الروض الأنف 103 / 3.

(124) انظر الروض الأنف 107 / 3.

(125) الإصابة : 43 / 1.

سبق إسلام أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. وهو أخو رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة. هاجر الهجرتين وشهد بدرًا، (126) وهاجر معه إلى الحبشة ابن أخيه عبد الله وهبار ابن سفيان بن عبد الأسد (127) وسوف نجد أيضًا من أبناء المغيرة من سبق إسلامه وحسن مثل هشام بن أبي حذيفة بن المغيرة (128) وسلمة بن هشام بن المغيرة وعياش بن أبي ربيعة ابن المغيرة. وهذان الأخيران كانا من المستضعفين وكان معهم الوليد بن الوليد حين أسلم. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يدعو لهم في القنوت فيقول : «اللهم انج سلمة بن هشام، اللهم انج عياش بن أبي ربيعة، اللهم انج الوليد بن الوليد» (129) وقبل الفتح بقليل أسلم سيف الله خالد بن الوليد بن المغيرة وأسلم بعده عكرمة بن أبي جهل فكانا خير سند للإسلام. ولا سيما في حروب الردة والفتوح.

اشتهر بنو مخزوم بالرأي والشجاعة وشاركتهم أم سلمة في رأيهم وشجاعتهم وفازت عليهم بدخولها في بيوت النبي عليه الصلاة والسلام. ونرى شجاعتها في كونها أرادت أن تهاجر وحدها من مكة إلى المدينة، ليس معها إلا ابنها سلمة بن أبي سلمة وهو يومئذ صبي. وذلك أنه لما أزمع أبو سلمة الخروج مهاجرة إلى الله ورسوله، حملها على جمل هي وابنها، ولكن لما رآه بنو المغيرة منعه وحين غلبهم على أمره تركوه يذهب وحده. وأخذوا منه زوجه أم سلمة. وذهب أبو سلمة وأتى أهله من

(126) الإصابة 152 / 4 وأسد الغابة : 195 / 3.

(127) سيرة ابن هشام : 73 / 2.

(128) الإصابة : 87 / 7.

(129) صحيح البخاري 214 / 3.

بني عبد الأسد بن هلال بن عبد الله، ونزعوا من بني المغيرة سلمة ابن أخيه. وحبست أم سلمة عند بني المغيرة، وفرق بينها وبين ابنها وزوجها، فمكثت قريبا من سنة تخرج كل غداة إلى الأبطح فما تزال تبكي حتى المساء.

ثم رق لها بعض أهلها وأذنوا لها بالهجرة. وأخذت ابنها وبعيرها وذهبت تقصد المدينة وحدها، وتنوي أن تتبلغ بمن تلقى في الطريق. وتصادف في سبيلها عثمان ابن طلحة أخا بني عبد الدار. فسألها عن أمرها. ولما عرفه ابت له مروءته أن يتركها تضيع. فرافقها وسار بها إلى المدينة مرافقة الكريم الأمين.

ووصلت أم سلمة إلى المدينة ورجع عثمان بن طلحة إلى مكة. (130) وذلك قبل أن يسلم ويتسلم من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، مفاتيح الكعبة إلى يوم القيامة، ولعل أمانته ورفقه بمن ستكون فيما بعد أم المؤمنين قد أهله للفوز بهذه الوديعة الخالدة.

وبعد وفاة أبي سلمة كان لها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل خلف. فكانت من أهل مشورته (131) وممن حمل عنه العلم والحديث. كما كانت ممن ثبت معه في المواقف الحرجة، وأتاه جبريل في بيتها ورأته وظننته دحية الكلبي (132)

لقد مرت على رسول الله صلى الله عليه وسلم أوقات صعبة في جهاد المشركين وكان من أصعبها صلح الحديبية. وثقل هذا الصلح على المسلمين وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عقد الهدنة مع قريش

(130) الروض الانف 217 / 2 والإصابة : 222 / 8.

(131) صحيح البخاري : 164 / 3 والإصابة : 224 / 8.

(132) انظر الإصابة : 385 / 2.

وقبل أن يرجع عن مكة، وقبل أن يرد عليهم من جاءه من مسلمي مكة. ونفرت نفوس كثير من المسلمين من هذا الصلح، ولم يثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، في هذه الساعة إلا القليل. وكان ممن ثبت معه زوجه أم سلمة بنت أبي أمية. ولما انتهى أمر الصلح أمر النبي صلى الله عليه وسلم، الناس أن ينحروا وأن يحلقوا. أمرهم بذلك ثلاث مرات ولم يقم منهم أحد !! فدخل على أم سلمة وقص عليها ما لقي من أصحابه. قالت له أم سلمة، أرى يا رسول الله، أن تخرج إليهم ولا تكلم احدا منهم ثم تنحر بدنك وتدعو حالقك فتحلق. وخرج عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفعل ما أشارت عليه به فنحر وحلق وبادر أصحابه إلى أتباع ما فعل. فكان الرأي في هذه المرة ما أشارت به أم سلمة لا ما أشار به (133) الحباب.

وعاشت أم سلمة برهة من الزمن مع النبي في بيوت النبي عليه الصلاة والسلام. وكانت تتزعم قسما كبيرا منهن، وتتوسط إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أمورهن وأمور المسلمين وكانت تسأله عن الفرائض، وتعلم سائلها. وبقيت بعده نصف قرن تهدي بهديه وتحديثه. ولم تتدخل في سياسة الحكم. فكانت تقول أن جهاد النساء غض الأطراف وضم الذيول. وانها لا تهتك حجابا ضربه عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. (134) وكان من موالها علماء من أئمة الأمة. فمنهم شيبه بن نصاح وأبو ميمونة وهما من قراء المدينة الاعلام وكانا من أشياخ نافع بن أبي نعيم المدني المقرئ المشهور (135). وقد كان الحسن

(133) انظر صحيح البخاري 164 / 3.

(134) العقد الفريد : 62 / 5.

(135) الإصابة : 224 / 8.

البصري ابن مولاة لها. وتقول الروايات أنه كان عندها صغيرا وإذا خرجت أمه وبكى أخذته وأعطته ثديها فيدر عليه ويرضع منها اللبن. ويقول الناس أن فصاحة الحسن البصري وعلمه الواسع وورعه الشديد كل ذلك كان من بركة لبن أم سلمة، وليس هذا الأمر بغريب «فطعام الطيبين يطيب» وكذلك طعام الطيبات.

وقد روى عنها كثير من التابعين كما روى عنها ابنها سلمة وابنتها زينب بنت أبي سلمة (136) وهي التي كانت اسمها برة وسماها رسول الله صلى الله عليه وسلم، بزینب .

وكانت أم المؤمنين أم سلمة آخر من رآه الناس من نساء النبي عليه الصلاة والسلام. (137) وتقول بعض الروايات أنها توفيت عام تسع وخمسين وذلك في عهد خلافة معاوية، (138) والبعض يرى أنها أدركت خلافة يزيد بن معاوية ويؤيده حديث الترمذي أنها رأت رسول الله صلى الله عليه وسلم، في المنام وهو متأثر بقتل الحسين بن علي رضوان الله عليهما (139)

(136) الإصابة : 224 / 8.

(137) الإصابة : 225 / 8.

(138) الإصابة : 225 / 8.

(139) سنن الترمذي : 220 / 2.

(6) في بيت زينب بنت جحش

دخلت زينب بنت جحش بن رثاب الأسدية بيت النبي صلى الله عليه وسلم، بعقد زواج لم يكن كزواج اللواتي كن قبلها. فأمهات المؤمنين اللواتي دخلن في بيته قبلها قد زوجهن أوليائهن من آباء وأبناء، أما زينب فقد زوجها الله من فوق سبع سموات لنبيه ورسوله الكريم. ويحق لها أن تفتخر بهذه الميزة التي خصت بها عن جميع نساء النبي عليه الصلاة والسلام (140)

كانت قبله زوجا لزيد بن حارثة الذي كان يدعى زيد بن محمد وبعدهما قضى منها وطرا زوجها الله لرسوله، وتقول كتب التفاسير أن زيدا قد عوضه الله عن زينب أو عن انتسابه إلى الرسول بأن ذكره باسمه في كتابه الكريم وهي أيضا ميزة خاصة يحق أن يفخر بها كما فخرت زينب بزواجها.

وإذا كنا نجد في القرآن الكريم أسماء مثل فرعون وهامان فإن هؤلاء قد ضربوا مثلا لكفرهم ولبغيهم على الأنبياء، وذكرهم بأسمائهم إنما هو لزيادة بيان ما هم عليه من شر وطغيان. ونجد في القرآن في كفة ثانية أسماء الأنبياء المرسلين ونسمع منه التنويه بفضلهم والإشادة بانابتهم لله جل وعلا ولم يذكر غيرهم باسمه.

(140) صحيح البخاري 165 / 8.

وقد قيل في أبي بكر «إذ يقول لصاحبه» وقيل في عبد الله بن أم مكتوم «غير أولى الضرر» أما زيد فقد صار اسمه يتلى في الذكر للتبرك والتلاوة.

قبل هذا الزواج تخرج النبي صلى الله عليه وسلم، من زينب فأمر زيدا أن يمسكها عليه ولكن الله سبحانه وتعالى زوجها له «لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج ادعيائهم إذا قضوا منهم وطرا وكان أمر الله مفعولا.

أنعم الله على زيد بهذا الذكر، وأنعم عليه رسوله بالحرية وبالهداية إلى الإسلام، فرضى أن لا يتمسك بزینب ورضى أن يختار لها ما اختاره الله سبحانه.

ثم أبدى الله ما كان أخفاه النبي عليه الصلاة والسلام خشية أن يقول الناس أنه تزوج زوج ابنه وكان في الآيات التي نزلت عليه في أمرها نوع من العتاب حتى أن عائشة كانت تقول : «لو كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كاتما آية لكتّم هذه الآية التي نزلت عليه في أمر زينب» (141) لكن الله يعلم ما في قلب رسوله ويعلم عصمته وأنه لا يخشى غيره وكفى به حسيبا.

وقد أقر الله تعالى هذا الزواج ورضي به لرسوله، وأراد أن يطمئن إليه نبيه عليه الصلاة والسلام، ونهى الناس أن ينسبوا إليه من ليس بابنه وأن لا يؤذوه. وإن لا يغشوا بيوته من غير إذن، فإذا كان الرسول يدعوهم إلى بيته ومآدبه ويستحيى من اخراجهم عنه، فإن الله لا يستحيى من

(141) سنن الترمذي 152 / 2.

الحق، وينهاهم عن الدخول على الرسول بلا اذن ويأمرهم أن لا يستأنسوا بالحديث في بيته، وأن لا يسألوا نساءه متاعاً إلا من وراء حجاب. كل هذه الأوامر والنواهي قد نزلت في شأن زينب بنت جحش التي أراد الله لها أن تطمئن في بيت نبيه وأن تعيش أياماً ملؤها السعادة والسرور. كانت زينب بنت جحش أهلاً لهذا الامتنان، قال النبي عليه الصلاة والسلام انها كانت اواهة، (142). وقالت أم سلمة إنها كانت متعبدة تتصدق بعملها (143)، وقالت عائشة إنها قد عصمها التقى والورع (144). ونعرف من عائلتها اخوها عبيد الله الذي هاجر إلى الحبشة ولكن لم يهده الله إلى السير في طريق الإسلام فتنصر وبقي في الحبشة، وعبد الله الذي سنتحدث عنه عما قليل.

وقد توفيت أم المؤمنين زينب بنت جحش لعشرين سنة خلت من الهجرة (145) وكانت أول نساء النبي لحوقاً به، وأطولهن يداً بالصدقة والإحسان. (146) ولما رأى عمر بن الخطاب نعشها محمولاً قال : نعم خباء الظمينة وقد أثنت عائشة بنت أبي بكر على دينها الذي عصمها من كل مكروه. وكيف لا وهي التي اختارها الله لنبيه، وأنزل في شأنها آية الحجاب (147).

(142) أسد الغابة : 465 / 5.

(143) الإصابة : 668 / 7.

(144) صحيح البخاري 143 / 3.

(145) الإصابة 670 / 7.

(146) المصدر السابق : 669 / 7 وصحيح مسلم 249 / 2.

(147) أسد الغابة : 464 / 5 والشيخين والترمذي والنسائي انظر جمع الفوائد 253 / 2.

(7) في بيت أم حبيبة بنت أبي سفيان :

وهي رملة بنت أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف كانت ممن سبق إسلامهم. وهاجرت إلى الحبشة. ومعها إذ ذاك عبيد الله بن جحش بن رءاب الأسدي. أخو زينب بنت جحش. ولقد فارقت حين تنصر بالحبشة ورغب عن ملة الإسلام. «ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه، وهو في الآخرة من الخاسرين»

وعرض الله رملة خيراً من عبيد الله. فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. خطبها له النجاشي وأصدقها عنه. وكان وليها خالد بن سعيد بن العاص بن أمية وهو من مهاجري الحبشة. (148). وقدمت أم حبيبة المدينة ودخلت في بيوت النبي وانخرطت في سلك أمهات المؤمنين.

وأهل رملة من قريش معروفون. فهم الذين اشتهروا ببني أمية. وقد تعاقبوا على سدة الخلافة نحواً من قرن. وكان من صلحائهم ذو النورين عثمان بن عفان وعمر بن عبد العزيز بن مروان.

فقد حكموا وملكوا في الإسلام. ويريد بعض المؤرخين أن يبنوا لهم شرفاً في الجاهلية كذلك. ويحاول أن يثبت أن هناك نوعاً من التنافس كان بينهم وبين بني هاشم بن عبد مناف. والحق أن مجد بني

(148) الإصابة : 252 / 7.

أمية لم يكن إلا بعد عثمان بن عفان من بركته ومن سعيه. فهو الذي جمع شملهم المفلول، ووصلهم بالإسلام. ففي عهده ذكر الأعياص وفي عهد معاوية ذكر آل حرب ثم كمل بناء مجدهم في زمن بني مروان. فتغنت الشعراء بمدحهم وبذكرهم فهذا يقول :

أرجى من سعيد بني لؤى أخى الأعياص أمطار اغزارا
يلاقي نوءهن سرار شهر وخير النوء ما لاقى السرارا
وقال عبد الله بن الزبير الأسدي حين غضب على بن عبد الله بن
الزبير الأسدي القرشي .

أرى الحاجات عند أبي خبيب نكدن ولا أمية في البلاد
من الأعياص أو من آل حرب اغر كفرة الفرس الجواد (149)

وقد كان جرير فطنا يعرف طارف المجد وتالده فحين مدح عمر
بن عبد العزيز مدحه بالكرم والتقوى. ولما مدح هشام بن عبد
الملك بأجداده من قريش قدم أخواله من بني مخزوم قبل بني أمية.
وهشام أمه بنت إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزومي. وقد
قال فيه جرير :

وأورثك المكارم من قريش هشام والمغيرة والوليد
وفي آل المغيرة كان قدما وفي الأعياص مكرمة وجود
فجرير لم يذكر الأعياص إلا عرضا.

(149) تاريخ الخلفاء السيوطي : 199.

وإذا عدنا إلى القوم زمن الجاهلية لا نجد ما يبرر التنافس المزعوم بين بني هاشم وبني أمية فقريش تعترف بفضل بني هاشم، واسم هاشم عمرو وفيه يقال :

عمرو الذي هشم الثريد لقومه وهم بمكة مستنين عجاف (150).
كما تعترف بفضل عبد المطلب حافر زمزم وساقى الحجيج. وذكر بني أمية بمكة يبتدىء أكثره بأبي سفيان بن حرب. فهو الذي تكون له راية قريش إذا لم يتفقوا على أحد غيره. وقد كان أبو سفيان رحمه الله لا يرغب في اقتحام الحرب. فقد تخلف عن المشركين يوم بدر وكان الأهم عنده أن يؤمن تجارته (151) وجل دوره يوم أحد في الكلام. أما الذي استطاع أن يقتحم معترك المسلمين فهو خالد بن الوليد صاحب الأمانة في قريش. والذين كانت هند بنت عقبة تحرضهم يوم أحد. هم بنو عبد الدار وليسوا بني أمية (152) وفي غزوة السويق أثر أن يرمى بزاده مخافة أن يلحقه المسلمون (153) وأخلف وعده حين قال في أحد «موعدكم بدر». (154). وفي ليلة الأحزاب حاول أبو سفيان أن ينجو بنفسه وركب على جمل معقول فلم ينتظر أن يحل عقاله. (155) ولا ننكر أنه ذو رأي وتدبير. وأنه يحب الفخر ولعل التي كانت تحركه في هذه الطريق هي زوجته هند بنت عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس. وهي من قوم أولى عز وسيادة. ولكن فت اعضادهم أن الله لم يهدم إلى الإسلام فكانوا في القليب.

(150) سيرة ابن هشام 157 / 1.

(151) الدرر : 113.

(152) البداية والنهاية : 16 / 4.

(153) المصدر السابق : 344 / 3 الاكتفاء للكلاعي - مخطوط.

(154) المصدر السابق : 87 / 4.

(155) المصدر السابق : 113 / 4 الاكتفاء - مخطوط.

ولا نريد أن نسيء إلى رملة بذكرنا لهذه الحقائق التاريخية، فإننا نعتبر أم المؤمنين رملة من أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم، قبل كل شيء، وهي نفسها تقدر هذا الاعتبار. فهي التي طوت بساط رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن والدها حين زارها في المدينة وهو آنذاك لم يزل مشركا. وقالت انها ترضع ببساط رسول الله صلى الله عليه وسلم على المشركين (156) .

لقد اخلصت رملة لرسول الله عليه الصلاة والسلام فكانت حريصة على ارضائه وعلى نيل الخير منه. وهي التي عرضت على رسول الله أن يتزوج أختها لتشاركها في فضله وخيره، وابلغته أنها سمعت أنه سوف يتزوج بابنة أبي سلمة من أم سلمة وبين لها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ما سمعته غير صحيح وغير ممكن شرعا، فبنت أبي سلمة ربيبته وبنت أخيه في الرضاعة ثم أمرها وأمر نساءه أن لا يعرضن عليه أخواتهن أو بناتهن (157) وانتهت رملة وانتهى نساء النبي عليه الصلاة والسلام وعرف المسلمون ما حرم عليهم بالنسب والصهر والرضاع.

وتوفيت رملة عام أربع وأربعين وذلك في خلافة أخيها معاوية (158).

(156) الإصابة : 253 / 7.

(157) صحيح البخاري : 80 / 5.

(158) - الإصابة : 654 / 7.

(8) في بيت زينب بنت خزيمة

وهي زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة. وهي أم المؤمنين عامة وأم المساكين بالخصوص. عرفت برحمتها ورقتها بالضعفاء. (159) كانت قبل عبدة بن الحارث بن المطلب عند ابن عمها جهم بن عمرو بن الحارث. ثم استشهد عندها عبدة بن الحارث يوم بدر. وذلك في مبارزة مشهورة لا تزال تتغنى بأمرها الولائد إلى اليوم.

وبعد عبدة دخلت زينب في بيوت النبي فأجرها الله في مصيبتها. ورزقها خيرا من عبدة. وقد قيل أنها هي التي وهبت نفسها للنبي وأنزل فيها القرآن كما قيل أنها ابنة عمها ميمونة وبعض المفسرين يقول أن الواهبة هي أم شريك الأنصارية (160). ومن الجائز أن يكن كلهن وهبن أنفسهن كما أن التنكير في لفظ الآية قد يدل على التعدد. مع أن الذي شهره العلماء أنها خولة بنت حكيم التي كانت عند عثمان بن مظعون (161).

(159) الإصابة : 272 / 7.

(160) تفسير ابن كثير : 300 / 3.

(161) المصدر السابق : 300 / 3.

وما لبثت زينب بنت خزيمة أن أجابت داعي ربها. (162).
فكانت هي وخديجة بنت خويلد اللتين توفيتا في حياة رسول الله صلى
الله عليه وسلم من بين أزواجه أمهات المؤمنين. فكان لهما حسن الحفظ
إن كان الرسول عليه الصلاة والسلام شهيدا على حياتهما الإسلامية. ولقيت
زينب الله وهو عنها راض، ورضي الله عنهما وصلى عليها رسول الله عليه
الصلاة والسلام.

(162) . أسد الغابة : 466 / 5 والإصابة : 673 / 7.

(9) في بيت جويرية :

لقد كانت خزاعة دوما عينة نصح رسول الله، (163). لقد أسلم منهم البعض . والبعض ظل وفيًا لحلف عبد المطلب معهم. وكانوا يشبّطون عنه. ويرصدون له أخبار قريش ويستنجدونه في بعض الأوقات. ويفرحون ويتغنون بنصره على الأعداء. نورد من ذلك قوله عمر بن سالم الخزاعي قبل يوم الفتح.

يارب إني ناشد محمد حلف ايينا وأبيه إلا تلدا (164)

وقوله جمعة بن عبد الله الخزاعي بعد فتح مكة.

خطرنا وراء المسلمين بجحفل ذوى عضد من خيلنا ورماح (165)

وقول نجيد بن عمران الخزاعي :

ومن أجلنا حلت بمكة حرمة لندرك ثأرا بالسيوف القواضب (166)

ولكن بني المصطلق من خزاعة لم يكونوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل أبناء عموماتهم من بني مليح بن خزاعة وبني كعب بن ربيعة. وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ان الحارث بن أبي ضرار سيد بني المصطلق يستعد لغزوه. ويريد أن يظاهر عليه قريش ويفسد عليه في خزاعة.

(163) الاكتفاء - مخطوط.

(164) رواه الطبراني في الكبير - كذا في مجمع الزوائد 164 / 6.

(165) سيرة ابن هشام : 109 / 4.

(166) نفس المصدر ونفس الصفحة.

فسبقهم النبي بالغزو. وكانت غزوة المريسيع. (167). وفي هذه الغزوة، وقع حديث الافك المشهور. (168) وفيها أيضا أظهر الله عصمته لرسوله، وذلك أنه كان نائما في ظل شجرة، فأتاه بعض أعدائه من الأعراب وجرد سيفه وقال له : «من يمنعك مني فقال له النبي (الله)» وبهت الذي كفر، وشام السيف وأتاه المسلمون لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عفا عنه (169).

وفي هذه الغزوة أيضا سبيت برة بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية وصارت جورية أم المؤمنين (170).

وقد وردت في أمر جويرية روايتان، كلاهما طريفة قيل أنه لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم، من غزوة بني المصطلق أقبل الحارث بن ضرار بفدائها ولما وصل العقيق رغب في بعيرين من الابل التي ساقها للفداء، فغيبهما في شعب من شعاب العقيق. ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال يا محمد لقد أصبتم إبنتي وهذا فداؤها. فقال له النبي عليه الصلاة والسلام أين البعيران اللذان غيبت بالعقيق ؟ فقال الحارث أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله. فوا الله ما أطلع على ذلك إلا الله فأسلم الحارث وقومه وخطب عنده النبي جويرية فزوجها منه (171).

والرواية الثانية تذكر أن جويرية وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس وكاتبته لتفدى منه نفسها. ثم جاءت النبي صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها وقالت عائشة والله ما هو إلا أن رأيتها على

(167) أخرجه الطبراني في الكبير - كذا في مجمع الزوائد 142 / 6. وانظر الاكتفاء مخطوط.

(168) مسيرة ابن هشام : 9 / 4 والاكتفاء - مخطوط.

(169) صحيح البخاري 51 / 5.

(170) الإصابة : 365 / 7.

(171) سيرة ابن هشام : 9 / 4.

باب حجرتي فكرهتها وعرفت أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم. مثل ما رأيت. وكانت حلوة الخلق مليحة الوجه ثم دخلت على النبي وقالت : انا برة بنت العارث بن أبي ضرار سيد قومه. وقد أصابني ما لم يخف عليك وجئتك أستعينك على كتابتي. فقال : «فهل لك في خير من ذلك» ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال اقضي عنك كتابتك وأتزوجك. قالت نعم ! قال قد فعلت. وانتهى الأمر.

وشاع الخبر في المدينة، وتواصى الصحابة أن يعتقوا جميع سبي بني المصطلق إكراما لإصهار رسول الله. فاعتق منهم ما يزيد على المائة (172).

ودخلت جويرية بيوت النبي وانتظمت في سلك أمهات المومنين ورزقها الله خيرا من ابن صفوان الخزاعي. وأصبحت من اللواتي يمدهن الله الجنة في القرآن ويصلي عليهن جميع المسلمين.

وكان من بركة جويرية ان أسلم قومها وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم. الوليد بن عقبة بن أبي معيط ليأخذ صدقاتهم ولكنه لما رآهم اجتمعوا أمامه غلب الخوف على نفسه وعاد هاربا وادعى أنهم منوه الزكاة وهموا بقتله. وأراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يغزوهم من جديد حتى جاءوا وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم. بالذي كان من أمرهم وأمر الوليد.

ونزلت في هذه القصة : «يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق ينسب بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» (173). وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم. ان الوليد

(172) أخرجه أبو داود انظر تخريج السنن 393 / 5.

(173) أخرجه الامام احمد والطبراني في الكبير - انظر مجمع الزوائد 109 / 7.

كان كاذبا فاسقا وتمادى الوليد في فسقه العريق. فحينما ولاه الخليفة عثمان بن عفان، على العراق بدلا من سعد بن أبي وقاص، اثر الوليد هذا ان يظل على ما ألف من شرب وسفاهة، فكان يصلي بالناس وهو سكران. ويصلي الصبح أربعا ويقول للمصلين إن شئتم زدناكم. (174). وقد كان يحرص على أن يذكر ويمدح فهو الذي بعث إلى لييد بن ربيعة بنوق لا ندري هل هي من صدقات أهل الكوفة أم لا. وبعث مع النوق أبياتا من جيد الشعر. كل ذلك رغبة منه في أن يمدحه لييد، ولكن لييدا المعجوز رغب عن مدحه ووكل ابنته خماسية أن ترد على الوليد. وها هي أبيات ابن عقبة.

أرى الجزار يشخذ مديته إذا هبت رياح أبي عقيل
طويل الباع أبيض جمفري كريم المجد كالسيف الصقيل
ووفي الجعفري بما لديه على العلات والمال القليل

وهو يعني في هذا الشعر أن لييدا نذر أن ينحر كلما هبت الشمال وسميت هذه الرياح برياح أبي عقيل.

وهذا جواب خماسية بنت لييد :

إذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عند هبتها الوليدا
طويل الباع أبيض عشميا أعان على مروءته لييدا
بأمثال الهضاب كان ركبا عليها من بني حام قعودا

174) صحيح مسلم - كذا في جمع الفوائد 763 / 1.

أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الشريد
فعد ان الكريم له معاد وطني بابن عقبة أن يعود (175)

ولا ندري هل عاد الوليد أم ازدجر حينما حده عثمان ونصحه
المسلمون. أما نحن فنعود إلى جويرية لنذكر أنها عاشت بعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم. زهاء خمس وأربعين سنة ثم التحقت به (176)
رضوان الله عليها وعلى صواحبها.

(175) الأغاني : 94 / 14.

(176) —راجع الإصابة : 567 / 7.

(10) في بيت صفية بنت حيي

لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، دار هجرته ومدينة أنصاره كان فيها قبائل من اليهود محالفين لسكانها بني النجار وبني الحارث ابن الخزرج وبني عوف. وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لهم وثيقة انتظم بها شمل ساكني المدينة من مهاجرين وأنصار وحلفائهم من اليهود. وفي هذه الوثيقة ان كلا من هذه الجماعات على رحبته، ويعامل بالمعروف ومما فيها أن اليهود لهم دينهم وللمسلمين دينهم. وأنهم ينفقون مع المومنين ما داموا محاربين. ولا يخرجون عن المدينة إلا بإذن رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأن لا يظاهروا عليه المشركين. وأن لهم النصر والأسوة ان ظلموا وأن الظالم منهم لا يوبق إلا نفسه وأهل بيته (177)

واستمر على عهده حتى بعد بدر، بقليل، وتوجه أبو سفيان ابن حرب في جيش إلى المدينة. وساعده حيي بن اخطب زعيم بني النضير. سرا، ورفض استقباله علانية ثم أعطاه ما عنده من أسرار المسلمين وسمع النبي الخبر وتغاضى عنه مراعاة لمهده الذي قطع على نفسه. (178) ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، بني النضير في شأن ديتين تحملهما المسلمون لبني عامر. وكان العهد السابق الذكر يقتضي أن اليهود يعينون المسلمين في نوائبهم. ولما أتاها وعدوه بالإعانة وأضرروا

(177) سيرة ابن هشام : 241 / 2.

(178) سيرة ابن هشام : 136 / 3 والاكتفاء : مخطوط، والبداية والنهاية : 344 / 3.

الشر والغدر. فانتدبوا أحدهم أن يصعد على ظهر دار لهم ويلقي صخرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد جهلوا أن روح القدس لهم بالمرصاد وأن النبي عليه الصلاة والسلام قد عصم من أعدائه. فعرف النبي الخبر فرجع إلى المدينة وقرر إجلاءهم ففزاها وحاصرها. وأحرق نخلهم بإذن باعته ومؤيده. فأخربوا بيوتهم بأيديهم وفروا. وأورث الله المسلمين أرضهم وديارهم. وذل من ناصرهم من المنافقين وكفار قريش.

وهان على سراة بني لؤى حريق بالبويرة مستطير

قد فر بنو النضير إلى خيبر وكان على رأسهم حيى بن أخطب، وهو رأس الغدر ومعه كنانة بن أبي الحقيق ودان له أهل خيبر. (179).

وفي هؤلاء الفارين إمرأتان احداهما عرفها تاريخ الإسلام. وهي صفية بنت حيى وستحدث عنها عما قريب. والثانية عرفها تاريخ الأدب وسنمر عليها مر الكرام، وهي أم وهب صاحبة عروة بن الورد التي يقول فيها،

أرقت وصحبتى بمضيق عمق	لبرق في تهامة مستطير
إذا قلت استهل على قديد	يحور ربابه حور الكسير
سقى سلمى وأين ديار سلمى	إذا حلت مجاورة السدير
إذا حلت بأرض بني على	وأهلي بين ءامرة وكير
ذكرت منازل من أم وهب	محل الحي أسفل ذى النكير
واحدث معهد من أم وهب	معرسنا فوق بني النضير الخ (180)

وأما صفية بنت حيى فقد ذهبت مع قومها إلى خيبر. ومكثت هناك زهاء خمسة أعوام. وهي لا تعلم ماذا تهىء لها الأقدار. ثم صارت

(179) الاكتفاء - مخطوط. وسيرة ابن هشام 240 / 3.

والبداية والنهاية : 75 / 4.

(180) الروض الأنف : 252 / 3.

عند كنانة ابن أبي الحقيق. وتقول بعض الروايات أنها قصت عليه رؤيا رأتها وهي أنها احتضنت قمر السماء. فضربها كنانة قائلا أطمعين بملك قريش (181).

وبقى من بقى من اليهود حول المدينة يوالون عبدة الأوثان ويقولون أنهم اهدى سبيلا من المسلمين الذين يؤمنون بالله وحده وبرسوله جميعا. ويؤمنون بما أنزل الله من كتاب. فغدر بنو قينقاع، فحل بهم العذاب، ولم يبق إلا بنو قريظة. وقبل وقعة الأحزاب أتاها حيى بن أخطب من خيبر لا يحمله إلا الغدر. واحتال حتى دخل على كعب زعيمهم وحرّضه على مناصرة كفار قريش، ولم يزل يقتل في الذروة والغارب حتى قاده إلى عذاب الدنيا والآخرة (182).

وهزم الله الأحزاب وحده وكفى المؤمنين القتال. وذاق بنو قريظة مر ما صنعوا. وذاق حيى عاقبة ما اقترف. ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عرف أن أهل خيبر لن يفتأوا يظاهرون على المسلمين ويعينون أعدائهم من المشركين. فكان غزو خيبر وفتح الله فيه على المسلمين. وخربت خيبر. فلما صبحهم جيش رسول الله ساء صباح المنذرين. وقتل كنانة وسييت صفية بنت حيى، هي كانت عنده (183).

وقيل أنها كانت في سهم دحية الكلبي وعوضه رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها. ولما صارت في ملكه أعتقها وتزوجها (184). وهنا تظهر معجزة يجب أن نقف عندها قليلا. فصفية هذه قد قتل المسلمون أباهما وزوجها، وطردوا قومها من ديارهم، وغزوه في خيبر

(181) البداية والنهاية : 197 / 4 والاكتفاء - مخطوط.

(182) المصدر السابق : 103 / 4.

(183) المصدر السابق : 196 / 4.

(184) رواه أبو داود - انظر البداية والنهاية : 197 / 3.

واستأصلوهم وأخذت وهي أمة مملوكة بعدما كانت بنت سيد قومها. وها هي تسلم وتؤمن برسالة محمد عليه الصلاة والسلام. وهي راضية كل الرضا. فهي بنفسها تروي لنا خبرها.

تقول أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. اردفها خلفه وقد أضر بها التعب والنعاس وصارت جبهتها تضرب مؤخر الرجل فيمسها بيده ويقول : مهلا يا هذه مهلا يا ابنة حبي. حتى وصلوا الصبَاء قال لها : «أمانى اعتذر إليك يا صفة ماصنعت بقومك انهم قالوا لى كذا وقالوا كذا» ورضيت صفة بهذا العذر وقبلته. (185). ورضيت ان تدخل في بيته وأن تدين بدينه الحنيف. وكان بها برا رؤوفا. فإذا أرادت أن تتركب خلفه جلس عند بعيره فيضع ركبته. وتضع صفة رجلها على ركبته حتى تتركب وكان يوطأ لها خلفه بعباءته كي لا يتعبها السفر. (186). وحين سقط بها بعير ذات يوم وأتى أبو طلحة ليتأكد أن رسول الله عليه الصلاة والسلام لم يصبه أذى قال له النبي عليك بالمرأة. (187) كل هذا الرفق والحنان لم تنسه صفة وظلت تتحدث عنه فيما بعد وتقول : «ما رأيت قط أحسن خلقا من رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وبالطبع فإن هذه المعجزة لم تك فريدة من نوعها. فقد كان الإسلام في صدر الإسلام هو الرحم الوحيد. وكان المسلمون يحبون الله ورسوله محبة لا تترك مكانا لمحبة أولى الأرحام من غير المسلمين.

(185) شرح المواهب البدينية 231 / 1.

(186) صحيح البخاري 72 / 5.

(187) صحيح البخاري 109 / 7.

والأمثلة لهذا الأمر كثيرة جدا. ففي يوم بدر قتل عمر بن الخطاب خاله العاص بن هشام بن المغيرة (188) وقال أبو بكر أنه لو تمكن من قتل ابنه عبد الرحمن لقتله. (189) ولما مر مصعب بن عمير على أحد الأنصار وهو يقيد أخاه أبا عزيز وهو في الأسرى قال : «شدد على يده فإن أمه ذات مال وستفديه منك» (190) وفي غزوة المريسيع قال ابن عبد الله بن أبي لرسول الله صلى الله عليه وسلم دعني آتيك برأس أبي. وذلك حين بلغه قول هذا المنافق «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل» (191) وكان الإسلام حدا فاصلا بين الأقارب، وجامعا بين الأبعد. ونرى من براهين ذلك أن الابن حينما يسلم لم يعد يطبق الإقامة مع والديه المشركين. ولو عذبه ومن ذلك قصة أبي جندل بن سهيل في الحديثية (192).

ولما أسلمت صفية نسيت كل شيء من أمر قومها، وانمحت في بيوت النبي. ومن الطريف أن نلاحظ أن قد كانت بينها وبين رسول الله علاقات خاصة لم تكن بينه وبين سائر نسائه. ونراه وهو معتكف في المسجد لا يرغب أن يخالط نساءه فكان لا يأتي لبيته إلا لحاجة - وقد أراد مرة الاعتكاف في رمضان ورأى أخبية حول المسجد وفيها عائشة

(188) سيرة ابن هشام : 103 / 3.

(189) السيرة الحلبية 168 / 2.

(190) البداية والنهاية : 306 / 3.

(191) البداية والنهاية : 157 / 4.

(192) البداية والنهاية : 169 / 4.

وحفصة وزينب بنت جحش. فأنكر ذلك عليهن وقال: «البر تقولون بهن؟» (193) وترك الاعتكاف. ولكننا نراه في المسجد معتكفا وتزوره نساؤه ولما يردن الذهاب يأمر صفية بنت حيى أن تبقى معه ساعة. وحين تريد الذهاب من عنده يخرج معها يشيعها إلى باب المسجد. ويمر به رجلان من الأنصار ويسلمان عليه ويريدان الانصراف ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول لهما: «على رسلكما أنها صفية بنت حيى. ويكبر هذا الاعتذار عليهما ويقولان سبحان الله يا رسول الله» غير أنه يذكرهما أن الشيطان يجرى في الإنسان مجرى الدم. (194). ففي هذا الحادث نرى أمرين أحدهما تلك العلاقة الخاصة التي بينه وبين زوجته صفية، والثانية حرصه على أن يتجنب المسلمون مظان التهم، وموارد الشياطين.

ونجد هذه العلاقة فيما كان يخاطبها به الرسول عليه الصلاة والسلام. لقد كان يوجه إليها عبارات ظاهرها الدعاء عليها وهي في الحقيقة خطاب المقربين. ففي حجها معه بلغه أنها لا تستطيع أن تطوف فقال النبي عليه الصلاة والسلام: «حَلَقَى عَقْرَى أَوْ حَابَسْتَنَا هِيَ» (195) وقد ورد نوع هذه العبارة لعائشة في قوله لها: «تربت يمينك» (196) كما قال لأبي بصير «ويل أمه محش حرب» (197) فهذه العبارات تدل

(193) صحيح البخاري : 237 / 2.

(194) صحيح البخاري : 116 / 7.

(195) صحيح البخاري : 482 / 2 و 179 / 2.

(196) صحيح مسلم 412 / 1.

(197) صحيح البخاري : 168 / 3.

إما على نوع من الإعجاب مثل ما يخص أبا بصير أو نوع من إظهار
القرب وإسقاط التحفظ مثل ما وقع لصفية وعائشة.
وهذه هي صفية بنت حيى التي اصطفاها الله لرسوله واصطفاها
الرسول لتقيم معه ثلاث سنين وتحى بعده فى بيوته ستا وعشرين سنة
والتفحت به (198) وبقي إسمها خالدا حيا بين أسماء أمهات المؤمنين.
رضي الله عنها وعنهن جميعا.

(198) انظر الروايات فى تاريخ وفاتها فى الإصابة 742 / 7.

(11) في بيت ميمونة

وهي أم المومنين ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير من بني هلال بن عامر بن صعصعة. وأمها هند بنت عمرو التي اشتهرت بأصهارها الكرام الذين يضرب بهم المثل.

مضى عام بعد الحديبية وذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم وفقا للهدنة مع قريش. ووصل مكة وطاف معه قومه، وفي هذا السفر تزوج ميمونة الهلالية. (199) وقد روى ابن عباس أنه تزوجها وهو محرم (200) وقد نشأ عن حديث ابن عباس خلاف شديد بين الفقهاء. فأخذ منه أهل العراق جواز تزويج المحرم واستراحوا. لكن علماء أهل المدينة أقسموا بالله جهد إيمانهم أن زواج المحرم لا يحل. وأن ليس له أن يكون وليا ولا أحد الزوجين ولا أن يحضر مجلسهم أو يحوم حومتهم. واستدلوا بما روى أبان بن عثمان بن عفان عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينكح المحرم ولا ينكح ولا يخطب. (201) وقال سعيد بن المسيب زعيم فقهاء المدينة أن ابن عباس وهم في حديثه. وأن الصحيح أنه تزوجها وهو غير محرم. ومن أهل المدينة من فسر لفظة محرم في حديث ابن عباس بأنه في الأشهر الحرم واستدل بقول الشاعر :

199) البداية والنهاية : 233 / 4.

200) أخرجه الشيخان - كذا في جمع الفوائد 457 / 1.

201) صحيح مسلم : 398 / 1.

«قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً» (202)

ولا نطيل الكلام عن هذا الخلاف فنحن من حزب أهل المدينة
ونرى رأيهم.

وسبق أن ذكرنا القول القائل بأن ميمونة هي التي وهبت نفسها
للنبي وتقول رواية أخرى أنها وصلتها خطبته وهي على بعير فقالت :
البعير وما عليه لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم. (203) وهذا يدل على
الرضا، وبه يبرم العقد، وذهبت ميمونة من مكة مع الركب وحين وصلوا
سرفا وهو مكان بين مكة والمدينة دخلت بيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم. ومن غريب الصدف أنها لقيت ربها في هذا المكان نفسه.
وذلك في خلافة معاوية (204)

(202) الروض الأنف : 77 / 4 والبداية والنهاية 233 / 4.

والإصابة : 126 / 8.

(203) الروض الأنف : 78 / 4.

(204) الإصابة : 128 / 8 وأسد الغابة : 551 / 5.

خاتمة

هؤلاء هن أمهات المؤمنين وأزواج النبي اللواتي قال الله في أمرهن هذا القول :

«يا أيها النبيء قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين امتعكن وأسرحكن سراحا جميلا. وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما، يا نساء النبيء من يات منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيرا. ومن يقنت منكن لله ورسوله وتعمل صالحا نوتها أجرها مرتين واعتدنا لها رزقا كريما، يا نساء النبيء لستن كأحد من النساء ان اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا، وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا واذكرون ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة، ان الله كان لطيفا خبيرا» (205)

ومن هذه الآيات عرف نساء النبي أنهن نساء رسول الله وأن الله لا يريد أن يكن كأحد من النساء. فليس لهن أن يتفايرن حتى يفضبه ولا أن يظاهرن عليه، وليس لهن أن يراجعنه ويهجرنه، ولا أن يطلبن منه ما تطلب نساء الملوك منهم من حلى وحلل. وأمره الله أن يخيرهن

(205) تفسير ابن كثير 480 / 3.

بين الله ورسوله وبين الحياة الدنيا وبهجتها. وخيرهن النبي واخترن كلهن الله ورسوله عليه الصلاة والسلام. وامتلن كلهن أمر الله وأمر رسوله. وجازاهن الله في الدنيا والآخرة أحسن الجزاء. فقد قال لرسوله أن لا يحل له أن يفارقهن أو يتزوج غيرهن وهذا من أعظم جزاء الدنيا. وفي الآخرة أعد لهن رزقا كريما.

وبعد وفاة أزواج الرسول عليه الصلاة والسلام. بقيت بيوتهن كما هي عليه برهة من الزمن. فكان المسلمون يزورونها ويقبلون جدرانها وأبوابها.

وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

وفي عهد الوليد بن عبد الملك بن مروان أمر أن تدخل هذه البيوت في المسجد النبوي. وأدخلت فيه. ولما جاء كتابه بذلك ضج أهل المدينة بالبكاء وكان عليهم يوما عظيما وهم معذرون وحق لهم البكاء فلم يعودوا بعد ذلك اليوم يرون بيوت النبي كما كانت عليه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولن يروا تلك الجدران التي كان يستند عليها وكانت تسمع حديثه وتستتر أزواجه. ولن يروا أبدا بعد ذلك اليوم سقف الجريد التي كانت تظله وتكن نساءه ولا حجرته التي كان ينفرد فيها ويتناول أطراف الحديث مع جبريل عليه السلام. ويتلقى الوحي من رب البشر. ولن يروا تلك الأكسية التي كانت تحيط بهذه الحجرة ولا خشبات سريره المشدودة بالليف. ولا بساطه ووساده في

نفس المكان الذي كان يستريح فيه ويستعد منه لنشر نور الإسلام على الأرض ليبقى شعاعه خالدا يضيء لأبناء البشر جيلا بعد جيل.

ويعذر الوليد بن عبد المالك بن مروان في عمله. لقد أراد أن يدخل بيوت رسول الله في بيت الله.

المهاجرون الأولون

القسم الثاني

(1) المهاجرون الأولون :

1 - بنو هاشم وبنو المطلب :

نبدأ الحديث عن المهاجرين الأولين بعشيرة النبي الأقرين أي بالمهاجرين من بني هاشم وبني المطلب، ونحن في هذا الترتيب لا نتعرض لنظريات المفاضلة بين الصحابة عامة. أو بين الخلفاء الراشدين بالخصوص فرأينا في أفضلية أبي بكر هو رأي أهل السنة، ونظر أهل السنة في الخلفاء وفي غيرهم يتوقف على ما ثبت عن الرسول عليه الصلاة والسلام. وحينما دون عمر ابن الخطاب بدأ ببني هاشم ثم بأبي بكر، وقال : ان شرف العرب إنما هو من قبل محمد بن عبد الله نبي الله ورسوله.

سوف نرى في الفصل التالي بعض المواقف التي كانت لأبي بكر في صدر الإسلام وفي أثناء الظروف الحرجة التي كانت بعد التحاق الرسول صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى. وفي هذا الفصل سنستعرض قليلا - وقليلًا جدا - من عمل سيد المجاهدين علي بن أبي طالب، ثم نستعيد من ذاكرة التاريخ بعض الأدوار المجيدة التي قام بها سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب ، وجعفر بن أبي طالب وعمه العباس، وأبناء الحارث ابن المطلب وزيد ابن حارثة.

(2) علي ابن أبي طالب :

نستفتح بالامام والخليفة على بن أبي طالب نذكر أن أمه فاطمة بنت أسد ابن هاشم يقال انها أول هاشمية ولدت هاشميا (206). كنيته أبو الحسن وكناه رسول الله صلى الله عليه وسلم. بأبي تراب. وذلك أن النبي جاء فاطمة وقال : «أين ابن عمك. قالت جرى بيننا كلام وخرج مفضبا إلى المسجد. فذهب الرسول عليه الصلاة والسلام إلى المسجد فوجد عليا مضطجعا على الأرض. فجعل ينفذ عنه الغبار بيده ويقول : «قم أبا تراب ! قم أبا تراب !» (207).

أمه من المسلمات المهاجرات، توفيت في المدينة واعتنى الرسول صلى الله عليه وسلم بتجهيزها ودفنها (208)

أما أبوه، أبو طالب ، فإن تاريخه يرتبط ارتباطا وثيقا بنحو من خمسين سنة من حياة الرسول. لقد رأينا أنه احتضنه بعد وفاة عبد المطلب، واعتنى برعاية طفولته وشبابه، وبدت له منه ارهاصات عرفته أنه سيكون له شأنا، فحرص أن لا يفارقه في حضر أو سفر. وحين بلغ مبلغ الرجال، تولى تزويجه من خديجة، وظل يرقب تطور الأحداث في أمره، وحينما بعث رسولا وثارت عليه ثائرة قريش هب لنصرته والدفاع عنه، ولما توفي أبو طالب، حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لفراق عمه الحبيب أبي طالب الذي كفله صغيرا، ونصره -يافعما، وحماه رسولا

(206) مجمع الزوائد : 100 / 9.

(207) صحيح البخاري : 193 / 4.

(208) مجمع الزوائد : 257 / 9.

(209). أبو طالب الذي كبر عليه ما يلاقي ابن أخيه من قریش فسل
دونه سيفه ولسانه فهو الذي يقول :

إذا اجتمعت يوما قریش لمفخر فعبد مناف سرها وصميمها
وان حصلت أشراف عبد منافها ففي هاشم أشرافها وقديمها
وان فخرت يوما فإن محمدا هو المصطفى من سرها وكريمها (210)
وله في رسول الله صلى الله عليه وسلم، لاميته المشهورة نذكر منها
خطابه لقریش :

كذبتكم وبيت الله نسلم محمدا ولما نطاعن دونه ونناضل
ونسلمه حتى نصرع دونسه وندهل عن أبنائنا والحلائل
وينهض قوم بالحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاص
ومنها :

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاك من آل إليكم فهم عنده في رحمة وفواضل (211)
هكذا كان يقول أبو طالب وكان يفعل أحسن مما يقول، وإذا كان
الكلام قد كثر في إسلامه وعدمه، فإن أمامه رب رؤوف رحيم يخرج من
النار كل من في قلبه مثقال حبة من الخردل من خير، وفي قلب أبي
طالب كثير من الخير.

ولما أحس الرسول بما يلقي عمه أبو طالب من ضائقة اليد أراد أن
يخفف عنه مؤونة عياله، فأوى عليا في بيت خديجة (212) وتربى علي ابن

(209) البداية والنهاية 122 / 3.

(210) سيرة ابن هشام 10 / 2.

(211) سيرة ابن هشام : 13 / 2.

(212) سيرة ابن هشام : 1 / 285.

أبي طالب في هذا البيت أحسن تربية، فلقد كان من أول الناس إسلاماً، ويروى أنه أول من صلى مع رسول الله (213) ولازمه الرسول ملازمة الظل للجسم ودرس في مدرسة الأرقم ابن أبي الأرقم حتى صار باب مدينة علم الرسول.

عرف ابن أبي طالب بالبطولة والشجاعة، ذلك أن تفانيه في حياة الرسول يجعله لا يعطي لحياته الدنيا قيمة إلا بقدر ما تسهم في إعلاء كلمة الرسالة. فلقد نام في فراش النبي ليلة هجرته، لا يبالي أضربه قريش ضربة رجل واحد، أم لم يضربوه، ورد أمانات الرسول إلى أهلها، (214) وتجشم مخاطر الهجرة حتى التحق بالرسول في قباء. (215) وأثناء غزوات الرسول وسراياه، كان يحمل لواءه في كل مشهد، (216) يتحدى كل من يدعو إلى المبارزة ويخمد بسيفه كل من يريد اطفاء نور الإسلام. وثبت مع رسول الله يوم أحد وبايعه على الموت (217) ولقد رضى الله ورسوله عن علي. شهد له القرآن بالإيمان والرسول بالجنة. ولما جرت مشاجرة بينه وبين عقبة ابن معيط أنزل الله فيها قوله :

«أفمن كان مومناً كمن كان فاسقاً ؟ لا يستوون !! (218)

ولما أخى النبي بين المهاجرين، اثر علياً بأخوته ووضع يده على منكبه وقال أنت أخي ترثني وأرثك. (219). ولما خلفه على المدينة في

(213) الإصابة : 4 / 564.

(214) سيرة ابن هشام : 2 / 222.

(215) الدرر : 92، وسيرة ابن هشام : 2 / 237.

(216) أخرج الطبراني عن الحسن بن علي قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث علياً مبعثاً إلا أعطاه الراية. - مجمع الزوائد : 9 / 128.

(217) سيرة ابن هشام : 3 / 158.

(218) تفسير ابن كثير : 3 / 462.

(219) الدرر : 98.

غزوة تبوك، وقع في نفس علي من ذلك شيء، وقال لرسول الله أتخلفني في النساء والصبيان ؟ متسائلا هل كان استخلافه يعني أنه قد أخذ عليه ما يكره ، فتضاحك الرسول من قول علي : وخاطبه قائلا : «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لانيبي بعدي (220). وأعطاه الراية يوم خيبر وبصق في عينه فبرىء ما بها من رمد، وقال ان الله يحبه ورسوله، وفتح على يديه حصن خيبر (221)

وقال عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة : كان لعلي ما شئت من ضرس قاطع في العلم وكان له البسطة في العشرة، والقدم في الإسلام والعهد برسول الله صلى الله عليه وسلم، والفقہ في السنة والنجدة في الحرب، والجود في المال (222)

وهو مع هذا كله زوج فاطمة بنت محمد، بضعة الرسول عليه الصلاة والسلام، فقد كان يدعوه هو وفاطمة وحسنا وحسينا ويقول : «اللهم هؤلاء أهلي» أخرجه مسلم (223). وأخرج الترمذي والنسائي وابن ماجه عن حبشي بن جنادة. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «أنا من علي وعلي مني» (224). وقال عنه يوم غدير خم.

«من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (225)

(220) صحيح البخاري : 4 / 193.

(221) صحيح البخاري : 4 / 192.

(222) أسد الغابة : 4 / 22.

(223) صحيح مسلم : 7 / 130.

(224) سنن الترمذي : 2 / 215.

(225) البداية والنهاية : 7 / 335.

وبعثه قاضيا إلى اليمن ودعا له بتثبيت اللسان وهداية القلب.
(226) فهو باب مدينة العلم (227). ورابع الخلفاء الراشدين وأبو حفصة
رسول الله صلى الله عليه وسلم.

بويح له بالخلافة بعد عثمان، وتولى أمر المسلمين منه خليفة عدل
القضاء، وكريم النفس، كان يقسم ما في بيت المال ويجلس في محله
ويصلي (228) ويتمثل بقول عمر وذو الطوق اللخمي.

هذا جنائي وخياره فيه إذ كل جان يده إلى فيه

وبعد وفاة الرسول لم يخب شهاب الهجرة في نفس علي، ولم
يضعف نور الجهاد في قلبه، فكان الساعد الأيمن لأبي بكر، والسند
القوي لعمر بن الخطاب، والمستشار الأمير لعثمان بن عفان، ولما ثارت
الفتنة على عثمان جهد علي في إطفائها، ولما قتل، قال للغادرين : «تبا
لكم آخر الدهر» وحين بويح للخلافة أخذ مهامه بقوة وثبات. وأراد
أن يجعل من الحق المقياس الوحيد لعمله وسلوكه. ولما لاقى من الأمة ما
لقى، رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام. وشكى إليه ما يرى من
الناس، فكانت عاقبة أمره أن استشهد في سبيل إعلاء كلمة الرسالة
وسيرها على الجادة النبوية، فبدله الله خيرا من الناس، وأبدلهم الله شرا
منه. (229) وهو إلى كل هذه الخصال الشاعر الحكيم وقد قال المبرد أنه
كتب على سيفه :

(226) أخرجه الترمذي وأبو داود - انظر نيل الأوطار : 8 / 284.

(227) البداية والنهاية : 7 / 359.

(228) تاريخ الخلفاء : 179.

(229) تاريخ الخلفاء : 164.

للناس حرص على الدنيا بتدبير وصفوها لك ممزوج بتكدير
لم يرزقوها بعقل بعدما قسمت لاكنهم رزقوها بالمقادير
كم من أديب لبيب لا تساعده واحمق نال دنياء بتقصير
لو كان عن قوة أو عن مطالبة طار البزاة بأرزاق العصافير (230)
ويروي الفيروز اباذى فى القاموس المحيط، عازيا للمازني، ان علياً
لم يتكلم بشيء من الشعر ما عدا بيتين وهما :

تلكم قريش تمناني لتقتلني فلا وربك ما بروا وما ظفروا
فإن هلكت فرهن ذمتي لهم بذات ودقين لا يعفو لها أثر (231)
ولعل قريشا لم تنس ما كانت تلاقيه من ابن أبي طالب حينما
كانت تحارب الله ورسوله فتمنت قتله ولم تظفر به، وإنما فاز بالشهادة
على يد أشقى الناس عبد الرحمن بن جرموز (232) فترك داهية ذات
ودقين لا يعفو لها أثر إلى اليوم.

والحديث عن علي قد يطول، وكفاه فخرا أن جميع المنتمين إلى
النسب الشريف هم من سلالة. فابنه أبي العاص بن الربيع انقطع عقبها
بعد ابنها يحيى ابن المغيرة بن نوفل. وابن عثمان من رقية توفى
صغيراً. فيبقى ولله الحمد الشرفاء والسادة من أبناء الحسن والحسين،
وعقب زينب بنت علي ابن أبي طالب التي كانت عند عبد الله بن
جعفر بن أبي طالب وأبناؤهما هم : الزينبيون. وكانت أم كلثوم ابنة
علي من فاطمة عند عمر بن الخطاب ورزقت ولدين ماتا صغيرين ولم
يعقبا.

(230) تاريخ الخلفاء : 171.

(231) مروج الذهب 2 / 429.

(232) رواه الطبراني - كذا فى مجمع الزوائد : 9 / 145.

(3) حمزة بن عبد المطلب :

لقد سبقت مشيئة الله لابي جهل أن يسلك طريق الضلال، وأن يجعل في قلبه حمية الجاهلية.
ولقد أراد الله أن يهدي حمزة سبيل الرشاد وأن يجعل في قلبه غيرة الإسلام.

وهكذا كانت قصة إسلام حمزة بن عبد المطلب، بلغه أن أبا جهل نال من ابن أخيه محمد وآذاه ونال منه ما يكره، فسأقته الحمية، إلى عمرو بن هشام، فشجه بقوسه شجة منكرة، وبادر إلى محمد ابن عبد الله ليشهد أنه رسول الله وأنه جاء بالحق من عند ربه. كان ذلك في السنة السادسة من البعثة (233)

ولقد تضاعف سرور الرسول بإسلام عمه. وفرح بأن هداه الله إلى الدين القويم وفرح بإسلام أحد عشيرته الأقربين، يجمعهما شية الحمد من جهة الأباء، ويجمعهما عبد مناف ابن زهرة من جهة الامهات، اشتركا الصبا والرضاعة. (234). فعرف حمزة ابن أخيه صادقا وأميناً. وعرف محمد ابن عبد الله عمه وصولاً للرحم وفعولاً للخيرات (235). وفرح بمؤازره وأعز فتى في قريش، وأشدها شكيمة، كان بالأمس بطلا شجاعا يحب القنص، ويلهو في نوادي قريش وأصبح بعد إسلامه أسد الله وأسد رسوله. فتعزز به الرسول، وثبت به ركن الإيمان. فكان إسلامه، وإسلام عمر ابن الخطاب انتصاراً للمؤمنين. لقد كانوا من قبلهم قليلاً مستضعفين وبعد

(233) الطبقات الكبرى لابن سعد : 3 / 9 وسيرة ابن هشام : 2 / 34.

(234) الإصابة : 2 / 121.

(235) الطبقات : 3 / 13.

انضمامهما إلى المسلمين، عرفت قريش أنها لم تعد قادرة على إطفاء شعلة الإسلام بالقوة، فحاول زعمائها استعمال طرق جديدة، لصد الرسول عن مواصلة التبليغ وظل حمزة ناصرا ومجاهدا منتصرا من يوم أسلم حتى تقطعت أوصاله في سبيل الله.

وعقد له رسول الله عليه السلام، أول لواء في الإسلام حين بعثه في سرية سيف البحر من أرض جهينة (236)

وفي بدر فعل الأفاعيل التي ارتعدت منها فرائض دولة الكفر (237) هزم شيبة بن ربيعة في المبارزة، ومات تحت حد سيفه طعيمة ابن عدى وكفى الله على يده شر الاسود بن عبد الأسد المخزومي أحد المستهزئين، أعداء الرسول والإسلام (238).

وفي أحد استطاع أن يريح المسلمين من ثلاثين من الكفار المعتدين (239).

ثم شاءت الأقدار، أن تصيبه حربة وحشى غلام جبير بن مطعم، وينال حمزة إحدى الحسينيين، غير أن فوزه بالشهادة لم يك أمرا سهلا على المسلمين وإنما كان ثلما في سيوف المجاهدين (240). لقد استطاع قاتلوه أن يمثلوا به وأن ينتزعوا كبده من صدره وأن يضربوا حر وجهه وهو ميت (241).

(236) الطبقات : 3 / 9.

(237) سيرة ابن هشام : 3 / 41.

(238) سيرة ابن هشام : 3 / 103 والاكتفاء - مخطوط.

(239) الإصابة : 2 / 122.

(240) سيرة ابن هشام.

(241) الطبقات : 3 / 10 وسيرة ابن هشام : 3 / 171.

فرأى الرسول ذلك الأسد الهصور، والقائد الشجاع، والمؤمن الوفي
والعم الرفيق طريحا على أديم الأرض ممزق الاشلاء، فلا غرابة أن
يتعالى الحزن في وجهه وتجيئ عواطف الأسى في قلبه. فيفكر أن
يتركه كما هو، حتى يبعث من بطون السباع وحواصل الطير ويذكر
أخته صفية، وما قد يصيبها من الحزن، ويهاب أن يكون هذا التصرف
سنة من بعده (242) ويفكر في الثأر من قريش، وأنه سيمثل بسبعين
رجلا منهم. لكن ربه يسمع ويرى. ويأمر وينهى فنهاء عن تجاوز المثل
في العقاب، وأمره بالصبر وأعانه عليه (243). فأخبره جبريل أن حمزة قد
كتب في أهل السموات السبع، (244) فاطمأن الرسول وهان ذلك الحدث
الذي قال عنه : لن يصاب بمثله أبدا (245)

فأقر تجهيزه ونظر إلى الملائكة وهم يغسلونه. (246) ودفنه، بعد أن
وقف خلفه طويلا يدعو ويكبر : الله أكبر ! الله أكبر ! كرر الرسول هذا
التكبير سبع مرات وهو واقف خلف حمزة. ثم أمر بالشهداء فاجتمعوا مع
حمزة، وتكرر التكبير : الله أكبر ! تكرر سبعين مرة (247). ليس حمزة
مثل غيره، والصلاة عليه لا تشبه الصلاة على غيره.

ثم دفن حمزة، سيد الشهداء، وخاطبه الرسول : رحمك الله أي عم.
لقد كنت وصولا للرحم، فعولا للخيرات. ثم عاد الرسول إلى المدينة.
وسمع نساء بني عبد الأشهل يندبن موتاهن، فتذكر حمزة من جديد،

(242) الطبقات : 3 / 14 سيرة ابن هشام : 3 / 171.

(243) المرجعان السابقان - في نفس الصفحة.

(244) رواه الطبراني - كذا في مجمع الزوائد : 9 / 268 وسيرة ابن هشام : 3 / 171.

(245) الاكتفاء - مخطوط.

(246) الطبقات : 3 / 10.

(247) المصدر السابق : 3 / 11 وسيرة ابن هشام : 3 / 171.

وقال ولكن حمزة لا بواكي له ؟ فتحزمت نساء بني عبد الأشهل فأسين
بأنفسهن، وبكين على حمزة وتقول بعض الروايات أن نساء المدينة
بقين أمدًا طويلًا لا يبيكين على ميت إلا بعد البكاء على حمزة. (248)
ولم يقتصر البكاء على النساء، فإن ابن رواحة يقول فيه :

بكت عيني وحق لها بكاهها وما يغني البكاء ولا العويل
على أسد الإله غداة قالوا حمزة ذاكم الرجل القتيل ؟
أصيب المسلمون به جميعا هناك وقد أصيب به الرسول (249)

غير أنه إذا كان المصاب بحمزة يوم أحد كبيرًا، فإن من أصدق ما
قيل فيه قوله أخت بني دينار حين نعى لها زوجها وأخوها وأبوها. فقال
ما فعل رسول الله قالوا خيرا. ثم قالت أرونيه حتى أنظر إليه ولما رآته
قالت : «كل مصيبة بعدك جلل» (250) وهي تعني أن كل المصائب تهون
مادام الرسول حيا.

(248) المصدر السابق : 3 / 11.

(249) الاكتفاء - مخطوط والإصابة : 2 / 123.

(250) سيرة ابن هشام : 3 / 173.

4) جعفر ابن أبي طالب

لقد قلنا أن عليا بن أبي طالب سيد المجاهدين، وحمزة سيد الشهداء، ولا نبالغ إذا قلنا أن جعفر ابن أبي طالب سيد أهل الهجرة. لم يكتف جعفر ابن أبي طالب بالهجرة بنفسه وأهله إلى الحبشة، فقد قام بدور حاسم في تثبيت المهاجرين الأولين. وفي صد كيد المعتدين، ولم تكتف قريش بإذايتهم في مكة، وإرغامهم على الفرار بدينهم، فلقد بعثت أثرهم وفدا من زعمائها محملا بالهدايا، كي تستعيدهم، وتواصل التنكيل بهم، وتعذيبهم وتردهم عن دين الله. كان على رأس وفد قريش عمرو ابن العاص السهمي قبل أن يهديه الله للإسلام، وهو الذي عرف بالدهاء والمهارة والكيد. وفي أثناء سفارته جرت بينه وبين جعفر امام النجاشي محاورة كان لها ما بعدها في مصير المهاجرين.

قدم عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، وقدمما للنجاشي ما يعجبه من الهدايا الثمينة واستطاعا المثل بين يديه ليقولا له : «ان غلمانا سفهاء فارقوا دينهم في مكة وابتدعوا ديننا جديدا لانعرفه نحن ولا أنت، وطلبنا منه باسم أشراف قريش أن يردهم إليهم مرغمين. واستمال عمرو وعبد الله بطارقة النجاشي فأيدوا قولهم. لكن النجاشي لم يرض إلا أن يسمع من هؤلاء المهاجرين، قبل أن يبت في طلب قريش. وفي هذا المشهد العظيم. انتدب المهاجرون جعفر لينطق بالحكمة، وليحق الحق ويبطل الباطل. قال جعفر «أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسئ الجوار،

وياكل القوي منا الضعيف، فبعث الله إلينا رسولا نعرف نسبه وصدقه وأمانته، وعفافه. فدعانا إلى الله لنوحده، ونعبده، ونخلع ما كان يعبد آباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء. ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والصيام فصدقنا وآمنا به وأتبعناه... فعدا علينا قومنا، فمذبونا وفتنونا عن ديننا... وقرأ جعفر آيات من سورة مريم على النجاشي، فبكى حتى اخضلت دموعه لحيته، وبكى أساقفه حتى أخضلوا صحفهم (251) وخسرت سفارة قريش وربحت أعمال المسلمين المهاجرين.

عاد عمرو بن العاص بعد فشل سفارته، وبقي جعفر في جوار النجاشي يعبد ربه بطمأنينة وأمان، وتمر أعوام ويعود جعفر إلى المدينة ويصادف رجوعه فتح خيبر وقال الرسول عليه الصلاة والسلام، انه لا يعرف بأي الحادثتين أكثر فرحا، أبفتح خيبر أم بعودة جعفر (252)

عاد جعفر إلى المدينة مع أصحاب السفينة من أهله وأصدقائه، وكان من بينهم جماعة الأشعريين (253) وعاش جعفر في المدينة سنوات قليلة في رحاب الرسول، وهو ينظر منه إلى وجه مشرق، ويرى منه أخلاقا حميدة، فلا يخفى عنه اعجابه به ويقول له : اشبهت خلقي وخلقي (254). وهو تنويه ما قيل لأحد غير جعفر. ولقد كان أبو هريرة، يقسم أنه ليس في الصحابة مثل جعفر كرما، وأخلاقا، ويذكر أنه يقدم

(251) أخرجه الإمام أحمد - كذا في مجمع الزوائد : 6 / 27.

(252) سيرة ابن هشام : 4 / 52 وأسد الغابة : 1 / 287.

(253) صحيح البخاري : 4 / 228.

(254) صحيح البخاري : 4 / 193.

كل ما في بيته لزواره وأصدقائه ويقص أنه حين لم يبق في بيته تمر يفتح عكة التمر بالمواسي، ويطلب من الحاضرين أن يتبعوا بقايا آثار التمر في الوعاء. (255) وإذا كان جعفر لم ييخل بماله في سبيل المسلمين، فإنه لم ييخل بنفسه في سبيل الله، لقد سار في غزوة مؤتة، وعينه الرسول أميرا بعد موت زيد بن حارثة، وأثناء المعركة، استشهد زيد، وأخذ جعفر الراية براحتيه حتى قطعتا في سبيل الله، ثم احتضنها بين منكبيه وعاتقه، حتى لقي ربه في طريق الجهاد (256)

وبلغ الرسول موت جعفر، وبدأ الحزن على وجهه، وظهرت منه الرقة على آل جعفر (257) وثبته ربه تشبثا، فأوحى إليه أن الله استعداد لجعفر من يديه، جناحين في الجنة يطير بهما حيث شاء (258).

وكان جعفر من أرفع الشهداء، الذين قيل عنهم في القرآن الكريم : «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا، بل أحياء عند ربهم يرزقون، فرحين بما آتاهم الله من فضله، ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون». (259)

(255) صحيح البخاري : كذا في جمع الفوائد : 2 / 530.
(256) سيرة ابن هشام : 4 / 72.
(257) أسد الغابة : 288 و 289.
(258) أخرجه الترمذي والحاكم - كذا في فيض القدير للمناوي : 4 / 9.
(259) الآية 170 من سورة آل عمران.

5) العباس بن عبد المطلب : خاتم المهاجرين

«مقامك بمكة خير لنا، وأرجو أن تختتم بك الهجرة كما ختمت بي النبوة» (260). هكذا خاطب الرسول عليه الصلاة والسلام، عمه، وصنو أبيه، ووزيره العباس.

وهكذا كان العباس، فلقد ظل مناصرا لابن أخيه، ولمن اتبعه من المسلمين شاطر بني هاشم حصارهم في الشعب، وتحمل أذى قريش في نصرة قومه وحضر بيعة العقبة ليتأكد من عهود الأنصار لابن أخيه (261) وفي يوم بدر جاء العباس مع قريش مكرها على خروجه، فكان من بين الأسرى بات العباس يئن في وثاقه، وبات الرسول ساهرا يستمع إلى آثاته وحينما ذكر المسلمون مكانته من نبينهم، وشفقة النبي عليه، أرخوا من وثاقه، فسكت ألمه وأنيته فأمرهم الرسول بارخاء قيود جميع الأسارى (262). وهكذا امتثل الرسول أمر ربه بالعدل، ولو كان مع ذوي القربى.

ثم مثل العباس بين يدي الرسول، وكلمه في فدائه وقال انه خرج مع قريش مكرها. وكان أسر مع ابن أخيه عقيل بن أبي طالب. ونوفل ابن الحارث بن المطلب. وشكا العباس فقره وبين عذره. وعرف النبي من حاله ما عرف، فلم يرض إلا أن يعامله بمقتضى ما يرى الناس من ظاهر أمره (263)

(260) مجمع الزوائد : 9 / 269.

(261) سيرة ابن هشام : 2 / 189.

(262) أسد الغابة : 3 / 109.

(263) الروض الأنف : 3 / 84.

وعاد إلى مكة مطمئنا فرحا بسلامته، مبتهجا في نفسه بنصر ابن أخيه، وظل مقيما بمكة دون أن يعلن إيمانه فاحتفظ بعمارة المسجد الحرام، وسقاية الحاج. يتقوى به المسلمون في مكة ويتتبع انتصارات الرسول وغزواته، يفرح بما نال من نصر. ويحزن لما أصاب المسلمين من ضر.

كل هذا يدل على أنه امتثل ما رواه عن النبي في حلاوة الايمان :
وهو أن ترضى بالله ربا، وبالإسلام ديناً وبمحمد رسولا (264).

وفي غزوة الفتح اقتبل الرسول قبل وصوله إلى مكة، (265). وسفر بينه وبين أبي سفيان بن حرب. (266) وساعد في إقناع رجال قريش أن لا يعتبروا فتح مكة هزيمة لقريش. وإنما هو نصر للإسلام، وأن الإسلام خير لهم لو كانوا يعلمون. ثم شهد حيناً مع الرسول، وثبت في الجماعة التي ثبتت معه، ونادى بأعلى صوته، «أهل السمرة، (267) وهو يعني أهل بيعة الرضوان ليعودوا إلى الله ورسوله.

وبعد غزوة حنين بقليل، غادر العباس وأهله بطحاء مكة، واستقر في دار الهجرة في ظل ابن أخيه، الرسول الكريم. يواسيه بماله إذا احتاج إليه، ويفض بلفضه ويرضى لرضاه. ويقسم أن لا يدخل الإيمان قلبا لا يحبه (268) ويقول : من أذى عمي فقد أذاني (269)، ولقد

(264) أسد الغابة : 3 / 111.

(265) سيرة ابن هشام : 4 / 88.

(266) الدرر : 229 وسيرة ابن هشام : 4 / 90.

(267) الروض الأنف : 4 / 144.

(268) مجمع الزوائد : 9 / 269.

(269) أخرجه الترمذي في ستة : 2 / 519.

بسطة الرعاية النبوية على أسرته. فدعا لابنه عبد الله دعوة جعلته إمام التأويل وحبر الأمة. وأبا للخلفاء العباسيين (270).

وعاش العباس بعد الرسول سنوات تحفه الرعاية النبوية، ويحترمه الناس ويجلوه مستحضرين حسن سيرته، وما قال عنه الرسول : هذا عم نبيكم أجود قریش كفا وأوصلها (271). ولما أصاب المسلمين من الشدة ما أصابهم استسقى به عمر واستجاب الله لدعائه وفيها يقول حسان ابن ثابت :

سأل الإمام وقد تتابع جدبنا فسقى الغمام بغرة العباس
عم النبي وصنو والده السذي ورث النبي بذاك دون الناس
فسقى الإله به البلاد فأصبحت مخضرة الأجانب بعد اليأس (272).

ومن مهاجري بني هاشم وبني المطلب، لن ننسى عبيدة بن الحارث بن المطلب، الذي عقد له الرسول أول راية في الإسلام، (273) ولقد رأيناه يوم بدر من الذين بدأوا المعركة في المبارزة ضد أعداء الإسلام، فكان في صف حمزة بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب فهلك تحت حد أسياهم أبناء ربيعة بن عبد شمس.

وبعد هذه المبارزة أنزل الله تعالى قوله : «هذان خصمان اختصموا في ربهم فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رؤوسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم والجلود» (274)

(270) راجع أصل الدعاء في صحيح البخاري : 4 / 202.

(271) رواه أحمد والبخاري بنحوه - كذا في مجمع الزوائد : 9 / 268.

(272) أسد الغاية : 3 / 111.

(273) الإصابة : 4 / 425.

(274) تفسير ابن كثير : 3 / 212.

الآية. ثم يبين الله ما للذين آمنوا وعملوا الصالحات من نعيم. وكان من الذين آمنوا وعملوا الصالحات عبيدة بن الحارث. ويستدل بعض النحاة بهذه الآية على أن ضمير الجمع قد يعود على المثنى. ولا أرى أنه على إطلاقه. فالخصم قد يطلق على المفرد والجمع. ففي هذه الآية كانت التثنية بحسب اعتبار الخصمين. وكان الجمع بحسب اعتبار جميع المتخاصمين وهم ستة : حمزة وعلي وعبيدة وفي الجانب الثاني عتبة وابنه الوليد وأخوه شيبة. ومثال هذا التركيب قوله تعالى : «وَأَنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا». فالجمع بالنسبة للمؤمنين والتثنية بالنسبة للطائفتين.

وشهد بدرا مع عبيدة أخواه الحصين والطفيل وكلاهما ذو سابقة في الهجرة والجهاد كما شهدا أيضا ابن عمه مسطح ابن اثالة الذي أمر الله أبا بكر أن يعفو عنه ويصفح وأن يوتييه من فضل ماله. وكان عبيدة أيضا من آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهم أقاربه من آل هاشم وزاد الشافعي بني المطلب بن عبد مناف وهو مطلبى، ورأى محمد بن ادريس الشافعي يستند على أصول صحيحة. فقد كان بنو المطلب مع بني هاشم في السراء والضراء. كانوا معهم في حلف الفضول الذي قال عنه الزبير بن عبد المطلب.

ان الفضول تحالفوا وتعاهدوا أن لا يقر ببطن مكة ظالم أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا فالجار والمعتز فيهم سالم (275) وكان بنو المطلب مع بني هاشم في الشعب ولم يكن معهم غيرهم من أبناء عموماتهم (276) فتحملوا معهم مقاطعة قريش واذاهم.

(275) الروض الأنف : 1 / 157.

(276) الدرر : 56 وسيرة ابن هشام : 2 / 101.

وبعد فتح خيبر جاء عثمان بن عفان وجبير بن مطعم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا له أعطيت بني المطلب من خمس خيبر وتركنا ونحن بمنزلة واحدة منك فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنما بنو هاشم وبنو المطلب شيء واحد» (277). وانتهى الأمر وصدق الشافعي.

ومن موالى بني هاشم، كان حقا علينا، أن نلبث ساعة مع زيد بن حارثة. لقد أصابه سباء في الجاهلية حينما اغارت بنو القيس على قومه، وتداوله الملاك حتى بوأه الله مبعأ صدق بعدما أهداه حكيم بن حزام لخديجة بنت خويلد. وكان من حسناتها أن أهدته إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم - واشتد الحزن على والد زيد بن حارثة بن شراحيل الكلبي، فظل ردحا من الزمن يسأل عنه في كل موسم ويستنطق السهل والجبال بقى أعواما لا يجد عنه خبرا، وهو لا يفتأ يذكر زيدا ويقول :

أحن إلى زيد ولم أدر ما فعل أحن فيرجى أم أتى دونه الأجل

وأخيرا اكتشف حارثة أن ابنه لم يزل حيا يرزق، وسارع إلى الالتحاق به يقوده حبه وشوقه، ولقى حارثة ابنه عند محمد بن عبد الله ورغب إليه في فدائه. غير أن محمدا عرض عليه ما هو خير. فنادى محمد زيدا، وخيره بين المسير حرا مع أبيه وعمه وبين المقام معه في مكة. ولكم كانت دهشة حارثة وأخيه، لما سمعا من زيد أنه يريد أن يبقى عبدا في ملك محمد، بدلا من أن يعود إلى أهله. ذلك أن زيدا عرف من محمد ما لا يعرفه حارثة وأخوه. وحرص محمد بن عبد الله، أن يبث تلك

(277) صحيح البخاري، 4 / 53.

الطمأنينة في نفس والد زيد. فلما انتهى زيد من كلامه، طاف محمد
بملاً من قریش، وأشهد جمعهم قائلاً أن زيد ابني، يرثني وأرثه (278)
وغادر حارثة إلى أهله سعيداً بحياة ابنه ومطمئناً على مستقبله،
وظل زيد معه حتى بعث فكان من أول الناس إسلاماً. وحمد زيد عاقبة
أمره. فكان من أحب الناس إلى رسول الله عليه السلام. فما بعثه في
سرية إلا وهو أميرها. (279). وما بقي عنه إلا وهو خليفة عنه. (280) ظل
في رعايته مكرماً وسعيداً. يقرع الباب على رسول الله، فيقوم إليه
ويعتقه ويقبله (281) ولقد رأينا في معرض الحديث عن زينب بنت
جحش أن القرآن خصه بالتسمية على وجه التكريم، ولم يزل زيد
مجاهداً في سبيل الله ورسوله حتى رزق الشهادة في غزوة مؤتة.
ومن حلفاء بني هاشم نذكر مرثد بن أبي مرثد الغنوي، الذي كان
حليفاً لحمزة بن عبد المطلب وشهد بدراً واستشهد في غزوة الرגיע
(282).

(278) أسد الغابة : 2 / 534 وسيرة ابن هشام : 1 / 286.

والطبقات : 3 / 40.

(279) أسد الغابة : 2 / 226.

(280) قالت عائشة : ولو بقي بعده لاستخلفه الطبقات : 3 / 46.

وأسد الغابة : 2 / 226 والإصابة : 2 / 601.

(281) أخرجه الترمذي في سننه 2 / 98.

(282) . الطبقات : 3 / 48 والإصابة : 6 / 70.

(2) مهاجرو بني تيم بن مرة

(1) أبو بكر بن قحافة

بعدما وقر الإيمان في صدر أبي بكر ابن أبي قحافة، وبعدما أسلم على يده جماعة من أقاربه وأصدقائه ومن بينهم ابن عمه طلحة بن عبيد الله - أصبحت تيم كلها في عداد المسلمين - ولم يلق الإسلام منهم لا خصومة ولا عنادا. فلم يذكر منهم أحد من المستهزئين، ولم يتزعم أحد منهم حركة قريش في بدر، ولم يغز أحد منهم مع الكفار في يوم أحد

كل ذلك من بركات آل أبي بكر، ومن فضل الله على أبي بكر. لقد كان أبو بكر أول من آمن من الرجال وأول خليفة من المسلمين. عرف المسلمون فضله وأجمعوا عليه، عرفوا أن الله سبحانه وتعالى ذكر صحبته في القرآن حين كان ثاني اثنين إذهما في الغار. كما نزل فيه : «وسيجنبها الاتقى الذي يوتي ماله يزكى، وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى ولسوف يرضى» (283). كما عني في أول هذه السورة بقوله تعالى : «فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى» (284).

(283) أخرجه البزار - كذا في تاريخ الخلفاء : 45
(284) المصدر السابق.

رضي الله إذا عن أبي بكر وقال انه صدق بالحسنى، وأنه غاية في التقوى وأنه كان ينفق ما له ابتغاء وجه الله ووعد ربه بأنه سوف يرضيه ولن يخلف الله وعده. وليس كل هذا ما نزل فيه من القرآن، فهو من «صالح المومنين» (285) وهو الذي صدق بالصدق إذ جاءه (286) فهو أبو بكر الصديق.

عرف المسلمون مكاتته عند الله وعند رسوله. «لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلاً» هذا ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم، في أبي بكر. ثم عوضه عن مقام الخليل بأخوة الإسلام. (287) وقال : إن أمن الناس على في صحبتته وماله أبا بكر (288)

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول : «من أنفق زوجين من الأشياء في سبيل الله دعى من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير. فمن كان من أهل الصلاة دعى من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعى من باب الصيام» فقال أبو بكر : ما على من يدعى من تلك الأبواب من ضرورة. فهل يدعى منها كلها أحد يا رسول الله ؟ قال نعم، فارجو أن تكون منهم يا أبا بكر». (289) وسيحقق الله رجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في صاحبه وخليفته أبي بكر.

(285) أخرجه الطبراني - المصدر السابق.

(286) أخرجه البزار - المصدر السابق.

(287) صحيح البخاري : 4 / 177.

(288) صحيح البخاري : 4 / 177.

(289) صحيح البخاري : 4 / 179 وصحيح مسلم : 1 / 281.

والأحاديث في فضل أبي بكر كثيرة، والصحابة كلهم يعرفون منزلته عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذات يوم جرى بينه كلام مع عمر بن الخطاب. ولم يعذر عمر أبا بكر فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما وقع فجعل وجهه يتمعر حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبته وقال : «يا رسول الله أنا كنت أظلم منه». فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «ان الله بعثني إليكم، فقلتم كذبت، وقال أبو بكر صدقت، وواساني بنفسه وماله فهل أنتم تاركوا لي صاحبي» فما أودى أبو بكر بعدها (290)

وبم نال أبو بكر ما نال ؟ الجواب سهل. فإذا كان أمية بن خلف رأس الكفر في مكة، فقد كان أبو بكر رأس الإسلام. لقد عرف رسول الله قبل رسالته صادقاً أميناً. ولما أرسل إليه ودعاه إلى الله، صدقه وأمن به إيماناً ثابتاً لم يتطرقه الشكوك أبداً. فهو لم يفت أصحابه بكثرة الصوم والصلاة ولكن بما وقر الله في صدره من رسوخ الإيمان وثبوته. فهو الذي ثبت يوم الحديبية وهو يوم شديد. وثبت يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يوم أشد. وثبت حين ارتدت العرب في كل مكان ولم يبق على الإسلام إلا أهل المدينة ومكة، ثبت أبو بكر في كل هذه المواقف ثبوت الجبل الشامخ. وتيقن حق اليقين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، سوف يحج بعد الحديبية. (291) وعلم أن رسول الله قد مات، وأن الله حي لا يموت وتذكر قوله تعالى : «أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم» الآية (292) وبذلك أنقذ المسلمين. ولم يرض

(290) صحيح البخاري : 4 / 178.

(291) أخرجه الشيخان - كذا في جمع الفوائد : 2 / 128.

(292). أخرجه البخاري - المصدر السابق : 1 / 137.

الاعتقال أهل الردة، وأقسم أن لا يفرق بين الزكاة والصلاة وإن يقاتلهم على عناق كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال عمر بن الخطاب، وما هو إلا أن شرح الله صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. (293) فعلى يد أبي بكر انتصر الإسلام في نشأته بمكة وقوى بتأييد رسول الله واستمر على يده بعد وفاة رسول الله عليه الصلاة والسلام.

وفضائل أبي بكر في خدمة رسول الله معروفة أيضا. ورسول الله صلى الله عليه وسلم، مكث عشر سنين يلاقي المتاعب والمشاق من قريش وغيرهم، ومن أول يوم من الرسالة كان أبو بكر صاحب البر والمواسى الجواد. فكان يسير معه حين يذهب إلى أهل المواسم ليعرض عليهم الإسلام. (294) ولما أراد الهجرة استنظره رسول الله حتى خص برفقة النبي عليه الصلاة والسلام في هذه الرحلة الخالدة. وحينما كان أبو بكر يقص حكاية الهجرة وما لقيا فيها من خير وبركة، نراه يورد في قوله جملة تنبؤنا عما يضره لرسول الله صلى الله عليه وسلم، من حب صادق، لقد قال أبو بكر أنهم وجدوا راعي غنم يعرفه وطلبوا منه شرابا ولما حلب منها قال أبو بكر فزدت اللبن من الماء وأعطيت رسول الله فشرب حتى رضيت (295) ان هذا القول يدل على أن أبا بكر كان يحس بنفسه بجميع أحوال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو في مثل هذه الصفة مثل الأم التي اشتهرت بحب ابنتها والتي كانت تقول حين تسأل عن حال ابنتها، «اني يؤلمني رأسها». ولا ريب أن حب أبي بكر لرسول الله لا يقاس بحب.

(293) صحيح البخاري : 8 / 47.

(294) سيرة ابن كثير : 2 / 163.

(295) صحيح البخاري : 4 / 167.

وقد يطول القول إذا أردنا ذكر فضائل أبي بكر لكن لا يسعنا أن
لأنذكر منها شراءه وعتقه لبلال مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(296) لقي بلال من أمية بن خلف ما لقي من العذاب في دينه. وصبر
على دين الأحد، وأنقذه الله بفضل أبي بكر. واستطاع بلال أن يأخذ
ثأره من أمية يوم بدر (297) وأن يظل يؤذن في مسجد رسول الله صلى
الله عليه وسلم. وبعد وفاة النبي ترك الأذان وذهب إلى الشام، ولما أتى
عمر ابن الخطاب إلى الشام، وهو في خلافته، أمر بلالا أن يؤذن فأذن
فبكى عمر وبكى المسلمون معه. بكوا حينما سمعوا ذلك الأذان الذي
ألفوه في أيام رسول الله. وذكروا من كان يقول لهم أن سين بلال عند
الله شين. وذكروا صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وتذكروا رسول
الله ويقول الشاعر :

«والذكريات صدا السنين الحاكي»

وأعتق أبا اليقظان عمار بن ياسر بعدما لاقى هو وأبوه وأمه من
هول الفتنة والتعذيب ما لا قوه. (298) ولقد استشهدت أمه سمية، وأذيق
أبوه من الآلام ما أذيق. ولقد كان الرسول عليه الصلاة والسلام يمر
عليهم، ويرثى لحالهم، ويتذكر أنهم يعذبون في الله، وأن الله ينظر إليهم،
نظر العزيز المقتدر، الذي كتب عليهم أن يفتنوا في دينهم، وأنه أعد لهم
الجنة (299)

296) قال عمر : أبو بكر سيدنا وأعتق سيدنا - يعني بلالا أخرجه البخاري - كذا في جمع
الفوائد : 2 / 546.

297) سيرة ابن هشام : 3 / 41.

298) سيرة ابن هشام : 2 / 68.

299) مجمع الزوائد : 9 / 293.

وأعتق عامرا ابن فهيرة من المستضعفين. (300). ومن الله عليه بأن جعله من الذين رافقوا رسوله في هجرته. كان يرعى غنم أبي بكر. ويظل في مكة يتحرى أخبار قريش. ويسوق غنمه على أثر عبد الله بن أبي بكر الذي يتردد على الرسول وصاحبه في الغار. (301) وشهد عامر بدرا. وفاز بالشهادة في بير معونة (302).

لقد سبق أن ذكرنا أن أبا بكر كان أول خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال علي ابن أبي طالب، نظرنا في أمرنا بعد رسول الله فوجدنا رسول الله قد رضى أبا بكر لديننا فرضيناه لدينانا. (303) أجل ، لقد ارتضى النبي أبا بكر للدين، وقال لما اشتد به الوجد مروا أبا بكر فليصل بالناس. وراجعتة عائشة وحفصة وقالتا ان ابن أبي قحافة رجل رفيق قد لا يسمع الناس في صلاته، وأنكر النبي هذه المراجعة، وقال انهن صواحب يوسف، وأكد أمره بتقديم أبي بكر للصلاة. (304) وهو يعلم أنه أرحم أمته بأمرته ورأى المسلمون في هذا عهدا لخلافته. كما يروى أن امرأة قالت للنبي، إذا رجعت فلم أجذك، معرضة بالموت، فقال : فألقى أبا بكر. (305) ويزيد بعض الرواة أنه هم أن يكتب له عهد الاستخلاف. ثم اكتفى بقوله : معاذ الله أن يختلف المومنون في أبي بكر. (306) وسواء كانت الرواية صحيحة أو غير صحيحة، فإن المومنين لم يختلفوا على أبي بكر. لقد بايعوه ، وسمعوا منه وأطاعوه.

(300) سيرة ابن هشام : 2 / 68.

(301) صحيح البخاري : 4 / 238.

(302) سيرة ابن هشام : 2 / 68.

(303) وأسد الغاية : 3 / 216.

(304) صحيح البخاري : 8 / 137 و 1 / 152.

(305) صحيح البخاري : 4 / 177.

(306) الطبقات : 3 / 180.

لقد علموا أنه صاحب الوفي لرسول الله، الرحيم بالامة، القوي في أمر الله، فالضعيف عنده قوى حتى يأخذ له بحقه، والقوي عنده ضعيف حتى يأخذ منه الحق، (307) بويع له وداره في السنج قرب المدينة، غير أن أمور المسلمين منبته، ففرضت له الأمة ألفين وخمسمائة درهم لمعاش أهله. وظل في داره تروح عليه قطعة من غنم يحلبها بيده. (308) ويحكى أن جارية من جاراته، لما سمعت يبعته تساءلت عن سيحلب لها شيأها. فقال أبو بكر بل لاحلبنها وأني لأرجو أن لا يغيرني ما دخلت فيه من خلق (309)

فسار في المسلمين سيرة النبي، رحيمًا بالمومنين، شديدًا على أهل الكفر وعلى الردة. حارب المرتدين وانتصر عليهم ووضع الأسس الأولية للخلافة. وعين عمرًا للقضاء وأبا عبيدة للفيء. (310). وحج بالناس وسأل عن مظالمهم، وأنصف المظلومين ولم تطل بأبي بكر الحياة بعد الرسول فبعد سنتين وأشهر، توفي أبو بكر وترك عهدًا بخلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنهما (311)

هذه هي بعض فضائله وبعض سيرته.

وصدق عنه قول حسان ابن ثابت :

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فاذا ذكر أخاك أبا بكر بما فعلا
خير البرية اتقاها وأعدلها بعد النبي وأوقاها بما حملا

(307) البداية والنهاية : 6 / 301 والطبقات : 3 / 182.

(308) الطبقات : 3 / 185 و 186.

(309) الطبقات : 3 / 186.

(310) الطبقات : 3 / 184.

(311) تاريخ الخلفاء : 76.

والثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس قدما صدق الرسلا
وثاني إثنين في الغار المنيف وقد طاف العدو به إذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا من البرية لم يعدل به رجلا

وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم، شعر حسان في أبي بكر
وضحك حتى بدت نواجذه وقال صدق حسان (312).
ولنقل الآن كلمة قصيرة عن آل أبي بكر. فله من البنات عائشة
التي تحدثنا عنها في بيوت النبي، وأسماء ذات النطاقين وهي التي
كانت عند الزبير بن العوام.

ومن أولاد أبي بكر محمد بن الخثعمية أمه أسماء بنت عميس وقد
تربى في حجر علي بن أبي طالب، (313). وابنه القاسم من أعلام الفقهاء
الأفاضل. وعبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، وكان يوم بدر مع قريش
ثم أسلم وحسن إسلامه. «ومن يشابه أباه فما ظلم». ومن أبناء عبد الرحمن
ابن أبي بكر عبد الله ومحمد المسمى بابن أبي عتيق. وكان عبد الله
ابن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر يعرف أيضا بابن أبي عتيق.
وهو من فتيان قريش وظرفائهم. اشتهر بمعرفة الشعر ونقده، وبحسن
المحاضرة والفكاهة.

وكان ابن أبي عتيق هذا صديقا لعبد الله بن جعفر ابن أبي
طالب، وهو الذي قال له عبد الله بن جعفر يوما لو غنتك جاريتي فلانة
صوتا ما أدركتك حياتك، فقال ابن أبي عتيق قل لها تفعل، وليس عليك
إن مت ضمان فغنت الجارية :

(312) الطبقات : 3 / 174.

(313) اسد الغابة : 4 / 324.

بهواك صيرني العذول نكالا وجد السبيل إلى المقال فقالا
ونهيته نومي عن جفوني فانتهي وأمرت ليلي أن يطول فطالا
فرمى ابن أبي عتيق بنفسه إلى الأرض وقال :
«فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر»
وَبَعَثَ ابْنُ أَبِي عَتِيقٍ بَعْدَ مَوْتِهِ هَذِهِ، وَتَنَاوَلَ عِنْدَ صَدِيقِهِ عَبْدِ اللَّهِ
شَرَابًا مِنْ عَسَلٍ مَمْزُوجٍ بِالْمَسْكِ وَالْكَافُورِ، وَلَمَّا طَرَبَ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ وَغَنَى :
سَقُونِي وَقَالُوا لَا تَغْنِ وَلَوْ سَقُوا جِبَالَ حَنِينٍ مَا سَقُونِي لَغْنَتِ

(2) طلحة بن عبيد الله

بعد أبي بكر ننتقل إلى ابن عمه وقرينه طلحة ابن عبد الله وهو من سادة قريش وأجوادهم. جده من أمه وهب بن عبد بن قصي صاحب الرفادة. قال عنه النبي عليه الصلاة والسلام :

«من أراد أن ينظر إلى شهيد على وجه الأرض، فلينظر إلى طلحة (314)

هذه شهادة رسول الله عليه الصلاة والسلام، لطلحة ابن عبيد الله. الذي ثبت معه يوم أحد، حينما ثقل الأمر على المسلمين، وحينما كانت المصيبة عليهم شديدة يوم التقى الجمعان (315) فلقد أصيبوا سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، واستشهد منهم عشرات نذكر من بينهم عبد الله ابن جحش، وسعد بن الربيع، ومصعب بن عمير، وصرخ الكفار بأن الرسول قد مات، واستزل الشيطان بعض المسلمين، فخرجوا عن الميدان.

في هذا المقام الحرج، كان طلحة قريباً من الرسول، يرمي بنباله بين يديه، وينصب كفه ترساً لتقى الرسول من نبال قريش. (316) وإذا كان مالك ابن زهير قد أصاب يد طلحة بالأذى، وإذا كان أعداء الإسلام قد تركوا فيه أربعاً وعشرين جراحة، فإنهم لم ينالوا من إيمانه وكرمه شيئاً. بذل نفسه في الدفاع عن دينه ورسوله فاستحق الشهادة قبل أن يموت.

(314) أخرجه الترمذي في سننه : 2 / 217.

(315) الطبقات : 3 / 217.

(316) صحيح البخاري - كذا في جمع الفوائد : 2 / 522.

بشره راهب بصرى ببعثة الرسول من مكة وأخبره أنه سيهاجر إلى أرض فيها سباح وحررة. (317) وعلم بإسلام أبي بكر فأسلم على يده.

كان طلحة من الخمسة الأولى الذي أسلموا. (318) ومن العشرة المشهود لهم بالجنة ومن أصحاب الشورى الستة. كان طلحة من المهاجرين الأولين، التقى بالرسول وصاحبه أبي بكر في طريقهما إلى المدينة وهو قادم من الشام فأهدى لهم ثيابا، وتابع طريقه إلى مكة ليعود بأهله وأهل أبي بكر إلى دار الهجرة. (319) شهد كل المشاهد مع النبي، ويعد ممن حضر بدرًا لأنه تخلف عنها في بعثة أرسلها الرسول لتحسس أمر قريش. فكان له في بدر نصيبه من الغنيمة والأجر (320).

وعاش طلحة طيلة حياة الرسول مهاجرا في المدينة، ومجاهدا في سبيل دينه. يروى علمه ويتبع أمره ونهيه. فأنعم الله عليه بالصحة والسعة في الرزق، فكان من أهل الدثور المنفقين فقد قيل أنه باع أرضا بسبعمائة ألف درهم، بيد أنه خاف أن تبیت معه في بيته ففرقها في ليلة واحدة بين فقراء المدينة. (321) ولم تنقص الصدقة من ماله حيث أنه ترك مئات آلاف الدراهم والدنانير (322)

وفي أواخر عهد عثمان بن عفان، وأول خلافة علي بن أبي طالب، حينما اضطرب أمر المسلمين، ودبت فيهم حركات الفتنة والشغب، كان

317 الإصابة : 3 / 530 والطبقات : 3 / 215.

318 سيرة ابن هشام : 1 / 288.

319 الطبقات : 3 / 215.

320 الطبقات : 3 / 216.

321 الطبقات : 3 / 220.

322 الطبقات : 3 / 221.

طلحة والزبير بن العوام مع عائشة أم المؤمنين على خلاف مع علي بن أبي طالب.

ولقد اقتضت ظروف وعوامل تاريخية أن تنشب هذه الفتنة بين المسلمين في خضم معترك تحركه عصبية مختلفة. وكان طلحة طرفاً في هذا الخلاف، وكان من قضاء الله أن يقتل في هذه الفتنة الأليمة. وإذا ما عدنا إلى أحداث أحد، وشهادة الرسول له بالشهادة فإننا ندرك الحكمة في قوله عليه السلام. انه شهيد على وجه الأرض.

وتقول بعض الروايات أن مروان رماه بسهم فقتله انتصاراً لعثمان. (323) كما يروى أيضاً أن طلحة كان يقول : (اللهم خذ مني لعثمان حتى ترضى) (324) ويقول ابن سعد أن عبد الملك بن مروان قال لولا أن مروان أخبرني أنه هو الذي قتل طلحة، لم أترك أحداً من أبناء طلحة إلا قتلته بعثمان (325).

وفيما يخص أمير المؤمنين علياً بن أبي طالب، فإننا نعرف أنه كان حريصاً على لم شمل الأمة، وجمع كلمتها في سبيل الحق، وأنه كان يقدر طلحة أكبر التقدير. ولما وفد عليه ابنه عمران بعد مقتل طلحة فرد عليه أمواله، وقال اني أرجو أن أكون أنا وطلحة من الذين قال الله تعالى عنهم : «ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين» (326) ولن يخيب الله رجاء علي من طلحة.

ومن أبناء طلحة عمران هذا. وبعدهما هدأ روع حمنة بنت جحش بعد مصعب بن عمير، ومضت

(323) أسد الغابة : 3 / 360 والطبقات : 3 / 223.

(324) أسد الغابة : 3 / 360 قال : وإنما قال ذلك لأنه كان شديداً على عثمان.

(325) الطبقات : 3 / 223.

(326) أسد الغابة : 3 / 361.

أشهر وأيام تزوجها طلحة بن عبد الله وكان لها منه محمد بن طلحة
السجاد. وقد اشتهر بالورع والعبادة. نهى علي كرم الله وجهه عن قتله يوم
الجملة، ولكن نار الحرب تأتي على الأخضر واليابس، ويقول صاحبه
الذي قتله :

واشمت قوام بآيات ربه قليل الأذى فيما ترى العين مسلم
أمكنه بالرمح حضني قميصه فخر قتيلا لليدين وللضم
على غير شيء غير أن ليس تابعا عليا ومن لا يتبع الحق يظلم
يناشدني حاميم والرمح شاجر فهلا تلا حاميم قبل التقدم (327)

ومن مهاجري بني تميم، الحارث بن خالد بن صخر بن
عامر الذي هاجر الهجرتين.

هاجر أولا مع جعفر بن أبي طالب، وعاد إلى مدينة الرسول صلى
الله عليه وسلم، (328) ومن بينهم عمر بن عثمان بن عمر بن كعب
(329)

ونختم القول عن موالى تيم بصهيب بن سنان الرومي، وهو من
عتقاء عبد الله بن جدعان. (330) عرف محمدا قبل أن يبعث وصحبه
رسولا وأسلم مع السابقين الأولين، وكان من المستضعفين الصابرين،

(327) مروج الذهب : 2 / 374.

(328) أسد الغابة : 1 / 325 و 326.

(329) انظر ترجمته في أسد الغابة : 4 / 121 والإصابة : 4 / 662.

(330) الطبقات 3 / 226.

ابتغاء مرضاة الله، وكان الله به رؤوفاً رحيماً. فقاوم سفهاء قريش فكانوا لا يصلون إليه إلا بعد أن يرميهم بأسهمهم (331)

وصبر وهاجر من بعد ما فتن. ثم حضر الغزوات كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، (332) وقاتل عن يمينه وشماله.

وعرف المسلمون لصهيب فضله وأسبقيته. وأمره عمر بن الخطاب أن يصلي بالناس بعده. حتى يتم الاتفاق على تعيين الخليفة من بين أصحاب الشورى (333).

331 الطبقات : 3 : 228

332 الطبقات : 3 : 229

333 الطبقات : 3 : 229

(3) بنو عدى

(1) عمر ابن الخطاب وسعيد ابن زيد

كانت شوكة بني عدى في بني الخطاب. وكان عمر بن الخطاب في أول أمره شديدا على أهل بيته من المسلمين عامة. وكان قاسيا على آل سعيد بن زيد خاصة. كما أن والده الخطاب من قبله كان غليظا على والد سعيد وهو زيد بن عمرو بن نفيل (334).

وحينما نصر الله الإسلام بعمر. انكسرت شوكة بني عدى وتحولت قوتها في صف المسلمين. كان من أول من أسلم من بني عدى سعيد بن زيد. (335) وما كان بدعا من أهله. فأبوه زيد بن عمرو بن نفيل من أولئك الذين لم يطمئنوا لعبادة الأوثان فبحث عن دين إبراهيم. وعزم أن يضرب في الأرض طلبا للحنفية الصحيحة فكان يطوف بالكعبة ويقول :

أربا واحدا أم ألف رب	أدين إذا تقسمت الأمور
فلا العزى أدين ولا ابتيها	ولا صنمي بني عمرو أזור
ولكن أعبد الرحمن ربي	ليغفر ذنبي الرب الغفور (336)
ومما يؤثر عنه قوله :	
البر أبغى لا الخال	ليس مهجر كمن قال (337)

334. سيرة ابن هشام 2 / 95 و 1 / 262.

335. الطبقات : 3 / 382.

336. سيرة ابن هشام : 1 / 257.

337. رواه الطبراني والبخاري - كذا في مجمع الزوائد : / 417.

وصدق عزم زيد، الذي آثر البر على الخيلاء، وعرف أن من لازم التهجير في طلب البر ليس كمن يريد أن يقل في ظل الشرك والهوان. هاجر زيد في طلب الحق، واستشهد في سبيله، ورثاه صديقه ورقة ابن نوفل بقوله :

رشدت وأنعمت ابن عمرو وإنما تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله وتركك أوثان الطواغي كما هيا
وقد تدرك الإنسان رحمة ربه ولو كان تحت الأرض سبعين واديا (338)

وصحت قوله ورقة في زيد فقال عنه النبي عليه الصلاة والسلام انه يبعث أمه وحده. ولقد أدرك سعيد، ما كان يبحث عنه أبوه زيد. أدرك رسول الله وآمن به من بين السابقين الأولين. فحسن إسلامه وبشره رسول الهدى بالجنة.

أما عمر أمير المؤمنين فهو ابن الخطاب، بن نفيل بن عبد العزى ابن رياح بن قرط بن رزاح بن عدى ابن كعب، كان سفير قريش في الجاهلية ودعامة المؤمنين في الإسلام. انتصر به الدين حين أسلم، وانتظمت به الأمة حين صار أمير المؤمنين.

لقد ظل رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدعو الناس إلى الإسلام. ومضت عليه ست سنوات في مكة ولم يؤمن به إلا زهاء أربعين شخصا. وكان المسلمون قليلا مستضعفين في مكة، مختفين في دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي في أصل الصفا. وكان رسول الله وثلة المسلمين الذين معه يلقون في مكة كثيرا من الآلام على أيدي المشركين من

(338).-سيرة ابن هشام : 1 / 263.

قريش. ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ربه أن يؤيد الإسلام بأحد العمرين وسبقت عناية الله لابن الخطاب، فأسلم عمر بن الخطاب (339)

واسلام عمر حدث جلل في الإسلام. ويذكر المحدثون أنه خرج متقلدا سيفه ليتعرض لرسول الله وللمسلمين معه، وأخبر وهو في طريقه أن ختنه سعيدا بن زيد قد أسلم وأن أخته فاطمة بنت الخطاب قد أسلمت. فبدأ بهما فضرب سعيدا حتى أدماه ولما بكى أخته رق لها وسألها أن تعطيه صحيفة بيدها. وتجييه الأخت، أن لا يمسا إلا المطهرون، فوقع الذعر في قلب عمر الشجاع. ثم لما قرأ القرآن، شرح الله صدره للإسلام فأمن وذهب يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخافه حرس رسول الله وفتح عنه حمزة، وأتى به النبي عليه الصلاة والسلام فأخذ النبي بمجامع قميصه وجذبه إليه ثم قال أسلم يا ابن الخطاب ! اللهم اهده ! وشهد عمر أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله. وكبر المسلمون تكبيرة سمعت في فجاج مكة. ولم يك المسلمون في الأرض وحدهم هم الذين فرحوا بإسلام عمر، فإن أهل السماء استبشروا بإسلامه ويقول عبد الله بن مسعود ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر (340).

وابتداء من هذا اليوم ظهر الإسلام في مكة وطاف المسلمون بالبيت وصلوا في المسجد الحرام بمرأى ومسمع من الملأ من قريش (341).

(339) الطبقات ، 3 / 269 والإصابة ، 4 / 589.

(340) الطبقات ، 3 / 267 وسيرة ابن هشام ، 2 / 95.

(341) المصدران السابقان.

ولم يكتف عمر بإعلان إسلامه بل أراد أن يتحدى المشركين، فصار يأتي عظماء قريش ويقرّع أبوابهم ويقول أنا ابن الخطاب وقد أسلمت. (342) وبدأ بخاله أبي جهل وانتظر حتى اجتمع قريش حول الكعبة فأمر من ينادي أن ابن الخطاب قد صبا فبادر إليه جماعة من قريش وصاروا يضربونه ويضربهم وهذا ما أراده عمر. (343) ولما أراد أبو جهل أن يجيره أبي عمر عن جواره وقال : «ما زلت أضرب وأضرب حتى أعز الله الإسلام» (344).

وفي هذه الأيام، خرج المسلمون إلى المسجد في صفين، عمر بن الخطاب في أحدهما وحمزة في الآخر. ولما دخلوا نظر قريش إلى عمر وإلى حمزة فأصابتهما المشركين كآبة شديدة لم يصبهم مثلها. فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم، يومئذ الفاروق (345).

فهو الفاروق الذي تفرق منه الشياطين وتفر عن طريقه. وقد أخرج البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص، أن عمر بن الخطاب أتى النبي وعنده نساء يتكلمن بأصوات عالية، فلما سمعن صوت عمر اختفن، وقال لهن عمر: «يا عدوات أنفسهن أتتهنني ولا تهبن رسول الله». وقبلن أنه ليس بفظ مثلك. ومما قال له رسول الله. «يا أبا الخطاب والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا قط إلا سلك فجا غير فجك» (346).

شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة وبالعلم وبالدين.

(342) سيرة ابن هشام : 2 / 98 وتاريخ الخلفاء : 104.

(343) تاريخ الخلفاء : 104.

(344) أخرجه الطبراني والبخاري وأبو نعيم في الحلية والبيهقي في الدلائل - كذا في تاريخ

الخلفاء : 105.

(345) أخرجه أبو نعيم في الدلائل وابن عساكر ابن عباس - كذا في تاريخ الخلفاء : 106.

(346) - صحيح البخاري : 4 / 184 وصحيح مسلم : 2 / 265.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «بينما أنا نائم رأيتني في الجنة، فإذا امرأة تتوضأ إلى جانب قصر قلت لمن هذا القصر قالوا لعمر. فذكرت غيرتك فوليت مدبرا» فبكى عمر وقال أعليك أغار يارسول الله ؟ (347).

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : «بينما أنا نائم شربت - يعني اللبن - حتى انظر لرى يجري في أظفاري ثم ناولته عمر - قالوا فما أولته يارسول الله قال : «العلم» (348).

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول : «بينما أنا نائم رأيت الناس عرضوا علي وعليهم قمص فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض على عمر وعليه قميص يجره. قالوا فما أولته يارسول الله قال الدين» (349).

وأخرج البخاري ومسلم عن ابن عمر وأبي هريرة قالا : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، «بينما أنا نائم رأيتني على قليب عليها دلو فنزعت منها إلى ما شاء الله، ثم أخذها أبو بكر وفي نزعه ضعف والله يغفر له ضعفه. ثم جاء عمر بن الخطاب فاستقى فاستحالت في يده غربا. فلم أر عبقريا يفري فريه من الناس حتى روى الناس. وضربوا بعطن (350).

هذا هو عمر العبقرى أبو الفتوح الذي لاتأخذه في الله وفي الحق لومة لائم، جعل الله الحق على لسانه وقلبه. واشتهرت موافقاته في القرآن

(347) صحيح البخاري : 4 / 183 وصحيح مسلم : 7 / 114.

(348) صحيح البخاري : 1 / 26 وصحيح مسلم : 7 / 112.

(349) صحيح البخاري : 4 / 186 وصحيح مسلم : 7 / 112.

(350) صحيح البخاري : 4 / 179 وصحيح مسلم : 7 / 113.

في اتخاذ مقام إبراهيم مصلى. وفي رأيه بالحجاب لنساء النبي. وفي تهديده لهن بطلاق رسول الله. وقد زاد النووى منهن قضية أسرى بدر وتحريم الخمر. وزاد ابن أبي حاتم موافقة سادسة. فأخرج في تفسيره عن أنس أنه لما نزلت هذه الآية : «ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين» قال عمر : «فتبارك الله أحسن الخالقين». فنزلت هذه الآية وفق ما قاله عمر. وقد جعل بعضهم موافقات عمر إحدى وعشرين ذكر منها ما تقدم. وزاد قضايا النهي عن الصلاة على المنافقين والاستغفار لهم وغير ذلك (351).

استخلفه أبو بكر على المؤمنين وقال انه استخلف خيرهم. وانه ادرى بهم وبه. فكانت امامته رحمة لهم. فأقام فيها العدل وضبط الأمور. وجند الأجناد. ومصر الأمصار ودون الدواوين. واستقضى القضاء. وأسس قواعده في رسالته المشهورة. ومهد المحطات في الطرق (352) لقد كان اهتمامه بأمور المسلمين مضرب الأمثال. حتى أنه قال : لو مات جمل ضياعا على شط الفرات لخشيت أن يسألني الله عنه. وقد قيل عنه أنه لو استدأى المحل عام الرمادة لخيف على عمر من الموت. هما بأمور المسلمين. (353) كان شديدا في الله. متواضعا له. فمن شدته انه في بعض الساعات لا يستطيع أحد أن يكلمه. ويقول المؤرخون أن درته كانت أهيب من سيوف الذين جاءوا بعده.

(351) تاريخ الخلفاء : 114 / 117.

(352) أسد الغابة : 4 / 71 والطبقات : 3 / 282.

(353) البداية والنهاية : 7 / 90.

يروى ابن سعد أنه جمع الناس ذات يوم وخطب على المنبر قائلاً : لقد رأيته ليس لي ما أكل سوى قبضات من زبيب تعطينيها خالاتي من بني مخزوم لاستعذب لهن الماء. وانتهت خطبته، واستفسره الناس من معنى ما قال ، فأجابهم بأنه قد أحس في نفسه بشيء فأراد أن يتواضع لله وللمومنين (354)

كان يبدأ بنفسه في القسوة عليها، فلا يأخذ من بيت المال إلا معاشه ومعاش أهله، وحلتين للصيف والشتاء، وإذا تخرقت احدهما رقعها حتى تمضي مدتها الممهودة. (355) وكان لا يأكل طيب الطعام. ويذكر دائماً قوله تعالى : «اذهبتكم طيباتكم في حياتكم الدنيا» (356) حتى ان حفص بن أبي العاص لم يرض أن يأكل معه لأن طعامه جشِب غليظ. ولما كلمته ابنته حفصة وأرادت منه أن يلين على نفسه وللناس، أجابها بقوله : «نصحت قومك غششت أباك».

وظل يزاول تجارته دون أن يقترض من بيت المال درهما (357). وكان أيضاً شديداً على عماله، يكتب مالهم عند تعيينهم، ويتفقد ما حصلوا عليه من بعد، وإذا بدا له أنهم أخذوا أكثر من حقهم شاطرهم ما في أيديهم (358).

كان يظن بكبار الصحابة عن العمل في الأمصار، مخافة أن تدنسهم أعمال الولاية.

(354) الطبقات : 3 / 293.

(355) تاريخ الخلفاء : 119 و 120.

(356) الطبقات : 3 / 279.

(357) الطبقات : 3 / 308.

(358) الطبقات : 3 / 307.

وبعد وفاته بقليل ترددت على ألسنة الشعب، أبيات لم يعرف قائلها حتى أنها نسبت إلى هواتف الجن. وهي :

عليك سلام من إمام وبارككت يد الله في ذاك الأديم الممزق
فمن يسع أو يركب جناحي نعامة ليدرك ما قدمت بالأمس يسبق
قضيت أمورا ثم غادرت بعدها بوائق في اكمامها لم تفتق (359)

وان هذا يمثل ما كانت عليه الأمة من طمأنينة في عهد عمر، وما أصابها من الجزع والخوف بعدما هدت أركان الإسلام بموت عمر بن الخطاب. ولقد قال حذيفة ابن اليمان كان الإسلام كالرجل المقبل في عهد عمر لا يزداد إلا قربا. وكان بعده كالرجل المدبر لا يزداد إلا بعدا. (360) وقال ابن مسعود انه كان حصنا حصينا للإسلام. وان كل شيء وجد على يديه حتى شجر العضاة. (361) ولما رآه علي وهو مسجى على سريره قال ما من أحد أحب أن القى الله بصحيفته من هذا المسجى (362).

كل هذا يعطينا صورة عن ذلك العبقرى الفذ الذي وضع الدولة الإسلامية على أسس لم تنزل إلى اليوم منبعا للتشريع، ومصدر إلهام العدل والإحسان ذلك هو أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب الذي كان إسلامه فتحا. وهجرته نصرا وامارته رحمة (363).

359 تاريخ الخلفاء : 135.

360 الطبقات : 3 / 373.

361 الطبقات : 3 / 371 و 372.

362 صحيح البخاري : 4 / 185 وصحيح مسلم : 7 / 112.

363 الطبقات : 3 / 270.

ومن المهاجرين الأولين من بني عدى زيد بن الخطاب أحد اخوة أمير المؤمنين المجاهد البر الذي شهد مع النبي جميع المشاهد، واستشهد في الإمامة، (364) وحزن عليه عمر وقال لو كنت أقول الشعر لقلت رثاء في زيد، وطلب من متمم ابن نويرة أن يرثيه، فأجابه إلى ذلك غير أن عمر رأى أن شعر متمم في مالك أبلغ من شعره في ابن الخطاب، فقال متمم : «يحركني لمالك ما لا يحركني لزيد»، ولقد سبق أن ذكرنا ما لسعيد بن زيد من فضل وأسبقية في الإسلام والهجرة والجهاد.

ومن حلفاء بني عدى الذين نهجوا طريق آل الخطاب في الهجرة والإسلام واهتدوا بهداهم ورشدهم، عامر بن ربيعة الغزي الذي شهد بدرًا وما بعدها من المشاهد وطلب أن ينجيه الله من الفتنة فنجا منها. (365) ومنهم واقد بن عبد الله الحنظلي، وهو من البدرين، وكان في سرية عبد الله بن جحش بن رثاب. بنخلة. وقد قال فيه :

سقيناً من ابن الحضرمي رماحنا بنخلة لما أوقد الحرب واقد (366)
ومنهم كذلك أبناء أبي بكير وهم عاقل وعبد الله وهلال، ونسبهم في بني سعد بن ليث من كنانة (367) وممن هاجر مع عمر بن الخطاب مولاه مهجع (368).

وممن هاجر من بني عدى إلى الحبشة، مع عبد الله بن نضلة عمه عروة بن عبد العزى، وعدى بن نضلة، (369) وابنه النعمان عاد إلى

364 الطبقات : 3 / 377.

365 المستدرك للحاكم - 3 / 358.

366 البداية والنهاية : 3 / 252 والسيرة

367 انظر ترجمتهم في الطبقات : 3 / 388 و 389 ترجمهم فيمن شهد بدرًا.

368 انظر ترجمته في الطبقات : 3 / 391.

369 سيرة ابن هشام : 2 / 74.

المدينة، بعدما مات أبوه في الحبشة. واستعمله عمر بن الخطاب على
ميسان من أرض البصرة. وهو الذي يقول :

الأهل أتى الحسناء ان حليلها بميسان يسقى في زجاج وحتم
إذا شئت غنتني دهاقين قينيه ورقاصة تخذو على كل منسم
فإن تك ندماني فبالأكبر اسقني ولا تسقني بالأصفر المتثلسم
لعل أمير المؤمنين يسـوءه تنادنا في الجوسق المتهمم

وحين بلغ شعره أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أبدى منه استياءه
وأمر بعزله (370)

ومن مهاجريهم كذلك النحام، واسمه نعيم بن عبد الله بن أسيد،
سمع النبي صلى الله عليه وسلم، نحمه (صوته) في الجنة، (371) فكان
النحام له لقب بشارة وتكريم، ولقد أقام بمكة ليقى قومه من أذى قريش
وفتنتهم (372).

قال ابن حجر : لم يهاجر إلا قبل فتح مكة وذلك لأنه كان ينفق
على أرامل بني عدي وأيتامهم فلما أراد أن يهاجر قال له قومه : أقم ودين
بأي دين شئت.

(370) الإصابة : 6 / 447.

(371) الإصابة : 6 / 458.

(372) الإصابة : 6 / 58 وقال ابن حجر : لم يهاجر إلا قبل فتح مكة وذلك لأنه كان ينفق على
أرامل بني عدي وأيتامهم فلما أراد أن يهاجر قال له قومه : أقم ودين بأي دين شئت.
رواه البخاري.

(4) المهاجرون من بني عبد شمس وبني نوفل

بنو عبد شمس وبنو نوفل من عشيرة النبي الأقرين.

ويقول فيهم أبو طالب :

جزى الله عنا عبد شمس ونوفلا عقوبة شر عاجلا غير آجل (373)

ولقد استجاب لرسول الله جماعة من بني عبد شمس. نذكر منهم ذا النورين وأبا حذيفة ابن عتبة وجماعة من حلفائهم من سليم وأسد بن خزيمة اشتهر منهم على الخصوص عائلة بني جحش بن رئاب. أما بنو نوفل، فلم نر من بينهم من رفع بالهجرة رأسا. فكان حلفاؤهم ومواليهم أحسن حظا من صميمهم.

فمن بين حلفائهم، تلقى عتبة بن غزوان الذي جاهد في صدر الإسلام. وواصل جهاده بعد وفاة الرسول، فكان له الفضل في انتصاراته في الخليج وفارس، (374) كما أنه أول من اختط مدينة البصرة (375) التي اشتهر دورها في بناء صرح الحضارة الإسلامية العربية.

أما بنو عبد شمس فقد أكرمهم الله بذى النورين عثمان بن عفان ثالث الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، والستة الذين عهد لهم بالخلافة من بعده.

(373) سيرة ابن هشام : 2 / 15.

(374) أسد الغابة : 3 / 364.

(375) المصدر السابق

يتصل نسب عثمان بعمود النسب الشريف عند عبد مناف، كما أن أمه أروى بنت كرز بن ربيعة وأما البيضاء بنت عبد المطلب شقيقة عبد الله، نشأ محببا في قريش حتى ضرب المثل ف قيل :

أحبك والرحمن، حب قريش عثمان إذا دعا بالميزان
أسلم عثمان بن عفان قبل أن يدخل الرسول صلى الله عليه وسلم،
في دار الأرقم بن أبي الأرقم.

استجاب لدعوة النبي وعرف مصداق ما دعى إليه. ويروي أنه كان بمعان قادم من الشام حين سمع في المنام هاتفا : أيها النوام هبوا فإن أحمد قد بعث بمكة (376) وبعد إسلام عثمان تعرض لما يلاقيه المسلمون الأولون من الفتنة والتعذيب. فلقد أوثقه. عمه الحكم بن أبي العاص وقال له لن تخرج من هذا الوثاق حتى تعود إلى دين آبائك وكان صمود عثمان على قدر إيمانه. فأقسم أن لا يعود أبدا إلى الضلال بعد أن هداه الله للإسلام فيئس منه الحكم وخلا سبيله (377) فلبث مع الرسول سنين متعبدا متعلما صابرا في جنب الله. ثم كان أول من هاجر إلى الحبشة مع إمرأته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم (378).

ثم هاجر عثمان مرة ثانية إلى المدينة ونزل عند أوس بن ثابت وأخى النبي بينهما (379) وظل طيلة حياة الرسول في طليعة صحبه الأقربين، يشهد معه المشاهد وربما استخلفه على المدينة. وفي غزوة الحديبية بعثه النبي صلى الله عليه وسلم، إلى أهل مكة يخبرهم انه جاء

(376) الطبقات : 3 / 55.

(377) الطبقات :

(378) الطبقات :

(379) الطبقات : 3 / 56.

للحج ولم يأت للقتال. وكانت بيعة الرضوان بعده فضرب النبي يمينه بشماله وقال : «هذه بيعة عثمان» (380) ورضى الرسول عن دينه وأمانته، ورضى عن مصاهرته. وبعد وفاة أم كلثوم قال له لو كانت لنا ثلاثة لزوجناكمها. (381) وأشاد بخلقه وحيائه حتى ان ملائكة الرحمن كانت تستحيي منه (382) فهو من علية الصحابة الذين توفى الرسول وهو عنهم راض كل الرضا.

وهكذا كانت حياته في عهد الشيخين. وبعد تشاور الستة الذين عهد إليهم عمر بن الخطاب اختياره الصحابة، وقال عبد الله بن مسعود : لم «نسأل عن خير ذي فوق» (383) ويعني بذلك أنهم اختاروا أمثل من بقي من الصحابة السابقين. وكان أول من بايعه عبد الرحمن ابن عوف ثم علي بن أبي طالب وتتابعت عليه الناس (384).

فكان من حسناته العظام كتابة المصاحف ونشرها ومتابعة الفتوح ونشر الإسلام. واشترى زيادة المسجد النبوي في المدينة ليوسع على المسلمين. وبير رومة من اليهود وجعلها وقفا للمسلمين (385).

ولم يسلم عثمان في آخر عهده من كيد الكائدين من أقاربه وغير أقاربه، فثار بعض قواد الأمصار وتجمعوا في المدينة وحاصروه في داره حتى قتل فيها مظلوما. ونشأت عن قتله المشاجرة بين المسلمين. وكان من أمرها ما كان.

(380) الإصابة : 4 / 457.

(381) الطبقات : 3 / 56.

(382) صحيح مسلم : 7 / 116.

(383) الطبقات : 3 / 63.

(384) الطبقات : 3 / 26.

(385) صحيح البخاري : 3 / 68.

ذهب الخليفة عثمان بن عفان ضحية أحداث دبرها اخلاط من الناس دفعتهم الغيرة والحسد فكادوا له متذرعين بسخطهم على توليته لأقربائه. ولقد تأول الخليفة عثمان ان صلاته لذويه تدخل في باب صلة الرحم المعروف في الإسلام، وبعض المؤرخين لا يبرأ مروان بن الحكم ومن لف لفه في إثرة الفتنة وتحريكها. ولقد رأينا أن والده الحكم كان أول من حاول أن يفتن عثمان في دينه.

كان الخليفة عثمان رحمه الله لنا رقيقا حلوا مع الناس. ولم يك يتصور أن الناس سوف يحاصرونه أو يقتلونه، كيف يقتلونه؟ وهو يشرف عليهم من داره في أيام حصاره، ويخبرهم انه لم يرتكب ما يستحق به القتل وان دمه عليهم حرام. وانه ان قتلوه، فلن يجتمعوا بعده أبدا. وصرح لهم انه يقبل أن ينزع عما ينقمونه عليه، وان لاحق له في خلع رداء الخلافة الذي بسطه الله عليه. (386) هم أولا أن يخلع نفسه ونصحه المغيرة ابن الأخنس بذلك. واستشار عبد الله بن عمر فنهاه، وشجعه على التمسك بالخلافة مخافة أن يكون ذلك سنة للخلفاء بعده. ورضي عثمان بقول ابن عمر وصبر على الحصار. ولم يخضع للتهديد وامتنع امتناعا شديدا من قتال المعتدين عليه (387).

في هذه الفترة الصعبة ساعده ابن عمه وابن خاله علي ابن أبي طالب فنصحه، وقاوم المتألبين عليه وبعث أبناءه من بين حراس داره وحاول أن يصل إليه في الدار فمنعته الجموع الغوغائية حتى اضطر أن يبعث إليه بعمامته علامة على الولاء والتأييد (388).

(386) الطبقات : 3 / 27.

(387) الطبقات : 3 / 66.

(388) الطبقات : 3 / 68.

وكان أمر الله قدرا مقدورا، قتل عثمان مظلوما صائما يقرأ المصحف الذي جمع ويتلو القرآن الذي كان يقوم به الليل ركعة واحدة، وباء بالموت كنانة بن بشر بن عتاب الكندي، وساء عمل سودان بن حمران المرادي وعمرو بن الحمق (389).

واشتد حزن المسلمين بعد هذا الهرج المخيف، فمنهم من عبر عن لوعة وأسف، مثل حسان بن ثابت حيث يقول :

ضحوا باشمط آثار السجود به يقطع الليل ترتيلا وقرآنا (390).

ومنهم من استغل «قميص عثمان» لاغراض مريية جعلتهم يناوئون الخليفة الجديد، (391) أبا الحسن والحسين. وسيد المجاهدين وأمير المومنين عليا بن أبي طالب كرم الله وجهه.

وكان لعثمان من رقية ولد لم تطل به الحياة. وله من غيرها أولاد منهم أبان وهو من أهل الفضل وحملة الحديث، وخالد وكان عنده مصحف عثمان وعند أبنائه بعده، (392) والوليد وهو من أهل الفتوة.

وتذكر كتب السير ابنة من ذرية عثمان جدها النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير. فهي بنت محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - وأما خديجة بنت عثمان بن عروة بن الزبير. وعروة أمه أسماء بنت أبي بكر. ومحمد بن عبد الله بن عمرو ابن عثمان أمه فاطمة بنت الحسين بن علي وأم الحسين فاطمة عليها السلام. وفاطمة بنت الحسين أمها أم إسحاق بنت طلحة بن عبد الله.

(389) مروج الذهب : 2 / 355.

(390) أسد الغابة : 3 / 383.

(391) المعارف لابن قتيبة.

(392) -المصدر السابق

وعبد الله بن عمرو بن عثمان أمه حفصة بنت عبد الله بن عمر بن الخطاب (393).

ومن ذرية عثمان بن عفان العرجي الشاعر خليفة عمر بن أبي ربيعة المخزومي وهو عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمر بن عثمان بن عفان. وهو الذي يقول ،
أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر
وهو القائل ،

اني اتحت لي يمانية إحدى بني الحارث من مذحج
نلبث حولا كاملا كله لا نلتقي إلا على منهج
في الحج ان حجت وماذا منى وأهله ان هي لم تحجج
ويجيئه عطاء بن أبي رباح فقيه أهل مكة بقوله :
«مني من مواقف الحج والعبادة وسواء حجت أم لم تحجج»

(1) أبو حذيفة

ومن المهاجرين الأولين من بني عبد شمس، أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.

هاجر إلى الحبشة، ثم بعدها إلى المدينة.
ثم شهد بدرًا مع المسلمين، ولقد تعرض في هذا اليوم لامتحان صعب.

كان والده عتبة بن ربيعة من أول من قتل كافرين يوم بدر.
ورأى أبو حذيفة أباه عارياً يجر على الأرض، بعدما مزقت السيوف أشلاء.

وقتل مع أبيه، أخوه الوليد وعمه شيبة، وابن أخته حنظلة.
لم يستطع أبو حذيفة إلا أن يتأثر بالمشهد المحزن، وإن يعبر عن حزنه وأسفه على مصير والده وذويه.

وبلغ أبا حذيفة أن الرسول عليه الصلاة والسلام نهى عن قتل عمه العباس وتقول الروايات أن أبا حذيفة قال إنه سوف يلجم العباس بسيفه إن لقيه. استخبر النبي أبا حذيفة، وأكد أنه ما شك منذ آمن، ولا نافق منذ أسلم، وقبل الرسول عذره ورضي عنه.

ولم تزل هذه الكلمات تتردد في خلد أبي حذيفة، وتكدر عليه صفو إيمانه حتى ألقى بنفسه في معركة اليمامة ليموت شهيداً في سبيل الدفاع عن الإسلام.

ولم يك أبو حذيفة وحده من قومه الذي فاز بالشهادة في يوم اليمامة، فلقد استشهد من حلفاء بني غنم بن دودان يزيد بن رقيش بن

رثاب، وشجاع ابن وهب وهما ممن شهد بدرا وجميع المشاهد مع النبي عليه الصلاة والسلام. كما استشهد في حروب الردة من بني غنم بن دودان عكاشة ابن محصن الذي كان طليعة لخالد ابن الوليد، (394) وهو الذي قال الرسول صلى الله عليه وسلم : المرء مع من أحب؛ في الذين يدخلون الجنة بغير حساب «أنت منهم».

ومن شهداء ومهاجري بني غنم بن دودان سنان بن أبي سنان أول من بايع بيعة الرضوان، وكان أبوه سنان من المهاجرين الأولين واستشهد منهم بخيبر ربيعة بن اكثم ومحرز بن نضلة ويكفيهم ان منهم بنو جحش بن رثاب. (395)

ويذكر المؤرخون أن ديار بني غنم بن دودان في مكة بقيت مغلقة بعد الهجرة مثل دور بني مظعون وبني بكير.

ومن أشهر مجاهدي بني رثاب ومهاجريهم عبد الله بن جحش.

كان عبد الله من علية الصحابة المهاجرين وأكابر الشهداء. بعثه النبي صلى الله عليه وسلم، بعد بدر الأولى في سرية إلى نخلة لترصد أمر قريش، وكان ذلك في الشهر الحرام. واضطر عبد الله أن يقتل وأن يسبى ما عندهم.

وعاتبه النبي صلى الله عليه وسلم، في القتال في الشهر الحرام، وتوقف عن أخذ الغنيمة ولكن الله جلا وعلا برأ ساحة عبد الله بن جحش وأدان المشركين الذين كفروا بالله وأخرجوا رسوله عن المسجد الحرام فأنزل تعالى : «يسألونك عن الشهر الحرام قتال فيه، قل

394 المستدرك : 3 / 228 والطبقات : 3 / 93.

395 صحيح البخاري : 8 / 172 وصحيح مسلم : 1 / 78.

قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله» الآية ثم قال عبد الله بن جحش في ذلك :

تعدون قتلا في الحرام عظيمة وأعظم منه لو يرى الرشد راشد
صدودكم عما يقول محمد وكفر به، والله راء وشاهد
واخراجكم من مسجد الله أهله ليلا يرى لله في البيت ساجد

ومن بين أسرى عبد الله بن جحش، الحكم بن كيسان الذي أسلم
وحسن إسلامه واستشهد في بير معونة فكان من السبعين الذين لقوا ربهم
ورضي عنهم ورضوا عنه.

وكان عبد الله يوم أحد من المجاهدين الأبرار، لقد قاتل بسيفه
حتى انكسر وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، عرجونا من النخل
فعاد في يده سيفاً، (396) ورويت مثل هذه المعجزة لعكاشة يوم بدر.
(397) وقد دعى عبد الله ربه أن يرزقه الشهادة وأن يقطع أنفه وأذنيه
في سبيله، وأمن له سعد بن أبي وقاص وأجيبته دعوته وذهب في سبيل
الله ودفنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، مع حمزة في قبر واحد وكان
حمزة عم رسول الله وخال عبد الله بن جحش.

(396) حجة الله على العالمين للنبهاني : 1 / 632 وعزاه لمصنف عبد الرزاق.

(397) أسد الغابة : 4 / 3.

5) المهاجرون الأولون من بني زهرة

نذكر ممن هاجر من بني زهرة ثمانية من أجل الصحابة قدرا وأعظمهم شأنا. منهم عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وأخوه عمير، ومن حلفائهم عبد الله بن مسعود الهذلي، والمقداد بن عمرو، ومسعود بن ربيعة القاري، وخباب بن الارت التميمي. وذو الشمالين الخزاعي.

نبدأ بالحديث عن عبد الرحمن بن عوف : لقد كان اسمه في الجاهلية عبد عمرو أو عبد الكعبة وسماه النبي بعبد الرحمن ولنعيد إلى الذاكرة انه كان من بين الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر، ومن الثمانية الذين سبقوا بالإسلام ومن العشرة المشهود لهم بالجنة. ومن الستة الأولى عهد إليهم عمر بن الخطاب بأمر الخلافة من بعده.

إنه من أصحاب الرسول عليه الصلاة والسلام، الذين قال عنهم : «دعوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا نصيفه»، (398) ورد هذا الحديث في معرض كلام جرى بين عبد الرحمن بن عوف وخالد بن الوليد، في وقعة بني جذيمة لقد أنكر عبد الرحمن على خالد قتالهم، وقال كل منهما ان لهذه الوقعة صلة بالثأر الذي يطلبه عبد الرحمن من قتلة أبيه، في الجاهلية، وبالثأر الذي يريده

(398) صحيح مسلم ، 2 / 273.

منهم خالد بعمه الفاكه بن المغيرة. وعتب خالد وهو أمير الفرقة على عبد الرحمن.

وبلغ الرسول ما وقع، فبرأ إلى الله مما عمل خالد وأعطى الديات لبني جذيمة، وأكد أفضلية أصحابه الأولين. ولم تك هذه المرة الأولى التي يظهر الرسول عطفه على رجل عرف منه الصدق والإيمان وشهد معه جميع الغزوات. ذلك الرجل الذي يمت إليه بصلة الصحبة والقرابة .

كان الرسول ينصحه ويرعاه ويقدر فضله واقتدى به مرة في الصلاة (399) وحينما بعثه إلى دومة الجندل في سرية، عممه بيده الكريمة (400).

هاجر عبد الرحمن الهجرتين. ولما عاد إلى مكة رغب عن العودة إلى منزل تركه مهاجراً. وفي المدينة نزل عند أخيه سعيد بن الربيع الأنصاري وأراد سعد أن يقاسمه ماله ونساءه. غير أن ابن عوف أثر أن يكتسب بيده، فاكتفى بأن سأل أن يدلّه على السوق (401) وأراد الله لابن عوف أن يربح في الدنيا وفي الآخرة. فكانت ترج له المدينة رجاء. وكانت أمواله تعد بآلاف النعم، والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة. الشروة الهائلة لم تتمكن من قلب عبد الرحمن بن عوف، وإنما أراد أن يكون من أهل الدثور الذين يذهبون بالأجور، فلقد تصدق بسبعمئة راحلة بأحمالها وأحلاسها، وحبس ألف فرس في سبيل الله، وأوصى بأربعمئة ألف دينار للمسلمين. وحافظ على وصية النبي التي كانت بأمر من جبريل عليه السلام، فلم يزل يقرى الضيف ويطعم المسكين

(399) الطبقات : 3 / 229.

(400) الطبقات : 3 / 169.

(401) صحيح البخاري : 4 / 249.

ظل دائما خاشيا من سطوة هذه الثروة، خشية أن يكون ثواب حسناته عجل عليه في هذه الحياة الدنيا، ويذكر أن مصعب بن عمير وحمزة بن عبد المطلب، ويقولان خيرا منه، لم يجدا كفنا كافيا لتفطية جثمانيهما، وأنه بعدهما قد بسط الله عليه من الرزق ما بسط. فيبكي، ويأبى أن يأكل أو يشرب (402) فكلما ازدادت ثروته زاد في الخشية والانفاق. وكان يعنى عناية خاصة بأهات المؤمنين بعد النبي، وقالت عائشة وأم سلمة أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال أن لا يحنو عليهن من بعده إلا الصابرون. وكان من الصابرين عبد الرحمن بن عوف، وهذا ما جعله يستحق دعاء الرسول بأن يسقيه من سلسيل الجنة (403).

وقد أشرنا أنه كان من أهل الشورى، ولما عرض عليه أن يتولى أمر المسلمين قال لأن تؤخذ مديّة فتوضع في حلقي ثم ينفذ إلى الجانب الآخر أحب إلي من أن أتولى هذا الأمر فكان أول من بايع عثمان بن عفان رضي الله عنه. (404)

وتوفي عبد الرحمن قبل الفتنة، وقال عنه علي ابن أبي طالب ، «أذهب يا ابن عوف فقد أدركت صفوها وسبقت رتقها» (405). وكان من بين الذين حملوا جنازته، رفيقه وابن عمه سعد بن أبي وقاص.

(402) الطبقات : 3 / 132.

(403) المستدرک : 3 / 311.

(404) الطبقات : 3 / 134.

(405) - المستدرک : 3 / 308.

1) سعد بن أبي وقاص

وفي صدد الحديث عن سعد بن أبي وقاص الزهري نذكر بقوله جل علا : «وان جاهدك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما» (406).

ويقول سعد أن هذه الآية نزلت في شأنه. واستجاب سعد لخطاب ربه. خطاب يفرده بالأمر ويباشره بالعناية. كان سعد حريصا على أن يبر بأمه، حمنة بنت سفيان بن أمية، وأن يطيعها في كل شيء ما عدا أن يشرك بالله شيئا. ولقد جاهدت حمنة ابنها على أن يرجع عن الإسلام، فأبت أن تأكل، أو تشرب حتى يعود إلى جاهليته الأولى. غير أن الحق أحق أن يتبع. وهكذا رد سعد على حمنة انه لن يؤوب إلى ذلك الظلام الحالك الذي رأى نفسه حائرا فيه، وانه لن يرضى أن يفارق ذلك القمر الذي اهتدى به بعدما خرج من الظلمات إلى النور. وهذه الرؤيا كانت من أسباب إسلام سعد بن أبي وقاص، حينما التحق بالرسول وهو مختلف يتعبد في أجياد. سبقه لضيء القمر، حسبما قصه في رؤياه ، أبو بكر، وعلى وزيد بن حارثة (407) فكان من الأربعة الأولى الذين أسلموا. ومن العشرة الذين في الجنة. ومن الستة الذين أوتمنوا على خلافة المسلمين.

قال عنه الرسول صلى الله عليه وسلم ، هذا خالي فليرني أمرؤ خاله (408).

(406) انظر أسد الغاية ، 2 / 292.

(407) أسد الغاية ، 2 / 292.

(408) أخرجه الترمذي في سننه ، 2 / 218.

وكان سعد يفتخر بهذا الثناء، وهو جدير بذلك. فهو الذي أراق أول دم في سبيل الله حينما تعرض لفتنة سفهاء قريش، وضرب أحد المعتدين عليه بلحييى جمل وشج رأسه، هاجر الهجرتين وشهد كل المشاهد. وهو الذي كان يغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه ليس لهم من طعام إلا الحلبة وأوراق السمر (409).

وهو الذي رمى أول سهم في سبيل الله، حينما شارك في سرية عبدة ابن الحارث إلى رايغ، وقال :

الا هل أتى رسول الله أنبي حميت صحابتي بصدور نبيل
اذود بها عدوهم ذيـــــاداً بكل حزنونة وبكل سهل
فما يعتد رام مــــنن بسهم مع رسول الله قبلي
وهو الذي شهد المشاهد كلها مع رسول الله وأبلى فيها البلاء الحسن.

وبعدما التحق الرسول بالرفيق الأعلى، ظل سعد بن أبي وقاص مقيماً على وفائه لنبيه ولدينه. فاستعمل أولاً على صدقات هوازن ثم عينه عمر بن الخطاب أميراً على جيوش المسلمين في العراق. وانكسرت شوكة الأشرار والوثنية وانهزم رستم وما تبعه من رجال وفيلة. كان هذا النصر المبين على يد سعد بن أبي وقاص الذي ثبت دولة الإسلام. وبنى مدينة الكوفة.

ولقد أحرز على هذا النصر، لما أوتي من إيمان وحكمة.
فقد كانت دعواته مقبولة عند ربه، وسيرته محمودة عند جيوشه.

(409). صحيح البخاري ومسلم - كذا في جمع الفوائد : 2 / 527.

ولما سأل عنه عمر بن الخطاب عمر بن معدى كرب أجابه قائلا
«انه متواضع في خبائه، عري في غرته، أسد في تأموره، يعدل بالقضية
ويحكم بالسوية. ويبعد في السرية ويعطف علينا عطف الأم البرة،
وينقل لنا حقنا نقل الذرة» (410).

وفي عهد أمير المؤمنين عثمان بن عفان، عزل سعد عن الامارة،
فاعتزل الأمور ونجا من الفتنة. ولما حاول معاوية أن يقحمه في غمار
المشاجرة مع علي بن أبي طالب، رد عليه بهذه الأبيات نذكر منها ،
معاوى داؤك الداء العياء وليس لما تجيء به دواء
ايدعوني أبو حسن على ولم أردد عليه ما يشاء
أتطمع في الذي أعيأ عليا على ما قد طمعت به العفاء
فأقام في بيته في العقيق حتى التحق برفاقه، عام أربع وخمسين
من الهجرة.

(2) عبد الله بن مسعود

ومن حلفاء بني زهرة عبد الله بن مسعود الهذلي.

أسلم من السابقين الأولين، حيث أنه كان من الستة الأولى آمنوا برسول الله. ويذكر أنه كان يرعى غنم عقبة بن أبي معيط فأتاه محمد بن عبد الله وطلب منه أن يسقيه. وأعرض ابن مسعود أن يتصرف في غنم لا يملكها. وقبل أخيراً أن يعطيه شاة لم تلد قط، واشتدت دهشة ابن مسعود، حينما رأى شاة لم يعلها فحل تدر باللبن لما اعتقلها محمد بن عبد الله، وحلب منها ما شاء من لبن وأعاد ضرعها على ما كان عليه. وحينئذ عرف ابن مسعود أن محمداً رسول الله فآمن به واتبعه وصحبه، وأحبه وتفرس فيه الرسول الذكاء وقال انه غلام معلم (411).

ثم أقام ابن مسعود في مدرسة الرسول بمكة. يزداد كل يوم إيماناً وعلماً، ينمو في قلبه حبه للرسول، وتتضاعف في نفسه الرغبة في التقرب منه.

ويقول ابن مسعود، انه في هذه الفترة قرأ سبعين سورة من القرآن لا ينازعه فيها أحد. (412) واستمد ابن مسعود من القرآن قوته وشجاعته، فلقد كان أول من تجرأ على قریش وقرأ عليهم القرآن جهراً بين الركن والمقام، عرض على رفاقه من المسلمين أن يتحدى قریشاً في الحرم. فخاف عليه إخوانه ورفاقه، قائلين له، انه ليس له من عشيرة تحميه من

(411) الطبقات : 3 / 150.

(412) الطبقات : 3 / 150.

أذى قريش. بيد أن إيمان ابن مسعود أقوى من المشائر والعصبيات، فقال دعوني فإن الله سيحميني ثم دخل الحرم ورفع صوته يتلو :

بسم الله الرحمن الرحيم، الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان... واهتز لكلامه الملاً من قريش، فجعلوا يضربون وجهه وهو يقول : «ما كان أعداء الله أهون علي منهم، ولو أشاء لراجعتهم بمثلها غدا» (413).

ثم هاجر ابن مسعود إلى الحبشة ، ولما بلغه نبأ هجرة الرسول إلى المدينة أسرع للالتحاق به يحدوه الشوق إلى رؤيته، والمقام معه، لينعم بالسعادة في العيش في ظله والمقام في جواره، وذمته، فكان له ما أراد ولقد كان أحق بقول أبي نواس في الخصيب :

أنا في ذمة الخصيب مقيم حيث لا تهتدي صروف الزمان
قد عرفنا من الخصيب خللاً امتتنا طوارق الحدثان
كيف أخشى من الليالي اغتيالاً ومكاني من الخصيب مكاني
ولقد كان ابن مسعود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمكان.

يدخل عليه بلا استئذان، حينما يسمع سواده، ويوقظه من النوم، ويستتره إذا أراد أن يفتسل، ويلبسه نعليه، ويمشي أمامه، ويتردد على بيته، هو وأمه، أم عبد، حتى ظن أبو موسى الأشعري انهما من أهل البيت (414) عرف من سره ما لم يعلمه غيره، واستفاد من دعواته، فأجاره الله من الشيطان. اقرأ القرآن غضا، وأمر أن يقرأ أمته، (415) وطلب منه أن يسمعه القرآن. ولما تلا عليه قوله تعالى : «وجئنا بك على هؤلاء

شهيذا» فاضت عينا رسول الله (ص) بالدموع (416)

(413) أسد الغابة : 3 / 257.

(414) أخرجه الشيخان - كذا في جمع الفوائد : 2 / 540.

(415) الاستيعاب : 2 / 311.

(416) صحيح البخاري : 6 / 109.

وتزداد مع الأيام صلة الحب والتقدير بين ابن مسعود، وبين نبيه،
فيقول عنه لو كنت مؤمرا أحدا من غير مشورة لأمرت ابن أم عبد (417).
وقال ان رجله - وهو أخمش الساقين - أثقل في الميزان يوم القيامة
من جبل أحد (418).

وبعد وفاة الرسول عرف الخلفاء لابن مسعود قدره ومكانته، فعينه
عمر ابن الخطاب معلما ووزيرا في الكوفة، مع أميرها عمار بن ياسر.
وعلم منه أهل الكوفة خيرا كثيرا. قرأوا منه القرآن، وشاهدوا سمت النبي
وهديه، وأخلاقه.

ولما استدعاه عثمان إلى المدينة أبى إلا أن يسمع ويطيع - فعاد
إلى دار الهجرة، ولم تطل الأيام حتى التحق بنبيه وحبيبه.

(417) الطبقات ، 3 / 154.

(418) - الطبقات ، 3 / 155 والاستيعاب ، 2 / 311.

(6) المهاجرون من بني أسد بن عبد العزى

نذكر في طليعتهم الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد.
حواري الرسول وابن صفية بنت عبد المطلب وابن أخي خديجة بنت خويلد.

من الخمسة الأولى الذين أسلموا، والعشرة الذين شهد لهم بالجنة والستة الذين عهد لهم عمر بن الخطاب بالشورى في خلافة المسلمين.
استمسك بعروة الإسلام يافعا، وظل وفيا مستقيما في سبيل دينه ورسوله.

هاجر الهجرتين وشهد كل المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، مجاهدا بسيف طالما فرج الكرب عن المسلمين.
اتخذت الملائكة شعاره يوم بدر، فنزلت وعماؤها صفر، لتثبت المسلمين ولتطمئن قلوبهم ولتقذف الرعب في صدور أعدائهم (419).
ولقد كانت بركة الرسول عليه عظمة، عاش في رعايته يقدر جهاده وجهده ففداه بأمه وأبيه يوم بني قريظة، (420) وظل به رفيقا طيلة حياته، راعيا لحقوقه ومصالحه.

واستمرت حياة الزبير في عهد أبي بكر وعمر في طمأنينة وسعادة. أنعم الله عليه من ماله فأنفق عن سعة، فقليل أنه رزق ألف مملوك، يؤدون له الخراج. فكان لا يستبقى منها درهما واحدا.

(419) أسد الغابة ، 2 / 197 والطبقات ، 3 / 103.

(420) صحيح البخاري ، 4 / 196.

وفي أثناء الفتنة التي ابتلى بها المسلمون في أواخر عهد عثمان بن عفان حرص الزبير أن يبقى وفيًا للحق وللمعدل ويقول عنه حسان بن ثابت :

أقام على عهد النبي ودينه، حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه يوالي ولي الحق والحق أعدل

سار في ركاب عائشة يوم الجمل، معتقدا انه على طريق الصواب ولما ذكره علي بن أبي طالب قول الرسول عليه الصلاة والسلام : «لتقاتلنه وأنت ظالم» (421) أقسم أن لا يحمل سلاحا ضد علي. وتقول بعض الروايات أن ابنه بعد الله حمله على أن يكفر عن يمينه وأن لا يعتزل المعركة. ولقد أجمع المؤرخون أن الزبير لم ينتظر نهاية الموقعة وأنه أجحَم عن القتال مخافة أن يكون من الفئة الباغية. وغادر الزبير البصرة، تائبًا ومنيبًا. واعتدى عليه بن جرموز، وأراد أن ييشر علي بن أبي طالب بقتل الزبير، وزف إليه علي بن أبي طالب البشارة بالنار (422).

وحزن المسلمون لقتل الزبير. ورثاه الشعراء، فمنهم من كان مخلصا في قوله مثل ما كان من حسان بن ثابت، ومنهم من ندبه بعد حين لينال من منافسيه وخصومه مثل ما كان من أمر جرير ابن الخطفي حين يذم الفرزدق وابن عمه شبة بن عقال في قتل الزبير وهو في جوارهم ومما قال فيه وأشعره فيه كثيرة ،

(421) أسد الغابة ، 2 / 199.

(422) أسد الغابة ، 1 / 392.

اني تذكرني الزبير حمامة تدعو على فنن الفصون هديلا
قالت قریش ما أذل مجاشعا جارا وأكرم ذا القتيل فتيلا
أو بعد مقتلکم حوارى محمد ترجو القيون مع الرسول سبيلا
شملت بركة الزبير أسرته وحلفاءه.

فلقد كان لابنه عبد الله شأن عرّفه التاريخ، واشتهر مصعب بجوده
وفتوته، فحسده الخلفاء وتغنى به الشعراء، وفيه يقول ابن قيس الرقيات :
إنما مصعب شهاب من الله تجلت من وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه جبروت ولا به كبرياء

أما عروة بن الزبير، فلقد كان من العلماء الاعلام.
ومن حلفاء بني أسد بن عبد العزى حاطب بن أبي بلتعة
اللخمي. وسعد بن خولي مولى حاطب شهد سعد بدرا وقتل يوم أحد
شهيدا. اما حاطب فقد قال النبي في معرضه «ما يدريك لعل الله أطلع
على أعمال أهل بدر، وقال لهم «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» (423)
نعرف أن حاطبا بعث برسالة قبل غزوة الفتح ينذر فيها أهل مكة،
وبعث الرسول عليه الصلاة والسلام في اثر الظمينة التي حملت هذه
الرسالة في ضفائر رأسها.

أدرك علي بن أبي طالب الظمينة، ومعه الزبير والمقداد بن عمرو.
واستخرجوا منها الكتاب وأقر حاطب أنه كتب إلى قریش لتكون له يد
عندهم يعوض بها القوة العصبية التي يحتّمى بها الناس. ونزل في أمره

(423) - صحيح البخاري ، 7 / 91.

قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم
أولياء» الآية (424)

واستأذن عمر في ضرب عنقه، لكن الرسول عرف صدقه وقبل عذره،
وعرف انه لن يكون من الأشقياء من شهد بدرا وبيعة الرضوان. وتاب
حاطب، وارتضى الرسول توبته، وتجميل برسالته إلى المقوقس، وحمل عنه
الحديث من حسن الاستعداد للجمعة وكونه كفارة عمل الأسبوع (425).

424 / الآية 24 من سورة الممتحنة.

425 / اسد الغابة : 1 / 392.

(1) بنو عبد الدار

كان من بني عبد الدار أول أستاذ مهاجر، بعثه الرسول إلى المدينة ليفقه الناس في دينهم، وليقرأ عليهم القرآن، انه مصعب بن عمير بن هاشم ابن عبد مناف بن عبد الدار. فتى مكة عزا وجمالا. كانت أمه من أغنى نساء قريش وكانت حريصة أن يعيش حياة ملؤها الرقة والنعيم، أسلم في دار الأرقم بن أبي الأرقم وظل يتردد سرا على النبي حتى بصر به عثمان بن طلحة فأخبر أهله فحبسوه حتى هاجر إلى الحبشة ثم عاد إلى مكة وأرسله النبي معلما في المدينة. ولقد اضطلع مصعب بهذه المهمة، وقام بأمرها خير قيام، فكان في دور بني النجار، يدعو الناس إلى الله، ويبين لهم شرائعهم ويقيم شعائره. ويقول البراء بن عازب أن أول من قدم المدينة مصعب وابن أم مكتوم. وكان مصعب يأتي الأنصار فيدعوهم ويقرأ عليهم القرآن حتى فشا فيهم الإسلام، واذن له النبي أن يجمع بالناس. فجمعهم في دار سعد بن خيشمة بخطبة وركعتين، وكانت أول جمعة في المدينة (426)، وعاد إلى مكة مع حجاج الأنصار وحاولت أمه من جديد رده عن دينه فلم تفلح.

وبعد سنة من قدوم مصعب اجتمع شمل المسلمين بالمدينة لما أقبل إلى الأنصار، جدهم الذي كانوا ينتظرونه، وفرح ولائد بني النجار بقدوم النبي، وتغنت به فتياتهم يرددن :

نحن جوار من بني النجار يا حبذا جار النبي من جار

كان مصعب من الذين شهدوا هذا اللقاء العظيم وظل مصعب مجتهدا، جادا في هجرته وجهاده. كانت هجرته حبا لله ورسوله، وجهاده استماتة في سبيل الله ورسوله. فأعرض عن نعيم بيته وحنان أمه وما أوتيت من مال، فكان في المدينة يعاني ضيق يد في الحياة، فلم يزد إلا قوة وإيمانا. أقبل يوما في المدينة وعليه نمرة قد وصلها باهاب فنكس الصحابة رؤوسهم حياء. فقال النبي : «الحمد لله ليقلب الدنيا بأهلها». رأينا هذا - يعني مصعب - وما في مكة من قریش أنعم عند أبويه نعيما منه، ثم أخرجه من ذلك الرغبة في الخير وحب الله ورسوله. (427) حمل لواء المهاجرين يوم بدر وكان من أبطاله المخلصين، ولقد أسر فيها أخوه، وطلب مصعب من الانصارى الذي أسره أن يشد وثاقه. وأن يشدد في طلب الفداء. وفي يوم أحد، في الوقت الذي كان أبناء عمومته من بني عبد الدار يموتون، الواحد تلو الآخر، تحت راية كفار قریش، فاز مصعب بن عمير بالشهادة تحت راية المهاجرين كان أبناء عمه يستمعون إلى هند بنت عتبة، وهي تحرضهم على قتل المسلمين. وتدعوهم قائلة :

«صبرا بني عبد الدار ضربا بكل بتار»
وتعدهم بالعناق، وتهدهم بالفراق

كان في ذلك الوقت مصعب، يسبح لله. وفزع الناس حينما رأوه شهيدا، لأنه كان ممن يشبه بالرسول، وتناسى المسلمون أن الله قد عصم رسوله من الناس. وحسنت خواتم عمل مصعب بن عمير.

وقف عليه النبي صريحا فتلا قوله تعالى : «من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا» (428) وتذكر أيامه بمكة وما بها أحد أرق حلة ولا أحسن لمة منه وهو الآن أشعث الرأس قتيل في بردة لا توارى جسمه كله. (429) ثم أقبل على الناس فقال : «زورهم وآتوهم وسلموا عليهم فوا الذي نفسي بيده لا يسلم عليهم مسلم إلى يوم القيامة إلا ردوا عليه السلام» (430).

ومن مهاجري عبد الدار الأولين سويبط بن سعد وطليب بن عمير وأمه أروى بنت عبد المطلب بن هاشم.

(428) أمد الغاية : 4 / 370

(429) الطبقات : 3 / 122

(430) الطبقات : 3 / 121.

(7) المهاجرون من بني مخزوم

سبق أن ذكرنا أن شأن بني مخزوم في قريش شأن عظيم.
انهم بيت المكانة والسطوة في قريش.

نصب كفارهم العداوة للإسلام، وأبلى من أسلم منهم البلاء الحسن في الدفاع عنه. فكان منهم الأرقم بن أبي الأرقم، الذي آوى الرسول في داره فجعل منها مسجدا للصلاة ومدرسة للتلاوة وحصنا للمسلمين. ومنهم أبو جهل الذي ناوه محمدا رسول الله وسمى في قتله وأخرجه، ودبر مقاطعة بني هاشم في الشعب طيلة ثلاث سنوات، وقتل سمية أم عمار ابن ياسر وحرّض كفار قريش على قتال المسلمين في يوم بدر.

ومن بني مخزوم ثلة من خيار المهاجرين الأولين، منهم من تسمى بالمهاجر، وهو الوليد بن أبي أمية، وأبو سلمة بن عبد الأسد، وأخوه السائب، والمسيب بن حزن وهو من أهل بيعة الرضوان، وعبد الله بن السائب وعياش بن أبي ربيعة، والوليد بن الوليد، كل هؤلاء من فريق الجنة والهداية.

ومن فريق السعير والضلال، الوليد بن المغيرة الذي فكر وقدر وقتل كيف قدر. وأبو قيس بن الفاكه بن المغيرة الذي انتهى من بين المستهزئين، ومن الذين أخلدوا إلى الأرض، زهير بن أبي أمية وأبو أمية نفسه.

ونعود إلى فريق الإسلام، لننتحدث أولا عن الأرقم بن أبي الأرقم.

1) الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم

أسلم سابع سبعة ودعيت داره دار الإسلام فكانت أول بيت وضع
للدعوة إلى الحق والتوحيد وعرف الأرقم مالها من فضل وبركة فتصدق
بها الأرقم على ولده وكتب أنها محرمة بمكانها من الحرم لاتباع ولا
تورث فلم تزل كذلك إلى زمن أبي جعفر المنصور. وبقيت لأهل الأرقم
حتى خرج عبد الله بن عثمان بن الأرقم مع محمد بن عبد الله بن
الحسن فحبسه المنصور وابتاع عامله الدار من أهلها تحت الضغط. وصيرها
المهدي للخيزران أم هارون الرشيد فصارت تعرف بدار الخيزران (431).

شهد الأرقم كل المشاهد مع الرسول وطالت به الحياة بعده فتوفى
في عهد معاوية وأوصى أن يصلى عليه سعد ابن أبي وقاص فطاب
سابق عمله وختم بالخير والسعادة.

ومن بني مخزوم شماس ابن عثمان وهو ممن شهد بدرًا ومن
أبطال أحد. وقال النبي إن لم ير شيئا له إلا الجنة (432) فكان
لا يرمى ببصره يمينا وشمالا إلا رآه في ذلك الوجه يذب بسيفه.

(431) الطبقات : 3 / 243.

(432) الطبقات : 3 / 245.

أصيبت مقاتله في معركة أحد وحمل إلى المدينة وبه رمق من الحياة. ولما مات قال النبي صلى الله عليه وسلم. انه يعاد إلى أحد ليدفن كما تدفن الشهداء (433).

ومن حلفاء بني مخزوم عمار بن ياسر. نسبه في مذحج. وكان أبوه حليفاً لأبي حذيفة بن المغيرة ولما أسلم آل ياسر في أول الدعوة صاروا عرضة لفتنة قريش بتعذيبهم ذهب ياسر وسمية في سبيل استجابتهما للإسلام. واشتد الألم بعمار حتى صار لا يدري ما يقول. فأكبره أن يقول مالا يعتقد. وبقي قلبه مطمئناً بالإيمان. وعرف الله ورسوله صدقه وثباته (434). ولقد كان الرسول يمر على آل ياسر ويقول لهم أبشروا آل ياسر فإن موعدكم الجنة. (435) ويرى النبي عمار تحت لهيب نار قريش فيدعوه قائلاً : يا نار كونى برداً وسلاماً على عمار كما كنت على إبراهيم (436) ويزداد عمار ثباتاً وطمأنينة. ويظل مومناً متعبداً قانتاً آناء الليل ساجداً أو قائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ثم استطاع أن يهاجر من بعدما فتن وأن يحتمي بحمى النبوة في دار الهجرة. فكان مع الرسول يبنى المساجد للتعبد ويفزو لتكون كلمة الله هي العليا ويقا تل الانس والجن في سبيل الحق. (437) وكان الرسول عليه

(433) الطبقات : 3 / 246.

(434) الطبقات : 3 / 248.

(435) أخرجه الطبراني : 9 / 293.

(436) اسد الغابة : 4 / 44 والطبقات : 3 / 246.

(437) أخرجه الطبراني - كذا في مجمع الزوائد : 9 / 293.

الصلاة والسلام. يعرف له إيمانه وسعيه. ويقول له ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية (438).

كانت هذه اشارة ترصدها المسلمون لمعرفة الحق في أيام مشاجرة الصحابة. وكلهم يعرف أن عمارا يدور مع الحق حيث دار. وعينه عمر أميراً على الكوفة فقام مقام العدل والبر.

ولقد استشهد عمار مع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وحين رأى جيش عمرو بن العاص قال لقد قاتلت صاحب هذه الراية ثلاث مرات مع النبي صلى الله عليه وسلم، ثم شد عليهم يقول :

نحن قتلناكم على تنزيله

واليوم نضربكم على تأويله

ضرباً يزيل الهام عن مقيله

ثم يردد :

اليوم ألقى الأحبة محمداً وصحبه

ولما سمع أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بمقتله قال : ان امراء لم تدخل عليه المصيبة بمقتل أبي اليعقظان لغير رشيد. رحم الله عماراً يوم أسلم ويوم قتل ويوم يبعث حياً (439).

ونعود مرة أخرى إلى صميم بني مخزوم لنذكر عبد الله ابن أبي أمية، الذي ثنته عناية الهداية فأسلم في غزوة الحديبية، وهاجر إلى مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام.

وعن بطل بني مخزوم، سيف الله وسيف رسوله، خالد بن الوليد. اننا نعرف ما حل برماة المسلمين من فرسان خالد يوم أحد، لكن هدى الله هو الهدى.

(438) الطبقات : 3 / 251.

(439) الطبقات : 3 / 262.

فبعد غزوة الأحزاب، أجمع رأي خالد وعثمان بن طلحة وعمرو بن العاص على الإسلام والهجرة. ومنذ أسلم خالد، وهو سيف الرسول، ورسول الجهاد والفتح، أبلى أحسن البلاء في غزوة موتة وأخذ راية المسلمين بقوة، أخذها بعدما استشهد في ظلها، واحدا بعد واحد، زيد بن حارثة، وجعفر بن أبي طالب، وعبد الله ابن رواحة. وأقر الرسول عليه الصلاة والسلام أمارته، وثبته في قيادة الجهاد، فشهد معه فتح مكة، وما بعدها من مشاهد.

وبعد الرسول، ظل خالد يرفع راية الإسلام، ويكسر شوكة الردة والكفر. ويحقق عليهم النصر تلو النصر.

(8) المهاجرون من بني جمح

الحديث عن بني جمح بن عمرو بن هصيص، يذكرنا ببيتين في هذا البطن من قريش. كانا على طرفي تقيض. بيت بني مظفون، وبه نبأ حديثنا، بيت الهجرة والايمان. ومن بينهم يستوقفنا عثمان بن مظفون، ذلك المهاجر الذي بدأ جهاده قبل الهجرة، كان من أول قومه إسلاما، أسلم قبل دخول النبي دار الأرقم مع عبيدة بن الحارث وعبد الرحمن بن عوف، وأبي سلمة ابن عبد الأسد وأبي عبيدة بن الجراح. قبل عثمان بن مظفون بعد إسلامه، أن يدخل في جوار الوليد بن المغيرة، وبقي مدة لا يتعرض له أحد بسوء، ثم اشتد البلاء على أصحابه من المسلمين، فتحرك الإسلام في نفسه، فذهب إلى الوليد، وقال قد رددت إليك جوارك، ودخلت في جوار من هو أعز منك. فتعرض للفتنة مثل قومه، ولطمه بعض الطغاة من قريش، فأصاب عينه وخضرها. والوليد قريب منه يؤنبه ويقول له انه كان في جوار منيع، ويتضاعف شعور الايمان في نفس عثمان بن مظفون، ويرد على الوليد، قائلا أن عينه الصحيحة أشد فقرا إلى ما أصاب أختها في الله. (440) وكان عثمان من أحسن الناس سيرة قبل الإسلام وبعده حرم الخمر قبل الإسلام. ولما حرمت قال تبالها لقد كان بصرى فيها ثاقبا (441).

أراد أن يتبتل ويسيح في الأرض وأن يهجر النساء، واشتكت إمرأته من وصال عبادته فقال له النبي أليس لك في أسوة حسنة، فاني آتي

(440) أسد الغابة : 3 / 385.

(441) الطبقات : 3 / 394.

النساء، وأكل اللحم، وأصوم وأفطر. فإن لمينيك عليك حقاً، ولجسدك عليك حقاً، فصل وتم وصم وأفطر (442).

ثم وجده الرسول في بيت خاص يتعبد فيه فأخذ بعضادتي باب البيت وقال : يا عثمان إن الله لم يبعثني بالرهبانية، وإن خير الدين عند الله هو الحنفية السمحة (443).

صحب عثمان الرسول وهاجر الهجرتين، وشهد معه بدرًا، ثم عاجلته المنية فكان من أول من دفن في البقيع. قبله النبي وهو ميت، وقالت عائشة إنها رأت دموع النبي تسيل على خد عثمان (444).

وبكت النساء عليه، فجعل عمر يضربهن بسوطه، وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، مهلاً يا عمر ابكين وياكن ونعيق الشيطان، وبين أن ما كان من العين والقلب فمن الله ومن الرحمة وما كان من اليد واللسان فمن الشيطان (445).

البيت الثاني من بني جمح بيت بني خلف بن وهب بن حذافة ولم ينح منه إلا من رحم ربك، ولقد كان صفوان بن أمية ممن تداركته هذه الرحمة. أما أمية بن خلف فقد عرف بأنه رأس الكفر، واشتهر بما لاقى منه مستضعفو المسلمين من الأذى والتعذيب، لقد تولى كبر تعذيب بلال بن رباح في مكة، وأصاب منه بلال ثأره في يوم بدر، وكان أخوه أبي، رأس الفتنة والضلال، فلم يكتف بأن يضع نفسه في متاهات الشرك والجحود، ولكنه حرص أن يكون داعية الاشرار بالله، ومدافعاً عن حوزة الكفر والجحود. ولقد أشار القرآن الكريم إلى دور أبي، حينما اتخذ عتبة

442، أخرجه أبو داود - كذا في تخريج السنن ، 2 / 107.

443، الطبقات ، 3 / 395.

444، الطبقات ، 3 / 396.

445، الاستيعاب ، 3 / 88 والطبقات ، 3 / 399.

ابن ربيعة خليلا فصده عن الذكر بعد إذ جاء، وعن الايمان بالله
والتصديق برسالة النبي، فظلم عتبة نفسه، وسيعض على يديه، قائلا:
«ياليتني لم اتخذ فلانا خليلا».

وتمادى أبي في غيه وغروره ووعد قريشا أنه سيقتل محمدا في
أحد. وعصم الله نبيه من الناس وأهلك أبيا على يد رسوله.

ونمود مرة أخرى إلى آل مظفون، لنشيد بأخوى عثمان، وهما عبد
الله وقدامة وهما ممن هاجر الهجرتين وشهد كل المشاهد. وكذلك ابن
أخته معمر بن الحارث بن معمر وابن أخيه السائب الذي قتل يوم بدر
شهيدا.

9) المهاجرون من بني سهم بن عمرو بن هصيص

كان بيت عدى بن سعد في بني سهم بيت شرف ومجد.
ولقد تفرق أبناؤه فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير.
فكان منهم أبناء حذافة بن قيس وهم أولوا سابقة في الهجرة
والجهاد. منهم خنيس الذي تزوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل أن
تكون من أمهات المؤمنين.
وعبد الله الذي كان رسول النبي (ص) إلى كسرى، ومناديه في
الحج (446).

ومن أبناء قيس بن عدى عبد الله بن الزبيري بن قيس، وهو
الشاعر الذي قال بعد وقعة أحد :
ليت أشياخي بيدر شهدوا جزع الخرج من وقع الأسل
غير أن رحمة الله تداركت عبد الله، فأسلم وحسن إسلامه.

ومن بني عدى أيضا الحارث بن عدي الذي كان من المستهزئين،
غير أنه ترك ثمانية أولاد أسلموا كلهم. واستشهد منهم ثلاثة في سبيل الله
وهم أبو قيس في اليمامة، وسعيد في اجنادين، وعبد الله في الطائف.
ومن مشاهير قريش ودهاتهم عمرو بن العاص.

ونبدأ الحديث عن عمرو بن العاص، بقصة إسلامه وهجرته إلى
المدينة مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة. لقد جد عمرو بن العاص
في أول أمره أن يقف في وجه الإسلام، ذهب إلى الحبشة لينزع

مهاجريها من النجاشي، فكانت مناظرته التي انهزم فيها أمام جعفر بن أبي طالب. وشهد مع قريش جل وقائعهم ضد المسلمين، وبعد غزوة الأحزاب ذهب ثانية إلى الحبشة فرارا من انتشار الإسلام، ومحاولة لاستمالة النجاشي من جديد. بيد أن محاورته مع النجاشي أقنعتة بالاستسلام والإسلام. ثم كان لعمر بن العاص بعد ذلك دوره المعروف في حروب الردة، وحينما وقعت المشاجرة بين الصحابة أثر عمرو أن يقف بجانب معاوية، وكان من أمره ما كان، وكان أمر الله قدرا مقدورا. وابنه عبد الله من علماء الصحابة وأفاضلهم.

ومن بيوتات بني سهم نذكر عرضا بيت أبي وداعة بن سعيد بن سهم لا نتحدث عن المهاجرين الأولين، وإنما لننبه أن من هذا البيت عبد الرحمن بن محيصن بن المطلب بن أبي وداعة، قارئ أهل مكة. ومن هذا البيت كذلك كثير الشاعر المعروف، واسماعيل بن جامع المشهور في الغناء.

(10) المهاجرون الأولون من بني عامر بن لؤى

قد لا يكون عدد المهاجرين الأولين من بني عامر بن لؤى، كثيرا. غير أن العبرة ليست بالكثرة وحدها، حيث نجد أقواما من السابقين المقربين، مثل أبي سبرة، أبي رهم بن عبد العزى بن عبدود، وأمه برة بنت عبد المطلب، ولقد اختلف أهل السير في هجرته للحبشة، (447) استشهد يوم اليمامة صائما، مجاهدا مخلصا. ويذكر أهل السير من بني عامر كذلك، أبا حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود الذي قيل أنه أول من وصل الحبشة من المهاجرين وعبد الله بن مخرمة ابن عبد العزى الذي هاجر مع إمام المهاجرين في الحبشة، جعفر بن أبي طالب، ثم عاد وشهد كل المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومنهم سعد بن خولة الذي قال الرسول في صدده : اللهم امض لأصحابي هجرتهم ولا تردهم على أعقابهم (448) ولقد استجاب الله لنبيه في ابن مخرمة، فلم يزل مجاهدا في سبيل الحق حتى قتل شهيدا في وقعة اليمامة. ولا يسعنا، ونحن نتحدث عن بني عامر، إلا أن نذكر أحد زعمائهم ولو لم يك من عداد المهاجرين لما قام به من أدوار خطيرة في الجاهلية الإسلام. ذلك هو سهيل بن عمرو، الذي اشتهرت قصته في مفاوضات الصلح في الحديبية، حتى هدد عمر بقتله، وأعرض الرسول عليه الصلاة والسلام عن ذلك مراعاة لما سوف يسديه للمسلمين فيما

(447) انظر أسد الغابة : 5 / 207 وصحح هجرته إليها.

(448) صحيح البخاري : 7 / 150.

بعد. (449) ولسهيل ابنان هاجر كل منهما إلى الله وإلى المسلمين في ظروف حاسمة. أولهما عبد الله بن سهيل الذي خرج مع المشركين إلى بدر. ولما تراءى الجمعان. رغب عبد الله بنفسه أن يقاتل مع أئمة الكفر والجحود. فخرج من صفوف أهل الضلال والخذلان. والتحق بالمسلمين. وقاتل في سبيل الله ومع رسول الله. فكتب له السعادة والنصر. (450) وظل مهاجرا مجاهدا حتى استشهد في وقعة اليمامة.

أما قصة أخيه أبي جندل. فإنها تشبه بكثير ما وقع لأخيه عبد الله. جاء أبو جندل يرسف في قيوده أوان صلح الحديبية. وناشد المسلمين أن لا يردوه إلى دار الفتنة. ولم يرض الرسول غير الوفاء بالعهد. إن العهد كان مسؤولا. فردّه النبي إلى قريش. وهو يعرف ماذا سيكون من أمره. واستطاع أبو جندل أن ينجو بنفسه. وأن ينضم إلى جماعة أبي بصير التي تحيزت على طريق وأقضت مضاجع كفار قريش حتى طلبوا من الرسول يأخذهم معه في المدينة.

ومن مهاجري بني عامر بن لؤى. وهب بن سعد بن أبي سرح. الذي مات شهيدا في غزوة مؤتة. ومن حلفائهم سعد بن خولة الذي رثى له النبي (ص) بسبب وفاته بمكة بعدما هاجر منها (451) ومن مواليتهم عمير بن عوف الذي شهد كل المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(449) أسد الغابة ، 2 / 371.

(450) الطبقات ، 3 / 406.

(451) انظر تخريج الحديث فيما قبل.

(11) المهاجرون من بني الحارث بن قصى

نذكر في طليعة المهاجرين من بني الحارث بن قصى، أمين الأمة عامر بن عبد الله بن الجراح، المعروف بأبي عبيدة. لقد قال عنه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلمة موجزة، بيد أنها من أبلغ ما قيل في حياة أمين الأمة. لقد قاد أبو عبيدة ألوية النصر إلى الشام وفتح قاعدة الحضارة في دمشق، تحوطه جيوشه بكثير من الحب والاحترام. وينظر إليه عرب الشام بكامل المهابة والتقدير. وتطلعت نفس أمير المؤمنين عمر بن الخطاب إلى أن يزور المراكز التي انضوت في حظيرة الإسلام، وأن يشاهد بنفسه الأثر الحضاري لهذا الحدث العظيم. وواصل موكب عمر إلى الشام واستقبله قواد جيش أبي عبيدة وجعل يلتفت يمينا وشمالا ليرى أمين الأمة، ثم قال أين أخي؟ أبو عبيدة. فلم يأتي أبو عبيدة على البغال الشهب، وإنما جاءه على بعير. وذهبا إلى خيمة أبي عبيدة، ونظر عمر إلى ما فيها من متاع، فلم يجد فيها لاسريرا ولا منضدة ولم ير إلا حصيرا يستعمل للجلوس، والنوم والصلاة. والتفت عمر إلى أخيه قائلا: هلا اتخذت متاعا؟ فأجابه أمين الأمة قائلا: «إن هذا يبلغنا المقيلا». وحينئذ قال له أمير المؤمنين: كل واحد منا غيرته الدنيا إلا أنت يا أبا عبيدة (452).

وهكذا شهد عمر ابن الخطاب، لأمين الأمة بالثبات على سيرة الصحابة الأولين. وتمنى أن يرى بيتا مملوءا برجال مثل أبي عبيدة.

(452) أسد الغابة : 5 / 249.

(453). وعندما أراد عمر أن يعهد بالخلافة قال لو كان أبو عبيدة حيا لاستخلفته. وقبل عمر، شهد الرسول عليه الصلاة والسلام لأبي عبيدة بالأمانة (454) وبشره بالجنة وارتضاه أبو بكر في جمع سقيفة بني ساعدة. أن يكون خليفة للمسلمين (455).

ولقد سعى أبو عبيدة سعيا يجعله حريا بكل هذا التقدير. لقد كان من المسلمين السابقين، ومن المهاجرين الأولين فلم يرض أن يكون من الذين يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم. ولم يقبل منذ أن دخل في الإسلام، نسبا غير نسبة الإسلام. وهكذا قيل عنه أنه الجم والده بالسيف في وقعة بدر الكبرى. وإذا كان بعض المؤرخين يقول أن أباه مات قبل بدر، فإن شهرة هذا الخبر تعبر عن مدى عمق إيمانه، وانقطاعه من أسباب الكفر، وتشبهه بمرورة الإسلام. وشهد كل المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. شهد بدرا وثبت معه يوم أحد، وهو الذي انتزع الحلقة التي أصيب بهما في وجنتين فسقطت ثناياه آنذاك. (456) فكانتا له سمة الخير وشهادة ذوى عدل على صدق النية في الهجرة والجهاد. وبعثه النبي أميرا على سرية في أرض جهينه في الساحل، ولما نفذ زاد قومه، صاروا يخططون الخط ويسقونه، فسمو بجيش الخط، ثم ما لبثوا أن وجدوا سمكة من أضخم الحيتان أكلوا منها عشرين ليلة (457).

ونذكر من بني عمومته ، بني ربيعة بن هلال وكلهم من المهاجرين الأولين، منهم سهل وسهيل ابنا بيضاء، وأبوهما وهب بن

(453) الطبقات ، 3 / 313.

(454) صحيح البخاري ، 4 / 200.

(455) الاستيعاب ، 2 / 2.

(456) الطبقات ، 3 / 410.

(457) صحيح البخاري ، 3 / 211.

ربيعة بن هلال ماتا في حياة النبي صلى عليهما في مسجده. (458)
وكان سهل ممن سعى في نقض صحيفة الظلم التي كتبتها قريش في
مقاطعة بني هاشم بالشعب.

ومنهم كذلك عياض بن زهير بن أبي شداد بن ربيعة. وعمرو بن
الحارث بن زهير. وعمرو بن أبي سرح بن ربيعة. وأخوه وهب. كلهم
كانوا أهل سبق في الهجرة والجهاد. ومنهم ابنا عبد قيس بن لقيط بن
عامر. سعيد والحارث. وكلاهما من المهاجرين الأولين.

(458) صحيح مسلم - كذا في جمع الفوائد ، 1 / 358.

14) خاتمة : مدلول الهجرة

لقد استعرضنا في هذا الفصل مشاهير المهاجرين الأولين، ولم نحاول استقصاءهم مراعاة للإيجاز، لأننا لو أردنا حصر جميع الذين أسلموا قبل الفتح، لتطلب ذلك الإحصاء أعمالا تتجاوز ما نرمي إليه في هذه الأحاديث. فاقصرنا على أعلام المهاجرين من مكة إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وذلك رغبة منا في تفهم مدلول الهجرة.

لقد نوه الله بالمهاجرين في القرآن الكريم، وجعل بعضهم أولياء بعض، وقرن الهجرة بالإيمان والجهاد، ولقد اعتبر الرسول عليه الصلاة والسلام، هجرة أصحابه عبادة مستمرة، وقيد أجزائها بالنية، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، الحديث (459) وسأل النبي ربه أن يمضي لأصحابه هجرتهم، وأن لا يردهم على أعقابهم، ورثي لأحدهم حينما توفي في مكة بعد أن هاجر إلى المدينة، وكان المهاجرون يتخرجون من المقام في مكة بعد الحج مخافة أن يعودوا في هجرتهم، وأذن لهم الرسول في ثلاث ليال بعد النسك، (460) وكثير منهم يأبى أن ينزل في داره التي خرج منها مهاجرا إلى الله ورسوله.

ثم أجمعوا على أن يبدأوا تاريخهم بهجرة الرسول باعتبارها أهم حدث تحول في الإسلام، فقال عمر بن الخطاب، الذي اختارها، إنها فرق بين الحق والباطل، وروى عن أبي شهاب الزهري أن النبي صلى الله عليه وسلم، لما قدم المدينة أمر بالتاريخ فكتب ابتداء من ربيع

(459) صحيح البخاري : 1 / 2.

(460) صحيح البخاري ومسلم - كذا في جمع الفوائد : 1 / 506.

الأول ويقول السهيلي أن الصحابة اقتبسوا اختيار بدء التاريخ بالهجرة استنادا على قوله تعالى : «لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه». وإن أول يوم هو يوم قدوم الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة (461).

فالهجرة إذن تعبد بالنسبة للمهاجرين الأولين، وتحول في تاريخ الإسلام.

إنها عبادة أولئك الذين خرجوا من بيوتهم فرارا إلى الله. فانسلخوا من أوطانهم وذويهم. لم يحبسهم أهل ولا مال، من المضي إلى دار الهجرة، دار الإيمان والجهاد.

والهجرة أيضا تحول في تاريخ الإسلام، حيث أن الالتحام بين المهاجرين والأنصار قضى في أيام معدودات على العصبية القبلية وعلى حمية الجاهلية، وعلى المختلقات الاسطورية، وعلى كل المفاهيم التي لاتستند إلا على المنافع الإنسانية، واعتمدت قيم الإسلام كشرعة ومنهاج، وكون هذا الالتحام تلك القوة الضاربة التي حمت الإسلام في مهده، ورفعت كلمة الإيمان والتوحيد في كل مكان.

ولقد كان المهاجرون والأنصار، تحت قيادة محمد بن عبد الله، وبمرأى ومسمع من الله، هم أبطال هذا الجهاد المقدس.

(461) الروض الأنف ، 2 / 246.

(3) دور الأنصار

القسم الثالث

القسم الثالث

1) دور الأنصار

«خير دور الأنصار بنو النجار ثم بنو عبد الأشهل ثم بنو الحارث ابن الخزرج ثم ساعدة وفي كل دور الأنصار خير» (462).

هذا ما قاله عن الأنصار من عرفهم حق معرفتهم وبلى أخبارهم في السراء والضراء. لقد قال هذا القول عنهم من أرسل إليهم وهاجر إلى دارهم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونود هنا أن نتردد بين هذه الدور ونذكر بعض مالها من فضل وخير. ولكن قبل أن نقرع أبواب دور الأنصار نريد أن نذكر في عرض موجز بمكانة الأنصار بين العرب وبمجدهم وشرفهم العريق. ثم نذكر ما أسدوه في فجر الإسلام لهذا الدين من نصر وتأيد. وبعد هذا العرض نعود إلى أحياء الأنصار لتتعرف على أعيانهم الكرماء.

مكث النبي عليه الصلاة والسلام بمكة بضعة عشر سنة ينذر أم القرى ومن حولها. ويدعو الناس إلى التوحيد والعدل والإحسان وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى. وكذبه الملأ من قريش وقالوا ساحر أو مجنون. فلم يستجب له إلا القليل. وظل في مكة في ثلة مستضعفين

(462) صحيح البخاري : 4 / 208 وصحيح مسلم : 7 / 175.

يخافون أن يتخطفهم الناس. معرضين لفتنة سفهاء قريش وسخرية مستهزئيه. فهاجر بعض أصحابه إلى الحبشة فارا بدينه من الكفر والاضطهاد. وبقي البعض صابرا لما يلاقيه من إهانة وتعذيب. ولما كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستئس من قومه. بدأ يعرض دينه على القبائل التي ترد المواسم حول مكة. فكان ياتيهم في منازلهم ويستعطفهم ويقرأ عليهم القرآن ويدعوهم إلى الإسلام. وكانوا في أكثر الأحيان يردون عليه أقبح الرد ويكذبونه أشنع التكذيب. كان ذلك مثل بني ثور بن مرة وبني عبد الله من كلب، وبني حنيفة.

ومن بين القبائل التي عرض عليها الإسلام بنو عامر بن صعصعة وأجابه سيدهم بيجرة بن فراس بقوله ، «لو رأيت بأنا تابعتك ثم أظهرك الله على من خالفك، أكون الأمر لنا من بعدك». ويرد عليه الرسول عليه الصلاة والسلام قائلا «أن الأمر لله يضعه حيث يشاء» (463) وبين لبيجرة أن الإسلام دين لله لا يقبل من يريد دخوله للتغلب والملك، وأوجس بنو عامر في أنفسهم الخوف من قريش فقالوا ، «انا لن نهدف نحورنا دونك» فلم يقيضهم الله لنصر الإسلام.

وفي هذه الفترات كان للنبي عليه الصلاة والسلام لقاءات مع بني قيلة. لقي أولا سويد بن الصامت أخا بني عمرو بن عوف، وهو من أقرباء النبي صلى الله عليه وسلم، إذ أن أمه ليلى بنت عمرو أخت لسلمى بنت عمرو النجارية أم عبد المطلب، وسمع سويد القرآن واستحسنه وقارب أن

(463) سيرة ابن هشام ، 2 / 174.

يسلم، وكان سويد حكيما درس مجلة لقمان التي تضمنت حكمته، كما كان شاعرا مجيدا، تظهر حنكته في شعره حيث يقول ،

ألا رب من تدعو صديقا ولو ترى مقالته بالغيب ساءك ما يفرى
مقالته كالشهد مادام شاهدا وبالغيب مآثور على ثغرة النحر
يسرك باديه وتحت أديمه نميمة غش تبتري عقب الظهر

ورجع سويد إلى قومه وقتله الخزرج يوم بعث. وكان اللقاء الثاني مع فتية من بني عبد الأشهل أتوا مكة يستنجدون بقريش في حربهم مع الخزرج. ومن هؤلاء القوم أبو الحيس بن رافع وإياس بن معاذ. ولما سمعوا القرآن من النبي صلى الله عليه وسلم، رد عليه إياس بالقبول والاحسان، ولكن أبا الحيس غضب على إياس وسفه قوله وضرب بالحصى في وجهه، ويقول بنو عبد الأشهل أن إياس مات مهلا بالتوحيد والإسلام (464).

واللقاء الثالث كان بينه وبين ستة من الخزرج. إثنان منهم من بني النجار وهما: أسعد بن زرارة وعوف بن عفراء، وثلاثة من بني سلمة وهم: جابر بن عبد الله وقظية وعقبة بن عامر. والسادس من بني زريق وهو رافع بن مالك بن العجلان. ولما سمعوا منه القرآن استجابوا كلهم لدعوته واعتنقوا دينه الحنيف ثم رجعوا إلى أهلهم مبشرين ومنذرين (465).

وكان اللقاء الرابع بداية عهد جديد في الإسلام، فقد ضم أحد عشر رجلا من الخزرج ورجلان من الأوس. فمن الخزرج نجد أسعد بن زرارة ومعه رفاقه السابقون الأولون ما عدا جابر بن عبد الله، ومعهم في هذه

(464) أخرجه الطبراني والكبير، 6 / 42 والحاكم في المستدرک، 3 / 181.

(465) البداية والنهاية، 3 / 179.

المرّة معاذ بن عفراء النجاري وعبادة بن الصامت ويزيد بن ثعلبة ويزيد بن غنم بن سالم العجلاني والعباس بن عبادة بن نضلة. ومن الأوس أبو الهيثم بن التيهان وعويمر بن ساعدة (466).

واتفقت هذه الجماعة التي تمثل قبيلتي بني قيلة أن تباع النبي صلى الله عليه وسلم، على احترام أوامر الإسلام واجتناب مناهيه والسمي في نشر دعوته. ويعرف هذا اللقاء بالعقبة الأولى. لأنه قد تم في منى.

ثم كانت العقبة الثانية، وهي كانت اللقاء الخامس الذي له ما بعده. فهو أعظم حدث عرف تاريخ فجر الإسلام. ففيه التقى بنو قيلة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبايعوه على نصره وإيوائه وعلى قتال الأحمر والأسود دونه وعلى استقبال كل من هاجر إليهم من المسلمين.

ومن هذا اللقاء بدأ نور الإسلام ينتشر في الآفاق، وتحطم الحصار الذي ضربه كفار قريش على المسلمين وأراد الله أن يرفع راية الإسلام ويعزه على أيدي الخزرج والأوس. فحين جاء حجيج أهل يثرب، وكان من بينهم بعض المسلمين، اتاهم النبي صلى الله عليه وسلم، حسب عادته ووعظهم وتلا عليهم القرآن. واجتمع به منهم زهاء سبعين رجلا وامرأتين، وبايعوه على الجهاد بأنفسهم وأموالهم في سبيل الله. وعلى إيواء مهاجري المسلمين. واختار النبي صلى الله عليه وسلم، منهم اثني عشر نقيباً يكفلونهم ويرعون عهدهم، وكان هو كفيلاً على قومه من المسلمين، ثم لم يسألوه أن يجعل الأمر لهم من بعده مثل ما فعل بنو عامر بن صعصعة، ولكنهم طلبوا منه أن أظهره الله على عدوه أن لا يتركهم وأن لا يبارح دار

(466) سيرة ابن هشام : 2 / 184.

هجرته. وكان جوابه إليهم أن تبسم ابتسامة الوفي قائلا : «ان ذمته ذمتهم وحرمة حرمتهم» (467).

وكان أول من بايعه أسعد بن زرارة (468) ثم تتابع الناس على البيعة. وسوف نذكر في دور الأنصار أسماء هؤلاء النقباء الذين كان الرسول صلى الله عليه وسلم. يشير إليهم باملاء من جبريل عليه السلام. فكانت هذه العقبة الثانية مرضاة لله ونصرا لنبيه وبشارة لملائكة الرحمن. كما كانت مذلة للشيطان الذي تعالى صراخه فوق هضبات منى، وكانت كذلك بداية انهزام كفار قريش.

فمن هم هؤلاء الأنصار الجدد الذين استطاعوا أن يتحدوا قريشا في عقر دارهم وأن يبايعوا محمدا على قتال جميع العرب وجميع المشركين. سوف نعرف جواب هذا السؤال حين ندرك ما لهم من شرف في النسب وما عرف عنهم من اباء وكرم وشجاعة.

(467) سيرة ابن هشام : 2 / 189.

(468) سيرة ابن هشام : 2 / 56 ويروى أن أول من بايع أبو الهيثم بن التيهان.

(2) مجد الأنصار

ولن نستغرب مجد الأنصار وابائهم إذا عرفنا أنهم أبناء ملوك اليمن.
فجدهم الأزدي بن الغوث بن سبأ كان ملكا في صنعاء بعد حمير. أما
أباؤهم الادنون فهم لا يصفرون عن رتبة الملوك مثل أجدادهم الأقدمين،
فالأوس والخزرج هما أبناء حارثة بن ثعلبة العنقاء بن مزريقا عمرو بن
عامر ماء السماء بن حارثة الفطريف بن امرؤ القيس البهلول بن ثعلبة
الصنم بن مازن الهداج بن الأزدي. وكل هذه الألقاب تشير إلى المجد
والرفعة والتعظيم.

وقد نزع عامر من اليمن حين أحس سيل العرم، وعلم أن قومه لن
يرضوا بغربته عنهم فاحتال عليهم وأمر ابنه عمرا أن يلطمه أمام الملك
وبهذه المكيدة استطاع أن يأبى الإقامة في دار الهوان والعقوق.
وتجمع بعض بني حارثة بن ثعلبة بن عمرو عند ماء قرب الجحفة
يقال له غسان وتسموا به، ورحل منهم أولاد جفنة بن حارثة إلى الشام
وتغلبوا على سكانها وملوكها مدة سبعمائة سنة، وذلك بإعانة اخوتهم من
أهل يثرب. كما استعان أهل يثرب بأبناء جفنة عندما خافوا من نقض
عهودهم من اليهود.

فالأنصار أبناء الملوك واخوة الملوك، وقبل الهجرة بقليل ازمعوا أن
يتوجوا ملكهم لكن الله اختار لهم الإسلام عن الملك، فكانوا خيارا في
الجاهلية والإسلام فلا غرابة أن يفخر شاعرهم حسان بن ثابت بقوله ،
يا بنت آل فراس انني رجل من معشر لهم في المجد بنيان
أما سألت فانا معشر انصف الأزدي نسبنا والماء غسان

والعرب تفخر بحماية المياه وبورود الماء الذي تناذره العدو، وهذا ما يفسر لنا كون قبائل بارق والهجر وخزاعة كانوا من بني حارثة، ولكنهم ليسوا من غسان لأنهم لم يردوا ماء غسان ولم يحموه.

ولا غرابة أيضا أن يفخر حسان بمكانته عند أبناء عمومته من ملوك الشام الفسانيين فيقول :

لمن الدار أقفرت بمغان بين أعلى اليرموك فالصمان

وظل الأوس والخزرج على إباءهم وعزمهم لا يقبلون أن يحتموا إلا في ظل سيوفهم. ولما غزا تبع الأصغر الشام ودان له ملوك غسان قدم على يشرب وفيها بنو حارثة فأعانهم على اليهود، ورجع إلى اليمن بعدما كسا الكعبة من بروده اليمنية ثم أرسل إلى الخزرج والأوس يريد منهم اتاوة مقابل إعانته لهم على اليهود، وكان ردهم عليه عنيقا ومفحشا يعبر عنه هذان البيتان :

العبد تبعكم يريد قتالنا ومكانه بالمنزل المتذل
انا اناس لا نضام بأرضنا عض الرسول «ببطن» أم المرسل

والتصحيف في البيت الأخير في كلمة «بطن» ليس الا خطأ مقصودا. ثم غزا تبع الأنصار فكانوا يكرمونه في الليل ويقاتلونه بالنهار فأعجب، بشجاعتهم وكرمهم يذيقونه حد السيوف وشبا الرماح كل يوم ويكرمون مشواه بقراهم كل ليلة، فتركهم وعلم أن الأنصار لا يضامون في أرضهم.

وقد كان من الصعب على قبيلة قليلة العدد مثلهم أن لا تحتمي ببعض الملوك وتعطيه المغرم مقابل هذه الحماية، مثل ما فعلت بنو أسد

حيث كانوا يؤدون اتاوة لحجر الكندي، وكانت هوازن وهم أكثر عددا من بني قيلة، تعطي مغرما لزهير بن جذيمة العبسي، وذلك قبل أن يقتله خالد بن جعفر العامري الذي يقول ،

أو كيف تنكرني هوازن بعدما اعتقتهم فتوالدوا أحـرارا
وقتل ربهم زهيرا بعدما جدع الانوف وأكثر الأوتارا

وخالد بن جعفر هذا هو من بني عامر بن صعصعة الذين أبوا أن ينتصروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، خوفا من قريش. وهذا يوضح لنا عز الأنصار واباءهم ومجدهم العريق.

ولم يسد بنو قيلة بالشجاعة والكرم فقط بل انهم أيضا أعطوا الحكمة وفصل الخطاب. فكان منهم سويد بن الصامت صاحب مجلة لقمان وحكمته، ومنهم ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي كان يباهي به الوفود.

وقد نبغ منهم شعراء أفذاذ عم صيتهم جميع العرب. فقد قال أنس بن مالك رضي الله عنه ، اتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وما فينا أهل بيت إلا ويقولون الشعر، ونذكر في طليعة هؤلاء الشعراء شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، حسان بن ثابت الذي استطاع أن يقتحم قبة النابغة الذبياني وأن يتحداه هو وعلقمة الفحل، وقد انشدهما حسان قصيدته الرائعة التي مطلعها ،

أسألت رسم الدار أم لم تسأل بين الجوابي فالبضيع فحومل
وفيها يقول ،

لله در عصابة نادمتهم يوما يحلق في الزمان الأول
اولاد جفنة حول قبر أبيهم قبر ابن مارية الكريم الأفضل

يسقون من ورد البريص عليهم بردا يصفق بالرحيق السلسل
يفشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل
وينال شعر حسان هذا إعجاب جميع الحاضرين ويشير سخط
الحسود.

وابن مارية المشار إليه في هذا الشعر هو الحارث بن أبي شعر
الفساني، وأمه مارية بنت وهب بن ظالم الكندي وهي التي يضرب
المثل بقرطيبها، وهي أيضا أخت هند الهنود امرأة حجر آكل المرار.
هكذا كان حسان في الجاهلية وسوف نراه في عهد الإسلام حين
نتكلم عن دار بني النجار.

ومن مشاهير شعراء الأنصار كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة،
وسوف نتحدث عنهم فيما بعد.

ونريد أن نذكر في آخر هذا الفصل بعض العوامل التي جعلت
الأنصار يعتنقون الإسلام وينصرون رسوله عليه الصلاة والسلام.

ان أهم هذه العوامل أنهم كانوا أهل كرم وعفة وإباء. طبع الله في
نفوسهم هذه الخصال الحميدة التي قد رفعها الإسلام وأعلى شأنها. فأتاهم
هذا الدين السمع موافقا لما عرف في طبائهم من كرم وإباء. ثم أنهم
كانوا يجاوروه أهل الكتاب من يهود ونصارى وعرفوا بمخالطتهم بعض
ما في الكتب المنزلة من توحيد الله وعظمته، ومن بعثه للأنبياء، كما
عرفوا أنه سيأتي رسول يحدد دين الحنفية ويمحو الأوثان.

وقد كان أبناء عمهم في الشام يدينون بالنصرانية ويعظمون
شعائرها وكان بعض بني قيلة يحضر هذه الشعائر ويفهم منها أن هناك
ربا يجب أن يعبد، فهذا حسان بن ثابت يقول في جلق :

ودنا الفصح فالولائد ينظمن سراعاً أكلة المرجان

غير أن الأنصار لم يرضوا أن يدخلوا في هذه الأديان التي اعتبروها أجنبية عليهم، فالبعض منهم ظل وفياً لمناة والبعض كان يدعى أنه على الحنفية مثل عبد عمرو أبي حنظلة الفسيل. وحين سمعوا القرآن وأتاهم الإسلام على يد رسول عربي يمت إليهم بالقرابة وبيعت بصدقه الطمأنينة في نفوسهم رأوا أن هذا الدين مصدق لما قبله من الكتب والرسل، وأنه ملائم لقوميتهم الالابية، مستجيباً لما تتطلبه ضمائرهم من التقرب إلى الخالق ومن طرح الأوثان.

فقيضهم الله للإسلام فصاروا له أنصاراً ورسوله مأوى، وللمهاجرين إليهم إخواناً. وها نحن نطرق أبواب دورهم لنستطلع على ما فيها من مجد في النفوس وأسبقية في الإسلام.

(3) بنو النجار (بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج)

نبتدىء بخير دور الأنصار، دار بني النجار. ونرى مصداق ما قاله عنهم النبي عليه الصلاة والسلام، حين نعرف أنهم من أشرف الأنصار بيوتا. وأوسطهم نسبا وأشدهم على أعداء الإسلام. وسوف نلتقي في دارهم بعدة أحياء اشتهرت كلها بالفضل والأسبقية في الإسلام.

(1) بنو غنم بن مالك بن النجار :

تقف أولا عند حي بني غنم بن مالك بن النجار. وسنجد في هذا الحي أول تقيب بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم، على قتال الأحمر والأسود، وأول من عاهده على نصرته وعلى إيواء المهاجرين.

حضر هذا الرجل العقبات الثلاث، وكان فيها مخلص الإيمان، باذلا نفسه وماله لتأييد الإسلام، آوى في بيته المهاجرين الأولين الذين قدما المدينة اعني مصعب بن عمير وعبد الله ابن أم مكتوم. فكانا في بيته يعلمان القرآن ويثبتان دعوته.

ولما جاء النبي صلى الله عليه وسلم، المدينة امتلأ قلب هذا الرجل فرحا، ولازم رسوله وحببيه، وأعطاه ذلك المكان المقدس الذي بنى فيه مسجد رسلو الله صلى الله عليه وسلم. (469) لكنه لم يلبث أن توفي وذلك قبل وقعة بدر بقليل ولو أن الله مد في عمره لكان له في الإسلام شأن عظيم.

(469) صحيح البخاري ، 1 / 103.

هذا الرجل هو أسعد بن زرارة بن عبيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك. وقد كان أسعد هذا بطل العقبات وإمام النقباء وناصر المهاجرين السابقين .

وقد كافأه رسول الله صلى الله عليه وسلم. أحسن المكافأة. عالجه مريضا. (470) وصلى عليه ودفنه بالقيع. وقال لأهل داره انه عليه الصلاة والسلام. تقيهم بعد أسعد (471) وأراد أن يكون وحي بناته فكان بكرمهن ويحليهن رعاث التبر واللؤلؤ. (472) وهن ممن بايعنه ونذكر منهن حبيبة أم أبي امامة بن حنيفة وكبشة بنت أسعد والفريرة التي زوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم. من نبيط بن جابر وقال للواتي أشرفن على زفافها أن يقلن اتيانكم اتيناكم فحيونا نحييكم. ولولا الحنطة السمراء لم نحلل واديكم. ولولا الذهب الأحمر ما جئناكم (473).

وفي هذا الحي سوف نحط رحالنا في دار أبي أيوب. فهي كعبة ديار بني النجار بركت امامها القصواء لأمر ما. فكان فيها رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم. ونزل فيها مع رحله. يحوطه بنو النجار متقلدي سيوفهم. ينظرون إليه نظر المهابة والتكريم. وكان عليه الصلاة والسلام. من هذه الديار ينير قلوب المسلمين بنور الإيمان وهديه. ويرفع فوقهم ألوية الإسلام.

وأبو أيوب. واسمه خالد بن زيد. ممن استحق هذه العناية الإلهية التي جعلته أهلا لاستقبال رسول الله صلى الله عليه وسلم. في داره هذه. لقد كان عقيبا وبدريا. شهد كل المشاهد مع النبي عليه الصلاة والسلام

(470) أخرجه الطبراني : 5 / 98.

(471) المستدرک : 3 / 186.

(472) الإصاية : 7 / 573.

(473) أخرجه البزار

وحمل عنه العلم والحديث، حتى أن الصحابة كانوا يستفتونه في الفرائض والسنن.

ولم يترك أبو أيوب، الجهاد بعد النبي صلى الله عليه وسلم، حتى توفى شهيدا في زمن معاوية بن أبي سفيان. وتشاء الأقدار أن يكون فيها بعيدا جدا من المدينة المنورة. لقد استشهد في قسطنطينية ودفن في سورها. وكان أهل هذه المدينة يستسقون بقبره فيسقون.

ومن هذا الحي لن نفعل حارثة بن النعمان بن نفع وزيد بن ثعلبة بن غنم. فقد كانا من اجلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين شهدوا كل المشاهد. وقد اشتهر حارثة ببره وصدقه، وهو الذي قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم، أنه رأى الجنة مرة ولما سمع بها قراءة سأل عنها فأجيب بأنه صوت حارثة بن النعمان، فقال عليه السلام : «كذلكم البر». (474) فهو إذا من الذين بشروا بالجنة. ومن الذين خصوا برؤية جبريل يتحدث مع النبي عليه الصلاة والسلام (475). كما اشتهر أيضا بجوده حيث أنه أعطى النبي صلى الله عليه وسلم، دوره التي قرب المسجد فكانت بها حجرات أزواج النبي، وبناته سودة وعمرة وأم هشام كن ممن بايعن النبي صلى الله عليه وسلم، وأم هشام هي التي يروى عنها انهم مكثوا سنة بجواره عليه الصلاة والسلام، وتنوره معهم واحد وعنه قد أخذت بعض سور القرآن (476).

ثم لا نفعل كذلك عمارة بن حزم العقبي الذي شهد كل الغزوات مع النبي صلى الله عليه وسلم والذي مات شهيدا يوم اليمامة، وعمارة هذا

(474) أخرجه أحمد والموصلي

(475) أخرجه الطبراني في الكبير وأحمد

(476) أخرجه الإمام مسلم وأبو داود والنسائي

هو الذي حمل راية بني النجار يوم فتح مكة. وقد عرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم، رقية عنده فارتضاها وأقره عليها (477).

وفي بيوت بني غنم بن مالك بيت ليس لنا بد من زيارته، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، يزوره ويعطف على ساكنيه. انه بيت الربيع بنت معوذ بن عفراء. فقد حدثنا البخاري أن النبي عليه الصلاة والسلام قد زار هذا البيت، وجلس قريبا من الربيع يوم عرسها ووجد عندها ولائد يغنين ويذكرن أبطال الأنصار. ولما رأى النبي عليه السلام أوردن الثناء عليه وذكر معجزاته، ولكن الرسول عليه الصلاة والسلام قال لهم «لا تغلن هذا وعادون ما قتلن من قبل» (478).

وقد كانت الربيع هذه تغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحضن المرضى، وتداوي الجرحى، (479) وليس هذا بغريب في نساء الأنصار اللواتي قد عرفن بالشجاعة والتحمل وصدق الإيمان، وليس هذا أيضا غريبا في حق الربيع بالذات فلقد استشهد أبوها يوم بدر. وهو معوذ بن الحارث بن رفاعه بن سواد، واشهر هو واخوته بأبناء عفراء التي هي أمهم.

وأخو معوذ هما معاذ بن عفراء هو عقيب، وبدرى وعوف بن عفراء الذي استشهد يوم بدر بعدما أبلى بلاء حسنا في نصرة الإسلام. وقد قال عبد الرحمن بن عوف أنه بينما كان في صفوف القتال حتى جاءه شاب من الأنصار وقال له : «أين أبو جهل ؟ فوا الله ان رأيت لا يفارق سواي

(477) الإصابة ج 4 / ص 275.

(478) صحيح البخاري : 6 / 132.

(479) اسد الغابة : 5 / 451 وهو في الصحيح البخاري

سواده حتى يموت منا الأعجل». وبعد هنيئة أتاها فتى منهم وقال له مثل ما قال الأول. وبصر عبد الرحمن بن عوف بأبي جهل وقال لهما هذا هو من تبحثون عنه. فجردا سيوفهما وذهبا إليه، واستطاع كل منهما أن يقول انه قد قتل ألد أعداء الإسلام. (480) وكان أحد هذين الشابين هو عوف ابن عفراء والثاني معاذ بن عمرو بن الجموح الذي سوف نراه في دار بني سلمة.

وقد قاتل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر رجلا من بني غنم بن مالك واستشهد منهم دونه يوم أحد أربعة، من بينهم خالد ابن مخلد وهو بدري. وعمرو بن منير بن سواد وابنه قيس وابن أخيه ثابت بن عمرو بن زيد بن سواد بن مالك بن غنم.

(480) صحيح البخاري : 4 / 53.

4) بنو عمرو بن مالك بن النجار

ينقسم هذا الحي من الأنصار إلى بيتين ، بيت بني معاوية بن عمرو المعروفين ببني جديلة، والثاني بيت بني مغالة وهم بنو عدى ابن عمرو بن مالك. وأهم مغالة من بني كنانة بن خزيمة.

نبدأ ببني عدى بن عمرو ونتوقف في دار كان النبي صلى الله عليه وسلم يدخلها ويصلي فيها ويدعو لأهلها بالخير والبركات، اعني دار أبي طلحة . ويعرفنا أبو طلحة بنفسه إذ يقول :

«أنا أبو طلحة واسمي زيد وفي سلاحي كل يوم صيد» . نعم انه زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدى، وهو البطل الشجاع والفارس المغوار الذي شهد العقبة الأخيرة وجميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

اشتهر أبو طلحة يوم أحد كان مع النبي صلى الله عليه وسلم، وراء مجن واحد، فكان أبو طلحة يرمي المشركين بنباله ويطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليرى مواقع نبل أبي طلحة، ولكن أبا طلحة يقول له : بأبي وأنت وأمي لاتشرف على القوم فنحري دون نحرك». وأعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم برماية أبي طلحة فكان كلما مر به أحد من رماة المسلمين يقول له : «انثر جمبتك لأبي طلحة»(481) وسوف نرى

(20) صحيح البخاري ، 5 / 42.

في معرض الكلام عن بني عدى بن النجار كيف كانت أم سليم زوج أبي طلحة تجاهد مع المسلمين وبالخصوص في هذا اليوم الذي كان شديدا على المسلمين.

واشتهر أبو طلحة أيضا بكرمه وإنفاقه في سبيل الله. فلما أنزل قوله تعالى : «لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون». قال أبو طلحة : «ان أحب مالي علي» حائطي في بيرحاء فهو لله ورسوله. فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم. أن يجعله في ذوى الحاجة من أقربائه. فجعله بين أبي بن كعب وحسان بن ثابت (482).

وهو الذي استعار منه النبي صلى الله عليه وسلم. جوادا ركبته ليلة فزع في المدينة. وأثنى عليه الصلاة والسلام على الجواد كما كان يثني من قبل على مالكة. (483) فهو من فضلاء الصحابة وعلمائهم. ومن المقرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم. في السفر والحضر. وهو الذي أمره أن يدخل قبر ابنته حيث انه من الأبرار المطهرين. (484) ويروى انه ما ترك الصوم لا في سفر أو مرض إلى أن مات في خلافة عثمان. وقد ولاه عمر بن الخطاب على مراقبة أعمال أهل الشورى وكلفه بتنفيذ ما قرره.

وقد كان حفيده إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة من رواة الحديث المشهورين. وعبد الله بن أبي طلحة هو الذي حنكه رسول الله صلى الله عليه وسلم بتمرة فيها ريقه وقال ضاحكا : «لما تلمظ الصبي فيها أبت الأنصار الا حب التمر» (485).

482 صحيح البخاري : 7 / 77.

483 صحيح البخاري : 2 / 73.

484 صحيح مسلم : 2 / 250.

485 صحيح مسلم : 2 / 250.

ومن أبنائه أبو عمير الذي كان يمازحه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهو طفل وقد رآه حزينا فسأل عن كآبته فقال له أبو طلحة ضل نغره الذي كان يلعب به، فصار النبي عليه السلام يقول : «يا أبا عمر ما فعل النغير» (486)

وقريب من بيت أبي طلحة بيت ابن عمه حسان بن ثابت بن المنذر وقد عرفنا أن له أخوين أحدهما أوس بن ثابت، وهو من شهداء أحد. وقد آخى النبي (ص) بينه وبين عثمان بن عفان والثاني أبو شيخ ابن ثابت، وهو ممن شهد بدرًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. أما حسان بن ثابت فهو شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي أصبح مضرب الأمثال. فهو الذي يشير إليه البوصيري فيقول :

أنا حسان مدحك وإذا نحت عليكم فإنني الخنساء

ولم يك حسان وحده الشاعر الأنصاري الذي كافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسوف نرى أن كعب بن مالك وعبد الله بن رواحة كانا من فحول شعراء الأنصار المدافعين عن الإسلام. بيد أن صيت حسان قد شمل الأقطار العربية كلها، وعرفته الملوك والمواسم الشاعر المصقع في أيام الجاهلية وخافه المشركون في حروب الجهاد، فكان من فحول شعراء الجاهلية ومن سيوف الإسلام في صدر الإسلام.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم، ينصب له كرسيًا في المسجد وينشده رده على المشركين. والرسول عليه الصلاة والسلام يقول له : «اهجهم وروح القدس معك» (487) فلا غرابة أن يلهم تلك العبارات التي

(486) صحيح البخاري : 7 / 96.

(487) صحيح البخاري : 5 / 48.

أقضت مضاجع مشركي قريش وصارت مضرب الأمثال. نذكر منها على سبيل المثال، قوله مخاطباً أبا سفيان بن الحرث حين قال :

أتهجوه ولست له بكفء فشركما لخيركما الفداء
واشتهر أيضاً تعريضه بفرار الحارث بن هشام حيث يقول :
ان كنت كاذبة التسي حدثنسي فنجوت منجى الحارث بن هشام
ترك الأحبة أن يقاتل دونهم ونجا برأس طمرة ولجام
وكذلك قوله لكفار قريش :

زعمت سخينة ان ستقهر ربها وليغلبن مغالب الغلاب
وكان صلى الله عليه وسلم، يردد الشطر الأخير من هذا البيت
بإعجاب وتصديق (488)

وليس من السهل حصر ما اشتهر من شعر حسان من هذا القبيل.
فلقد ظل حسان في صدر الإسلام الناطق بلسان حال المسلمين يفحم من
هاجاهم ويفخر بنصرهم وبما أولاهم الله من هدى وكرامة ويندب
شهداءهم وكرامهم.

وكان النبي عليه الصلاة والسلام، يعرف له منزلته في الدفاع عنه
وعن المسلمين فكان يرحمه ويرضيه. ولما تورط حسان في قصة
الافك المشهورة وضربه صفوان بن المعطل، أرسل إليه النبي صلى الله
عليه وسلم، وأرضاه ووهبه أم ابنه عبد الرحمن وهي أخت مارية القبطية
أم ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم. (489) فكان حسان يفتخر
بقراءة ابنه من ابن النبي عليه الصلاة والسلام.

488، المستدرک : 3 / 488.

489، أسد الغابة : 2 / 6.

واشعار حسان في النبي صلى الله عليه وسلم، كثيرة جدا وجيدة كثيرا. وسوف لا نورد منها في هذا الفصل إلا أبياتا قليلة بعدما التحق النبي بالرفيق الأعلى، وهذه الأبيات تدل دلالة واضحة على منزلته من رسول الله صلى الله عليه وسلم.

من الذي عنده رحلي وراحلي ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا
أم من نعاتب لا نخشى بواده إذا اللسان عثا في القول أو عثرا
كان الضياء وكان النور يتبعه بعد الإله وكان السمع والبصرا

ولئن كانت الأيام امتدت بحسان بعد النبي صلى الله عليه وسلم فإنه مع ذلك ظل وفيا لرسوله ولدينه كما ظل مؤازرا للخلفاء الراشدين حريصا على اجتماع كلمة المسلمين.

وفي شيخوخة حسان لم تفارقه فتوته الشعرية، فكان ينشد شعره في المسجد بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ويذكر أنه يجد ريح بني جفنة، ويتحدث بما لهم من سالف المفاخر. ويروى صاحب «العقد الفريد» أن حسانا حضر يوما مأدبة عند رجل من الأنصار وقد كف بصره، وبصحبه ابنه عبد الرحمن وكانت في المجلس فتية تغني بشعره وتقول :

انظر خليلي بيان جلق هل تبصر دون البلقاء من أحد
جمال شعتاء إذ هبطن من المنحنى دون الكثنان فالسند

ولقد كان ابنه عبد الرحمن مثله في الفتوة والشعر. وهو الذي عناه
حسان بقوله في زيد بن ثابت.

فمن للقوافي بعد حسان وابنه ومن للمثاني بعد زيد بن ثابت

وقد كان عبد الرحمن بن حسان جرى اللسان تناول بالهجاء زياد
ابن أبيه وقال فيه معرضا بمعاوية :

واشهد ان قربك من زياد كقرب الفيل من ولد الاتان

كما هجا عبد الرحمن بن أم الحكم هجاء لاذعا، فأمر معاوية مروان
ابن الحكم. وهو وال إذ ذاك على المدينة، أن يؤد بهما. فضرب مروان عبد
الرحمن ثمانين سوطا وضرب أخاه عشرين. فقبل لابن حسان هلا شكوت
من الوالي إلى الخليفة فقال كيف أفعل وقد ضربني كما تضرب الأحرار.
وجعل لأخيه نصف الحد كما للعبد. وبعد هذا التهاجي حرض يزيد ابن
معاوية الأخطل التعلبي على هجاء الأنصار، ونشأت عن ذلك قصة سوف
نذكر طرفا منها في ترجمة النعمان بن بشير.

أما بنو معاوية بن عمرو بن مالك فيكفيهم فخرا وشرفا ان منهم
إمام القراء أييا بن كعب بن قيس صاحب رسول الله الذي ائتمنه على
كتاب الله الكريم. فلقد كان يقرؤه السور بأمر من الله جل وعلا. وكان
أبي ييكى فرحا حين يخبر بأن الله تعالى أمر رسوله بأن يقرئه كتابه
العزیز. (490) فكان من كتاب الوحي ومن الصحابة القلائل الذين حفظوا
القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

واعترف له الصحابة رضوان الله عليهم بقصص السبق في هذا الميدان الشريف. فقال عنه عمر بن الخطاب انه أقرأ الصحابة وكان يسميه بسيد المسلمين ويسأله عن النوازل. وقرأ عليه منهم الكثير مثل أبي هريرة وابن عباس وعبد الله بن عباس وغيرهم.

وكان لأبي مصحف خاص يختلف ترتيب السور فيه عن مصحف الخليفة عثمان كما انه أثبت فيه عدة آيات اتفق الصحابة على نسخها إلا انه كان يقول والله لا أترك شيئاً سمعته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقد عده مسروق من أصحاب الفتيا.

وقد شهد أبي العقبه والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتوفي في خلافة عثمان على الأرجح.

وممن شهد بدرا من بني معاوية أنس بن معاذ بن قيس ابن عم أبي ويروي أنه كان من شهداء بئر معونة.

6) بنو عامر بن مالك بن النجار (المشهورون ببني مبدول)

ومنهم سهل بن عتيك بن النعمان بن عمر بن عتيك بن عمر بن عامر، وهو من رجال العقبة ومن أبطال بدر وأحد.

ومن أبطال بدر وأحد من هذا الحي، الحارث بن الصمة. وكان ممن ثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وبايعه على الموت دونه. ولما انكشف العدو قليلاً كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما فعل عمي ؟ ما فعل حمزة. (491) فخرج الحارث بن الصمة في طلب حمزة بن عبد المطلب. وأبطأ فسار على اثره علي بن أبي طالب وهو يرتجز :

يارب ان الحارث بن الصمة كان رفيقا وبنا ذا ذمة
قد ضل في مهامه مهمة يلتمس الجنة فيما ثمة (492)

(491) ابن سعد : 3 / 509.

(492) وشهد الحارث بن الصمة يوم بدر معونة وقتل شهيدا.

5) بنو عدي بن النجار

بيت بني عدي بن النجار من أعرق بيوت الأنصار في الإسلام. فقد شهد منهم بدرا اثني عشر رجلا. أبو زيد، قيس بن السكن وهو من بني حرام بن عامر بن غنم بن عدي. وأبو زيد هذا من الذين جمعوا القرآن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن أبطالهم البدرين حرام بن ملحان بن خالد بن زيد بن حرام. وكان النبي عليه الصلاة والسلام يقول عنه ان حراما مات معي. وهو من شهداء القراء يوم بير معونة. وهؤلاء الشهداء هم الذين غدرت بهم رعل وذكوان وعصية. وقد حزن عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. أشد الحزن. ولبت شهرا يدعو على الذين غدروا بهم. حتى أوحى الله تعالى إليه أن شهداء بير معونة لقوا ربهم فأرضاهم ورضي عنهم. (493) وكان حرام أول من استشهد منهم وذلك حين بعثه أمير السرية المنذر بن عمرو الساعدي، إلى جموع القوم بكتاب من النبي عليه الصلاة والسلام. ولما غشيهم حرام وحده قتلوه غدرا. وروى قاتلوه أنه لما أحس الطعنة قال «فزت ورب الكعبة». ولم ينج من أهل بير معونة إلا كعب بن زيد أخو بني دينار بن النجار بقي بين القتلى فظن ميتا ثم امتدت به الحياة إلى يوم الخندق.

(493) ابن سعد : 3 / 515 وهو في الصحيحين.

ونعرف من حلفاء بني عدى بن النجار سواد بن غزية الذي
استشهد يوم بدر (494) بعدما طلب من رسول الله صلى الله عليه وسلم،
القود وذلك ليتسنى له أن يتطيب من عطر عرق النبي الكريم قبل أن
يلتحق بمعرسه الأخير (495) .

ومن بني عدى بن النجار أنس بن مالك، وقبل أن نتكلم عنه
والكلام عنه قد يطول، نود أن نعرف ببعض أقربائه. ولنبدأ بعمه أنس
ابن النضر بن ضمضم بن زيد بن حرام، وأنس بن النضر هذا قال الله
تعالى عنه في آية كريمة «من المومنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
منهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر» (496) وكان أنس بن النضر ممن
قضى نحبه يوم أحد بعدما صدق الله ورسوله ما عاهداهم عليه. وقد كانت
شهادته دليلاً على صدق اليقين وإخلاص المحبة لله ولرسوله. فحين صرخ
اللعين أن النبي مات يوم أحد فزع المسلمون من هذا الصراخ فزعا شديداً
فقال أنس بن النضر صارخاً : «ما هي الحياة بعد رسول الله عليه الصلاة
والسلام» (497) ثم هاجم معترك المشركين وهو يشم ريح الجنة دون
الموت، فتمزق جسده في سبيل الله وبارك الله في ذاك الأديم الممزق.

وأنس بن النضر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، انه من عباده
الذين ان أقسموا على الله لأبرهه. وقد روى البخاري قصة أخته الربيع
بنت النضر التي كسرت ثنية جارية وشكا أهل الجارية إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فدعا أخت النضر للقصاص. فقال أخوها : «والذي

494، الذي في طبقات ابن سعد انه شهد المشاهد كلها 23.

495، ابن سعد : 3 / 516.

496، تمام الآية : «وما بدلوا تبديلاً» الأحزاب : 33.

497، سيرة ابن هشام : 3 / 158.

بعثك بالحق لا تكسر ثنية الربيع» فقال له رسول الله عليه الصلاة والسلام : «يا أنس كتاب الله القصاص» فرضى أنس بكتاب الله وبحكم رسوله دون أن يبقى في صدره منه شيء. ولكن أهل الجارية رضا بالارش، ففرح بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال : ان من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره (498) .

ويروى أيضا أن البراء بن مالك أخا أنس بن مالك وحادي رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان من الذين اصطفوا بمثل هذه الخصوصية. وقد استعمل قسمه على الله في حروب الفتوح التي كان من شجعانها. أما أنس بن مالك فإن دوره في الإسلام كان مهما جدا فيما يتعلق بتحمل العلم والتشريع. فهو من العلماء الذين أرسوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده. ونشروا تعاليمه وسيرته وأعطوا من أنفسهم مثالا على العمل الخالص لعبادة ربهم والافتداء بسنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

كان أنس غلاما لا يتجاوز العاشرة حين ما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى المدينة. وأخذ أبو طلحة بيد أنس وذهب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قائلا : «ان أنسا غلام ذكي وأرجو أن يكون في خدمتك» ورضى النبي صلى الله عليه وسلم، بأنس كخادم له ومكث معه عشر سنين ويقول أنس في هذه المدة التي كنت أخدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، لم يقل لي إذا فعلت شيئا : لم فعلت كذا ؟ وإذا لم أفعل شيئا لم يقل لي قط « لم لم تفعل كذا ؟ (499) وهذه

498 صحيح البخاري : 3 / 155 .

499 أخرجه الشيخان .

العبارة من أبلغ ما يوصف به حسن خلق من الذي خلقه القرآن ولم يكن
فظا ولا غليظا ولا فحاشا. وإنما لنا لأصحابه وبهم كان رحيمًا.

في هذه العشر السنوات لازم أنس رسول الله صلى الله عليه وسلم.
في سفره وحضره. وحرص أن يعقل ما كان يرى من رسول الله صلى
الله عليه وسلم. وصار فيما بعد يث عنه الحديث الكثير ويصف خلقه
وخلقته. فهو الذي يقول لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. كان أحسن
الناس وجهًا وأحسن الناس خلقًا. ليس بالطويل ولا بالقصير. مربوعا
بعيد ما بين المنكبين. له شعر يبلغ شحمة أذنه ووجهه مثل القمر. وأنه
ما مس حريرا ولا ديباجا ألين من كفه. ولا شم عطرا أطيب من عرقه.
(500) وكما عرف أنس خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقد عرف
أيضا من خلقه ما كان يرضيه ويضاعف في نفسه الحب والإعجاب. عرف
منه ذلك الرسول الذي لا يتكبر وليس للعجب ولا للرياء إلى نفسه
سبيل. فكان يروى عنه أنه قال من بسط الله له رزقه فليصل رحمه (501)
وكان يذهب في صلة الرحم وعيادة المرضى. حتى أنه ذهب معه يوما
ليعود شابا يهوديا مريضا كان يخدمه بعض الأحيان. ويجلس رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند رأس الشاب المريض ويأمره أن يسلم. وينظر
أبو اليهودي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. ويقول لإبنه : «أطع أبا
القاسم» ويستجيب الابن المريض ويخرج النبي صلى الله عليه وسلم.
مستبشرا قائلا : «الحمد لله الذي أنقذه من النار» (502) وعرف منه أنس
التواضع لله والرحمة بالأمّة. والكرم بالمال حتى أنه والمسلمون كلهم

(500) أخرجه الشيخان والترمذي - كذا في جمع الفوائد : 2 / 443.

(501) أصل الحديث في البخاري : 7 / 681.

(502) صحيح البخاري : 2 / 89.

تحت تصرفه قد التحق بالرفيق الأعلى ودرعه مرهونة عند يهودي تاجر
في ثمن امداد من شعير اشتراها لنفقة آل بيته ومن تواضعه أنه قد كان
يستدعيه الخياط إلى بيته ويطعم عنده ويدعو له بالخير (503).

وعرف أنس من رسول الله صلى الله عليه وسلم، شفقتة ورحمته
بأمرته فسمعه يقول لمعاذ بن جبل : «ان من قال لا إله إلا الله من أمته
حرمه الله على النار». وسمعه يعظ النساء ويقول لهن : «ان أي امرأة
مات لها ثلاثة من الأبناء لم يبلغوا الحلم كانوا لها سترا من النار»
ويراجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، في اثنين ويقبل ذلك لهن
ويدعو لهن (504) .

وكان أنس كذلك من أحفظ الناس لعبادة رسول الله صلى الله عليه
وسلم، ويعبر لنا عنه بهذا القول : لا تحب أن تراه صائما إلا رأيته، ولا
مفطرا إلا رأيته، ولا قائما إلا رأيته ولا نائما إلا رأيته. فكان يصوم الدهر
حتى تقول لا يفطر، ويفطر حتى تقول لا يصوم. وهذه العبارة تدل
على المواظبة دون تكليف النفس ما لا تطيق. فيعطي العبادة حقها
والبدن حقه.

ويتحدث أنس عن صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول انه
كان يوجزها ويكملها. وإذا رفع من الركوع قام حتى تقول قد نسي،
وكذلك بعد السجود. (505) وكان يعتدل في سجوده ولا ييسط ذراعيه
على الأرض. ويأمر أصحابه أن يقيموا الركوع ويحسنوا الصفوف

(503) صحيح مسلم : 2 / 139.

(504) صحيح البخاري : 8 / 140.

(505) أخرجه الشيخان وأبو داود -

ويقول انه يراهم من وراء ظهره. (506) وكان يصلي الظهر بالهاجرة، والعصر والشمس نقية فذهب السائر بعدها إلى قباء ويأتيه والشمس مرتفعة، ويصلي المغرب إذا وجبت الشمس. وأما العشاء فإذا رأى أصحابه اجتمعوا عجلها، وإن ابطأوا تأنى بها، وقد أخرجها مرة إلى نصف الليل، وكان يبكر بالجمعة ويقل بعدها، وكان إذا ارتحل قبل أن تزيغ الشمس أخر الظهر إلى وقت العصر فنزل فجمع بينهما، وإن زاغت قبل أن يرتحل صلى الظهر وركب، وربما جمع بين المغرب والعشاء (507) .

وكان أنس ممن حج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، واعتمر معه أربع مرات. عمرة الحديبية المشهورة. وعمرة القضاء وهي كانت في المدة التي مآء فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم. كفار قریش. وعمرة الجعرانة بعد قسم غنائم حنين، والعمرة الرابعة التي كانت مع حجه. ويذكر أنس هنا أنهم ساروا من منى إلى عرفات والبعض يكبر، والبعض يلبي ولا يعيب أحد على أحد ما فعل (508) وإن هذا القليل مما أتانا به أنس من الأحكام والعلوم فهو الذي حفظ وثيقة الجامعة في الزكاة وهي التي كتبها له أبو بكر حين ولاه عاملاً على البحرين (509).

وقد طال عمر أنس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولبث نحواً من سبعين سنة بعده يحدث الكثير، ويصف خلقه ويكي عليه، وعلى ما كان يعهده في أيامه من عبادة وزهد. ويتذكر يوم كان يزور بيته ويصلي فيه وتقول له أم سليم يا رسول الله أن لي خويصة. فيقول لها

506 - أخرجه الشيخان -

507 - أخرجه الشيخان -

508 - أخرجه الشيخان -

509 - أخرجه الشيخان -

رسول الله ما هي خويصتك فتقول «خادمك أنس»، فيدعو بكل خير وبطول العمر وكثرة الولد والمال. فكان أنس أكثر الأنصار مالا وولدا ومن أطول الصحابة عمرا (510).

وممن روى عنه أبنائه وحفدته مثل ثابت وثمانية بن عبد الله بن أنس وابن أخيه إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة، كما روى عنه موله وكاتبه محمد بن سيرين وكذلك صاحبه الذي كان منقطعا إليه هو وقتادة السدوسي.

ولنعد الآن إلى أم أنس أعني أم سليم بنت ملحان فقد كانت من اللواتي بايعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وغزون معه، فكانت يوم أحد مع عائشة بنت أبي بكر مشمرة عن ساقها تحمل القرب وتسقي المجاهدين. وكانت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حنين وخنجرها في نطاقها تهدد كل من أراد به سوءا. ولما رآها النبي عليه الصلاة والسلام قال ان الله قد أحسن وكفى (511).

وعرفت أم سليم بحب رسول الله عليه الصلاة والسلام، فكانت لا تفتأ تهديه ما طاب له، وتستدعيه إلى بيتها وإذا نام عندها أخذت عرقه وجعلته في طيبها، (512) وإذا شرب عندها قطعت فم القربة التي شرب منها واحتفظت به للتبرك. (513) كما كانت تحج معه وتأخذ شعره إذا حلق بمنى. وكان الرسول يرى ما تفعل ولا ينكر عليها ذلك، (514) وكان

510، صحيح البخاري : 2 / 228.

511، صحيح مسلم - كذا في جمع الفوائد : 2 / 149.

512، أخرجه الشيخان - كذا في جمع الفوائد : 2 / 446.

513، أخرجه الشيخان -

514، صحيح البخاري : 7 / 168.

لا يأتي إلى بيت غيرها ولما سئل عن ذلك قال اني ارحمها فإن أخاها مات معي وهو يعني حرام بن ملحان .

وقد أسلمت أم سليم قبل الهجرة بكثير وذلك في حياة زوجها الأول مالك بن النضر ولما توفى عنها وخطبها أبو طلحة قالت انها لن تتزوج من المشركين الذين يعبدون خشبة نجرها عبد حبشي، ووقر ما قالت أم سليم في قلب أبي طلحة ورضى بالإسلام فكان ذلك هو مهر أم سليم (515).

وقد فرحت أم سليم فرحا شديدا بقدوم الرسول عليه الصلاة والسلام فكانت تتردد بينه وبين زوجاته تخدمه وتعاوننه وتفزرو معه المشركين. ولأم سليم أختها وقرينتها وهي أم ملحان وكان النبي صلى الله عليه وسلم يأتي بيتها فتطعمه وينام عندها ويستيقظ ضاحكا، وتسأله «ما يضحكك يا رسول الله» فيقول عرض على غزاة في سبيل الله يركبون ثج هذا البحر ملوكا على الأسرة، وتقول أم ملحان ادع الله أن يجعلني منهم فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأجيبته دعوته. فقد غزت أم ملحان مع زوجها عبادة بن الصامت وركبت في غزواتها أيام معاوية وحين ما خرجت صرعت من دابتها وكتب الله لها الشهادة والفوز (516).

(515) الاستبصار في بيت الصحابة من الانصار.

(516) صحيح البخاري : 8 / 69.

(7) بيت بني مازن ابن النجار

في بيت بني مازن عدة أبطال من رجالاتهم أمثال قيس بن أبي
صعصعة وعبد الله بن كعب بيدان أشهر أبطالهم أخته، أم عمارة (نسبية)
بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مبدول بن عمرو بن غنم بن مازن.

حضرت أم عمارة مع زوجها زيد بن عاصم بن كعب ليلة العقبة
وبايعت مع القوم.

شهدت أحدا والحديبية وخيبر وعمرة القضاء وحنينا واليمامة.
وقاتلت يوم أحد قتالا لم يستطعه الرجال وجرحت اثني عشر جرحا.

وقد كانت أم سعيد بنت سعد بن الربيع تقول لها حدثيني خبرك
يوم أحد. قالت خرجت أول النهار وأنا أنظر ما يصنع الناس ومعهم سقاء
فيه ماء فاتتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في أصحابه
والدولة والريخ للمسلمين، فلما انهزم المسلمون انحزت إلى رسول الله
صلى الله عليه وسلم، فجعلت أبأشر القتال وأذب عن رسول الله بالسيف
وأرمي بالقوس حتى خلصت إلى الجراح.

قالت فرأيت على عاتقها جرحا له غور أجوف فقلت يا أم عمارة
من أصابك بهذا؟ قالت أقبل ابن قميئة وقد ولى الناس عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم، يصيح دلوني على محمد فلا نجوت ان نجا.
فاعترض له مصعب بن عمير وناس معه وكنت فيهم فضر بني هذه الضربة
ولقد ضربته على ذلك ضربات ولكن عدو الله كان له درعان.

وقد روى حفيدها عمارة أنها قالت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان مقامها في يوم أحد خير من مقام الرجل.

وقد اثختتها الجراح في ذلك اليوم حتى ظن بها الموت، ولما علم النبي عليه الصلاة والسلام منجاتها فرح بذلك.

وكان معها يوم أحد زوجها وابناها يقاتلون كلهم أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان الناس يمرون عليها منهزمين وهي ثابتة مع النبي عليه الصلاة والسلام.

ولما رآها لا ترس لها قال لأحد الفارسين الق ترسك إلى من يقاتل. فألقاه إليها فأخذته وصارت تحتمي وتحمي به النبي عليه الصلاة والسلام.

وقد تعرض لها أحد الفرسان وضربها بالسيف لكن ترسها حماها منه ولما رجع الفارس ضربت عرقوب فرسه وأسقطته. فقال النبي عليه الصلاة والسلام، لأحد ابنائها «يا ابن أم عمارة أمك أمك، فعاونها ابنها حتى أوردت عدوها حياض الموت».

وحكى ابنها عبد الله بن زيد بن عاصم انه لما جرح في عضده يوم أحد أقبلت أمه أم عمارة وربطت جرحه وقالت انهض بني لتضارب القوم فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن تطيقين يا أم عمارة فاعترضت الرجل الذي جرح ابنها وضربته حتى برك. فصار النبي عليه الصلاة والسلام، يبتسم ويقول : «استقودت يا أم عمارة (أي أخذت لنفسك القود) فالحمد لله الذي ظفرك وأقر عينك من عدوك وأراك تارك بعينك».

وكان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو لها وإلى آل بيتها ويقول -
اللهم اجعلهم رفقائي في الحنة.

وقد أوتي عمر بن الخطاب مروطا فسأله أحد أن يعطي منها زوجة
ابنه عبد الله صفية بنت أبي فقال : ابعث به إلى من هو أحق به
منها أم عمارة نسيبة بنت كعب سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم.
يقول عنها يوم أحد «ما التفت يمينا ولا شمالا إلا ورأيتها تقاتل دوني»
(517).

وقد كان الرسول يأكل عندها وهي صائمة ويخبرها أن الملائكة
تصلي على الصائم إن أكل عنده الطعام(518).
وقد قطعت يدها يوم اليمامة وشاركت في قتل مسيلمة الكذاب
الذي قتل ابنها حبيب بن زيد وقطعه اربا اربا حيث لم يقر له
بالنبوة.

هذه هي أم عمارة التي شهدت العقبة وشهدا معها زوجها زيد بن
عاصم وقاتلت مع النبي ودونه وبعده. ورضى ابنها حبيب أن يموت صبورا
في سبيل الله وفي سبيل رسوله.
وقد شهد بدرا من بني مازن مع قيس بن أبي صعصعة الذي
استعمله النبي صلى الله عليه وسلم، على المشاة. كما شهدا أبو داود
ابن عامر وسراقة بن عمرو بن عطية.

(517) الإصابة : 4 / 457.
(518) أسد الغابة : 5 / 605.

(8) بنو دينار بن النجار

بيت آخر من بيوت بني النجار، هو بيت بني دينار بن النجار. وقد ذكرنا من أهل هذا البيت كعب بن زيد بن قيس بن مالك بن كعب بن عبد الأشهل بن حارثة بن دينار. ونعلم أن كعبا شهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه كان في سرية بير معونة وارتث يومئذ، وامتدت به الحياة حتى شهد الخندق ومات فيها شهيدا.

ومن هذا البيت يجدر بنا أن نذكر أبناء السميراء بنت قيس بن مالك. وهم الضحاك بن عبد عمرو بن مسعود بن عبد الأشهل وأخوه النعمان وقد شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وقتل بين يديه يوم أحد. أما ابنها قطبة بن عبد عمرو فقد كان من شهداء بير معونة.

والسميراء ممن أسلمت وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم، هي وابنتاها أم الربيع وأم الحارث واستشهد ابناؤها الأربعة في سبيل الله.

9) بنو عبد الأشهل : بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس

لم تنته بعد من الخزرج وسوف نعود إليهم بعد حين. وفي هذا الفصل سنتكلم عن دار بني الأشهل من الأوس وذلك مراعاة للترتيب الذي ذكرنا في أول هذه القصة. مرويا في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم. وفي هذا الترتيب أن بني عبد الأشهل هم خير دور الأنصار بعد بني النجار. وقد قالت عائشة أن ثلاثة من الأنصار لم يكن أحد منهم يلحق في الفضل كلهم من بني عبد الأشهل. سعد بن معاذ واسيد بن حضير وعباد بن بشر.

وسوف نبدأ باسيد بن حضير نقيب بني عبد الأشهل في العقبة الثانية. لقد كان والد اسيد حضيرا بن سماك ابن عتيك بن رافع بن امرؤ القيس بن زيد بن عبد الأشهل. وحضير كان فارس الأوس وزعيمها في الجاهلية. وأميرها يوم بعاث. وهو الذي قال فيه خفاف بن ندبة السلمي يوم مات حول اطمه المعروف بواقم.

لو أن المنايا جرن عن ذى مهابة لهبن حضيرا يوم غلق واقما
يطوف به حتى إذا الليل جنه تبوأ منه مقعدا متناعما

عرف والد أسيد بحضير الكتائب، وورث عنه ابنه هذا الاسم كما ورث منه الشجاعة والرمي. فكان من خيار الأنصار في الجاهلية والإسلام.

أسلم أسيد على يد مصعب بن عمير العبدي مع سعد بن معاذ وحسن إسلامهما ثم قام في بني عبد الأشهل بالدور الذي قام به أسعد ابن زرارة في بني غنم بن مالك بن النجار. فكان من علية الصحابة واعلامهم المعروفين. وقد آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين مولاه وحبه زيد بن حارثة.

ويقول ابن الكلبي أن أسيدا حضر بدرا ولكن ابن سعد في طبقاته يقول أنه تخلف عنها وأنه لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من بدر تلقاه أسيد وقال له الحمد لله الذي ظفرك وأقر عينك من عدوك واني لو كنت أعلم أنك تريد غير غير قریش لذهبت معك. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقت (519).

عرف النبي عليه الصلاة والسلام صدق أسيد وفضله وروى عنه أنه قال عنه «نعم الرجل أسيد بن حضير» وقد كانت مواقفه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شريفة تدل على حسن الإسلام والإخلاص. فقد ثبت معه يوم أحد وقاتل دونه قتالا شديدا في فتية من بني عمومته من بني عبد الأشهل، وكانوا يموتون بين يدي النبي الواحد تلو الآخر. وذلك حين انكشف الناس عن النبي عليه الصلاة والسلام وغشيه الكفار. وجرحه

1519 ابن سعد ج 3 ص 605.

ابن قمئة، وانكسرت رباعيته ولم يبق معه إلا القليل من أصحابه فقال عليه السلام «من يشرى نفسه لنا؟» (520) فهب آنذاك فتية بني عبد الأشهل. ويروى أن آخرهم موتا كان عمارة بن زياد بن السكن. ولما أجهضته الجراح قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم، ادنوه مني وأدنوه منه فوسده قدمه فتوفى وخده على قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم (521) فإذا كان يوم أحد شديدا على المسلمين عامة فإنه كان شديدا بالخصوص على بني عبد الأشهل. فقد استشهد فيه العدد الكثير من رجالهم. ولما مر عليهم النبي صلى الله عليه وسلم، عائدا إلى المدينة وهم سيكون موتاهم وقال: «لا ولكن حمزة لا بواكي له» فذهب أسيد بن حضير إلى نساء بني عبد الأشهل وأمرهن أن يتحزمن ويأتين المسجد ليندبن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولقد تأثر النبي عليه الصلاة والسلام، من موقفهن ودعا لهن بالخير إذ آسين بأنفسهن. وتقول بعض الروايات انه أمرهن أن لا يندبن هالكا فيما بعد.

وفي حديث الافك حينما طلب النبي صلى الله عليه وسلم، من ينصفه من أناس تقولوا على أهله ولا يعلم من أهله إلا الخير. كان أسيد ابن حضير أول من سل سيفه ليحمي حمى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقد كانت له صلة وثيقة بآل أبي بكر الذي كان لا يقدم عليه أحد من الصحابة. وكان أسيد أيضا يقدر بركات آل أبي بكر وصرح بذلك حين نزلت آية التيمم.

(520) الاستبصار : 217.

(521) الاستبصار : 218.

وكان أسيد من أولئك الصحابة الذين اختصوا بأمور خارقة للعادة تدل على إكرامهم وتشريفهم. فمن الصحابة من غسلته الملائكة مثل حنظلة بن أبي عامر ومنهم من كان جبريل يقرؤه السلام مثل حارثة ابن النعمان ومنهم من تضىء عصاه فتكون بين يديه كالمشكاة في الظلام. وهذا ما وقع لاسيد بن حضير وابن عمه عباد بن بشر. (522) وكان أسيد يذكر أنه يكون في حالات يرضى فيها عن شعوره الديني وذلك حين يسمع القرآن أو يقرؤه، أو حين يستمع إلى خطب النبي صلى الله عليه وسلم، أو عندما يشهد الجنائز.

ذكرنا أسيدا قبل سعد بن معاذ، لأن أسيدا كان من نقباء العقبة ولكن فضائل سعد ومآثره جعلته في أعلى مراتب الصحابة. لقد فاخر به الأوس لأنه اهتز عرش الرحمن لموته. (523) وهذا قد ورد في الأحاديث الصحاح. وحملت نعشه الملائكة إلى البقيع. وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال مرة لما رآه «قوموا لسيدكم» (524) ولما مرض بنى له خيمة في المسجد ليعوده عن كذب (525). ولما ظن به الموت قال عليه الصلاة والسلام : «اللهم أن سعدا قد جاهد في سبيلك، وصدق رسولك، فتقبل روحه بخير ما تقبلت به روحا، وسمع سعد كلام النبي ففتح عينيه وقال السلام عليك يا رسول الله أشهد أنك رسول الله» (526) ووضع النبي صلى الله عليه وسلم، رأس سعد على فخذه حتى مات ثم قال له : «انجزت الله ما وعدت، ولينجزنك الله ما وعدك» (527).

(522) ابن سعد ج 3 ص 606.

(523) أسد الغابة : 2 / 598.

(524) صحيح البخاري : 4 / 211.

(525) أسد الغابة : 2 / 297.

(526) ابن سعد : 3 / 427.

(527) ابن سعد : 3 / 428 و 469.

هنيئاً لك أبا عمرو وورد في الصحيح انه لما اعجب المسلمون بحلة اهديت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال لمناديل سعد في الجنة ألين منها وأحسن (528).

ولنرجع قليلاً إلى الوراء لنتكلم عن إسلام سعد بن معاذ. يقول صاحب الروض الانف أن أهل مكة سمعوا هاتفاً يقول :

فإن يسلم السعدان يصبح محمداً بمكة لا يخشى خلاف المخالف.

وكان محمد عليه الصلاة والسلام آنذاك بمكة وكفار قريش يكيّدون له ليثبتوه أو ليقتلوه، وكان الله له ولياً ونصيراً.

قضاة وسعد بن زيد مناة بن تميم. ولكن الهاتف أعاد الكرة وقال :

فيا سعد سعد الأوس كن أنت ناصراً ويا سعد سعد الخزرجين الغطارف
أجيباً إلى داعي الهدى وتمنياً على الله في الفردوس منية عارف

وعلم أن المقصود في هذه الأبيات هما سعد بن معاذ وسعد بن عباد وكلاهما أجاب داعي الرشد والهدى إلى الإسلام.

لقد أسلم سعد بن معاذ حسب ما ذكرنا من قبل مع أسيد بن حضير على يد مصعب بن عمير وأسعد بن زرارة، وكان سعد وأسيد من ابني عبد الأشهل، وأسلم معهم جميع رجالهم ونسائهم في آن واحد وطلبوا من مصعب وعمير أن يتحولوا إلى دارهم لبث الإسلام ونشره في أرجاء المدينة.

ويقول ابن هشام انه بعد إسلام سعد بن معاذ وأسيد بن حضير لم
تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون ما عدا ما كان
في دار بني أمية بن زيد وخطمة ووائل وواقف. وهم من الأوس ابن
حارثة وذلك انه كان فيهم أبو قيس بن الأسلت المعروف بصيفي. وقد
كان شاعرا مطاعا وقد قيل أنه أراد الإسلام ولكن منعه منه حقه على
الخرج وقيل أنه أسلم عند موته وهو القائل :

ارب الناس اما ان ضللنا فيسرنا لمعروف السبيل
ولولا ربنا كنا يهودا وما دين اليهود بذي شكول
ولولا ربنا كنا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل
ولكننا خلقنا إذ خلقنا حنيفا جيلنا عن كل جيل
نسوق الهدى ترسف مذعنات مكشفة المناكب في الحلول

وبعد الهجرة كان سعد من أولئك الصحابة المخلصين يحبون من
هاجر إليهم ويقفون عند أوامر الرسول ونواهيهم.

ففي يوم بدر كان سعد بن معاذ على رأس قومه من بني عبد
الأشهل وأبلى فيه البلاء الحسن. وغنى عن التوكيد ما فعل بنو عبد
الأشهل يوم أحد. أما في يوم الخندق فإننا نسمع عائشة بنت أبي بكر
تروى لنا قصته فتقول أنه مر بها وهو يرتجز.

البث قليلا يدرك الهيجا حمل

ما أحسن الموت إذا حان الأجل

وكان سعد بن معاذ يحس بدنو أجله ويريد أن يتقبله الله شهيدا
على أحسن حالات الشهادة، ولقد أتيح له ذلك، فقد رماه ابن العرقة على
أكله. وأسكنه النبي صلى الله عليه وسلم. وآواه وكان لا يحب أن

يموت حتى تقر عينه في حلفائه من بني قريظة الذين نكثوا عهده وعهد رسول الله، وحالفوا عليه مشركي قريش. واستجاب الله لدعوة سعد فنزل جبريل عليه السلام على النبي قائلًا أن الملائكة لم تضع لامة الحرب وان عليه أن يغزو بني قريظة من الآن. وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نحو شهر حتى قبلوا النزول على حكم سعد بن معاذ الذي قد تماثل للشفاء، وأتى سعد وحكم بجزاء الغدر والكفران وقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، انه حكم بحكم الملك جل وعلا من فوق سبع سماوات (529).

ورجع سعد إلى خيمته في المسجد بعدما قرت عينه من عدوه وطلب الله أن يقبضه إليه إن كانت الحرب مع مشركي قريش قد انتهت. فانفجر كلمه وتوفى متوسدا فخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم (530).

وإذا كان سعد نال ما يحب فإن المسلمين قد تأثروا تأثرا شديدا لموته. فقد قالت عائشة ما كانت تعرف بكاء أبي بكر من بكاء عمر على سعد (531) وكان النبي عليه الصلاة والسلام، لا يبكي على الشهداء ولكن الحزن عرف في وجهه. وكانت أم سعد بن معاذ تبكيه وتندبه وتقول بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ويل أم سعد سمدا	براعة ونجدا
ويل أم سعد سمدا	حزامة وجدا
بعد أياد ياله ومجدا	مقرر ما سد به مسدا

(529) من بعد ج 1 ص 423 ولاستصر ص 211

(530) خطبة 3 - 427

(531) من بعد ج 2 ص 297

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان يعزيها ويقول لها
الا يرقىء دمعك ويذهب حزنك ان ابنك أول من ضحك الله له، واهتز
له العرش، ثم كان عليه الصلاة والسلام يعذرها ويقول دعوها فكل نائحة
تكذب إلا أم سعد(532) وهي كبشة بنت رافع الخدرية.

أما ثالث الثلاثة فهو عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زاعوراء
ابن عبد الأشهل كان من السابقين الأولين للإسلام. لأنه قد أسلم قبل أسيد
ابن حضير وسعد بن معاذ وظل عباد وفيه لدينه ورسوله شهد يوم بدر
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما شهد معه مشاهده كلها. وشارك في
قمع فتنة كعب بن الأشرف. ثم بعثه النبي عليه الصلاة والسلام على بني
سليم ومزينة ثم إلى بني المصطلق بعدما كان من أمر الوليد بن عقبة
بن أبي معيط ما كان. ثم جعله على مقاسم خيبر وكان أيضا على حرس
رسول الله صلى الله عليه وسلم بتبوك.

واستشهد عباد في الإمامة بعدما أبلى فيها البلاء الحسن، حيث
روى أنه كان يقدم أربعمائة من الأنصار ومعه أبو دجانة والبراء بن
مالك.

ومن حلفاء بني عبد الأشهل أبو الهيثم بن التيهان واسمه مالك
واختلف في نسبه فمنهم من نسبه إلى زاعور أخى عبد الأشهل ويكون
أنثى من الأوس. والمشهور عند أهل السير أنه من قضاة.

وكان هو نفسه فيما يروى عنه ابن سعد يقول : محياي ومماتي
لبني عبد الأشهل وكان من نقبائهم ليلة العقبة الأخيرة وأبو الهيثم من
أول من أسلم من الأنصار وشهد العقبات كلها وجميع الغزوات.

532. ابن سعد ج 3 ص 437.

وحليف آخر كان من عليّة الصحابة وسادتهم وهو محمد بن مسلمة الأوسي، أسلم على يد مصعب مثل السابقين الذين ذكرنا وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، جميع المشاهد ما عدا تبوك، ويحكي أن الرسول عليه الصلاة والسلام خلفه على المدينة (533) ويروى عنه أنه قال سلوني عن مشاهد النبي صلى الله عليه وسلم، ومواطنه فإني لم أتخلف عنه في غزوة قط إلا في تبوك. وسلوني عن سراياه فإنه ليس منها سرية تخفى على إمام أن أكون فيها أو أن أعلمها حين خرجت.

وقد اعتزل المشاجرة محمد بن مسلمة وروى أنه قال أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم، سيفاً فقال قاتل به المشركين ما قوتلوا فإذا رأيت أمتي يضرب بعضهم بعضاً فأت به أحداً فأضربه حتى ينكسر ثم أجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية. ويقال أنه اعتزل الفتنة بين الصحابة واستبدل سيفه بسيف من خشب وجلس في مكانه حتى أتمته المنية القاضية سنة ست وأربعين (534) وكان من فقهاء الصحابة ومحدثيهم.

هؤلاء هم بعض مشاهير رجال بني عبد الأشهل. ومن نسائهم المبايعات الرباب بنت النعمان بن امرؤ القيس عمة سعد بن معاذ وأم البراء بن معرور الذي هو أحد النقباء الاثنى عشر، ومنهن هند بنت سماك بن عتيك عمة أسيد بن حضير وزوجة سعد بن معاذ. واشتهرت منهن أم عامر الأشهلية وهي بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرؤ القيس بايعة النبي صلى الله عليه وسلم، وشهدت معه بعض الغزوات وروت عنه بعض الأحاديث.

(533) هي رواية ساقها ابن الاثير بصيغة التمريض أسد الغابة 4 / 330. المشهور انه استخلف علياً في تبوك.

(534) ابن سعد ج 3 ص 444.

وقد قالت أنها أخته بعرق فتعرقه وهو في مسجد بني عبد الأشهل، ثم قام يصلي ولم يتوضأ. (535) وروت أيضا أنه شرب عندها من شجب ثم انصرف. فدهنت الشجب، وهو قرية تشبه الدلو وطوته فكانت تسقي منه المريض رجاء البركة (536).

ومن نساء بني عبد الأشهل المشهورات حواء بنت يزيد أسلمت والنبي صلى الله عليه وسلم بمكة، وكان زوجها الشاعر المعروف قيس بن الخطيم مشركا وكان يسيء عشرتها بسبب إسلامها. وأتى قيس بن الخطيم سوق ذى المجاز فأتاه النبي ودعاه إلى الإسلام. فأجابه قائلا ما أحسن ما تقول ولكن الحرب شغلتنى عن هذا الحديث. ويروى ابن سعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال له يا أبا يزيد أن صاحبك حواء قد بلغتنى أنك تسيء صحبتها منذ فارقت دينك فاتق الله واحفظني فيها. قال قيس نعم وكرامة! سأفعل ما تحب ولا أعرض لها إلا بخير. ولما قدم قيس المدينة قال لحواء لقيت صاحبك محمدا فسألني أن أحفظك فيه وأنا والله واف له بما أعطيته فعليك بشأنك والله لا ينالك مني أذى أبدا. فأظهرت حواء ما كانت تخفي من الإسلام (537).

(535) أسد الغابة : 5 / 598.

(536) الإصابة : 8 / 253.

(537) الإصابة : 8 / 55.

(10) بنو الحارث بن الخزرج

هذه هي الثالثة دور الأنصار طبق الترتيب النبوي الذي قد ذكرناه من قبل. وسوف نرى في بيوتاتها أنها جديرة بذلك التنويه وبتلك الإشادة التي صدرت من رسول الله عليه الصلاة والسلام.

آل رواحة

وفي هذه الدار نبداً ببني رواحة. ورواحة هو بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك الاغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج.

نعرف من آل رواحة عبد الله بن رواحة وهو من فضلاء الصحابة الاعلام. شهد العقبة وبدر الكبرى وكان من نقباء قومه وشهد الغزوات كلها ما عدا غزوة بدر الموعود. فقد استخلفه النبي صلى الله عليه وسلم على المدينة وبعثه بعد غزوة بدر مبشراً لأهل المدينة بانتصار المسلمين. وأمره رسول الله عليه الصلاة والسلام على سرية بعثها إلى خيبر ليفل جموع غطفان. كما عين خليفة أمير في سرية مؤتة بعد أسامة وجعفر بن أبي طالب. ولما استشهدا قبله أخذ راية المسلمين وأبلى البلاء الحسن حتى لقي ربه وهو يضرب بسيفه في سبيل الله ورسوله. هذا هو ابن رواحة في الجهاد ولكنه لم يكن مجاهداً فحسب بل كان أيضاً من العباد ذوي المجالس التي تتباهى بها ملائكة السماء، ومن الذين شروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله تعالى.

فقد روى عن زيد بن أرقم وهو كان يتيما في حجر عبد الله أنه
أردفه في السرية التي استشهد فيها فسمعه يردد :

إذا دانيتنى وحملت رحلى مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمي وخلاك ذم ولا ارجع إلى أهلي ورائي
وجاء المومنون وخلفوني بأرض الشام مشهور الثراء

فبكى زيد بن أرقم حين سمع مقالته، ولكن ابن رواحة انتهره قائلا
انه حريص على نيل الشهادة في سبيل الله وكان له ما أراد .

ونعرف منه في هذه الحادثة صدقه ووفاءه لدينه كما نعلم منه انه
من فحول شعراء الأنصار. وليس هذا ببدع من الأمر فإن امه هي كبشة
بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة الشاعر المشهور. وقد قال معاوية انه هم
بالفرار عدة مرات يوم صفين ويمنعه قول ابن الاطنابة.

ابت لي عفتي وأبى إبائي واخذي المجد بالثمن الريح
وقولي كلما جشأت وجاشت مكانك تحمدى أو تستريحى
لا دفع عن مآثر صالحات واحمي بعد عن عرض صحيح

وشعر ابن رواحة لا يقل عن شعر جده جودة واحكاما. فكان في
الجاهلية يناقض قيس بن الخطيم. وفي الإسلام كان ثالث الثلاثة الشعراء
المرموقين : حسان بن ثابت وكعب بن مالك وابن رواحة. وسمعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول :

ارانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات إنما قال واقع
وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع

بييت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

فقال عليه الصلاة والسلام : «إن أخاكم لا يقول الرفث» وكان النبي صلى الله عليه وسلم يستمع إلى أراجيزه ويردد بعضها ويقول له عليك بالمشركين.

فهو الذي كان يقود زمام ناقة النبي عليه الصلاة والسلام في طوافه بالبيت. ويردد هذا الرجز :

خلوا بني الكفار عن سبيله خلوا فإن الخير مع رسوله
قد أنزل الرحمن في تنزيله نحن ضربناكم على تاويله
ضربا يطيح الهام عن مقلبه ويذهل الخليل عن خليله

واشتهرت أراجيزه في الخندق حيث يقول :

يارب لولا أنت ما إهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فانزلن سكينه علينا وثبت الأقدام ان لاقينا
ان الكفار قد بغوا علينا وان أردوا فتنه أينا

وكان النبي صلى الله عليه وسلم. يوم الخندق يردد بعض هذا الرجز ويروى ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم. ناداه وسأله كيف يقول الشعر ثم أنشد بين يديه :

يا هاشم الخير أن الله فضلكم على البرية فضلا ماله غير
اني تفرست فيك الخير أعرفه فراصة خالفتهم في الذي نظروا

ولو سألت أو استنصرت بعضهم في جل أمرك ما آووا وما نصروا
فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصرا كالذي نصروا
وفرح النبي بشعره ودعا له بالتثبيت.

ويقول الشعراء ان من أحسن ما قال ابن رواحة في النبي صلى الله
عليه وسلم، قوله :

لو لم تكن فيه آيات مبنية كانت بديهته تنبيك بالخبر
هذا هو عبد الله بن رواحة الذي كان من المومنين السابقين
والمجاهدين. ومن فحول الشعراء ويقول انه لما نزلت آية «والشعراء
يتبعهم الغاوون» الآية قال ابن رواحة ان الله علم اني منهم فأنزل قوله
تعالى : «إلا الذين امنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا».

وكبشة أم عبد الله بن رواحة من نساء الأنصار اللواتي بايعن رسول
الله صلى الله عليه وسلم، وكذلك ابنتها عمرة بنت رواحة.

وعمرة من سروات النساء وتعقب بالمسك أو دانها
وعمرة هذه هي أم النعمان بن بشير بن سعيد الذي سنتحدث عنه
فيما بعد.

11) بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج

دار بني ساعدة هي رابعة خير دور الأنصار. وكان سعد بن عبادة
يتمنى أن يكون في المقدمة، مع أن رتبته كانت عالية. وقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم : «وفي كل دور الأنصار خير».

وفي هذه الدار نمر بادیء ذي بدء بيت بني عبادة بن دليم بن
حارثة. واشتهر هذا البيت في الجاهلية بأطم عبادة الذي كان ينادي فوقه
المنادى : «من كان يريد الشحم واللحم فليأت أطم عبادة بن دليم» وأخذ
سعد عن أبيه الكرم والشجاعة، فكان ينادي بنداء أبيه، واشتهر بالرماية
فلقب بالكامل لما اتصف به من أحسن الأوصاف (539).

ثم كان الإسلام ينبع نوره في مكة ويمتد هذا النور إلى المدينة
فيضيئها، وكان سعد من الذين استناروا بهدى الإسلام في أول أمره. وقد
حضر العقبة الأخيرة وكان من نقباء قومه. ولم يسلم من أذى قريش
الذين جدوا في طلب المبايعين في العقبة الأخيرة ولم يدركوا منهم غير
سعد بن عبادة، وأسر سعد وضرب بالأبطح، وجبر بلمته على الحصباء
ولكنه صبر على أذى المشركين حتى خلصه من أيديهم جبير بن مطعم
ابن عدى. ويقول ابن هشام أن أول شعر قيل في الهجرة قول ضرار بن
الخطاب بن مرداس أخي بني محارب بن فهر :

(539) الاستبصار ص 63.

تداركت سدا عنوة فأخذته وكان شفاء لو تداركت منذرا
ولو نلتته طلت هناك جراحه وكان حريا أن يهان ويهدرا

ولقد أجاب حسان بن ثابت هذا الشعر على عادته المألوفة.

لم يك سعد ممن شهد بدرا وإن كان حريصا على حضورها وقد
كان قبلها بقليل يجمع قومه لينفروا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.
كما كان بوده أن يشارك في أول معركة بين المسلمين ومشركي أهل
مكة الذين أهانوه أمام الملأ من قريش. غير أنه نهش قبل خروج
المسلمين فلم يسر معهم. وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقه
وعذره وضرب به مثل كمثل من حضر هذه الموقعة الفاصلة (540).

وظل سعد بن عبادة بعد الإسلام متمسكا بكرمه ونخوته. فقد آل
على نفسه أن يبعث كل يوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم بجفنة¹
اشتهر أمرها بين أهل المدينة حتى روى أن الرسول عليه الصلاة والسلام.
كان يقول لرسله إلى بعض مخطوباته «اذكروا لها جفنة سعد». مع أن
النبي عليه الصلاة والسلام لا يحتاج إلى مثل هذا الترغيب وإنما كان
على خلق كريم.

وقد كان سعد يحب المجد والمال ويقول انه لا مجد إلا بفعال ولا
فعال إلا بمال. غير انه لم يرده إلا ليبذله في سبيل مجده وفي سبيل الله
(541). فهو الذي تصدق بحائطه المعروف بالمخراق. وجعل في المسجد
سقاية جارية تصدق بها عن أمه التي توفيت وهو غائب وقد صلى عليها
النبي صلى الله عليه وسلم. بعد موتها بمدة.

(540) فقد روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال لئن كان سعد لم يشهدا فقد كان عليها
حريصا.

(541) الإصابة ج 3 ص 80.

وبعد أن التحق النبي عليه الصلاة والسلام، بالرفيق الأعلى، اجتمع الأنصار في سقيفة بني ساعدة عند سيدهم سعد بن عبادة، ولعلمهم كانوا يرغبون في مبايعته لولا أن وصل الخبر إلي أبي بكر وعمر وجماعة المهاجرين فبادروا إليهم في دار سعد فكانت فيها البيعة لأبي بكر رضوان الله عليه. وكان سعد يومئذ مريضاً ولم يحضر البيعة ولم ينه عنها. وقد أراد أبو بكر أن يحمله عليها كرهاً غير أن بشير بن سعد نصحه بتركه مخافة إثارة الفتنة بين المسلمين. وقبل أبو بكر هذه الخطة لأن سعداً لم يرد هو أيضاً من جانبه أن يشق عصا المسلمين وإن كان في نفسه ما فيها من هذا الأمر.

وفي خلافة عمر بن الخطاب ذهب سعد بن عبادة إلى الشام ومات فجأة في مغتسله بحوران. ويقول بعض كتب السير أن أهل المدينة سمعوا هاتفا من الجن يقول :

نحن قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة
ورميناه بسهمين فلم تخطأ فؤاده (542)

فأخذ بعضهم من ذلك أن الجن قتلته وهو أمر لا تؤيده الرواية الصحيحة ولا يرضاه العقل، وأبعد منه قول أولئك الذين يريدون أن يوهموا أن المسلمين هم الذين قتلوه، لأنه مات في خلافة عمر بن الخطاب وكل الناس يعرفون من هو عمر بن الخطاب، ولقد التقى سعد ابن عبادة بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب. وقال له عمر : «أنا صاحب من أنت صاحبه» يذكره بالعهد الذي بينهما جميعاً مع رسول الله صلى

(542) ابن سعد ج 3 ص 617.

الله عليه وسلم، ثم قال : لك ان ترحل عن جوارنا إذا لم ترض عنه، فذهب سعد بن عبادة إلى الشام. ووافته هناك المنون.

وآل سعد بن عبادة كلهم من خيار المسلمين وقد ذكرنا صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، على أمه عمرة بنت مسعود النجارية، وتعرف بعمره الثالثة.

ومن المبايعات أختاه مندوس بنت عبادة وليلى وهذه الأخيرة هي أم السائب بن خلاد، وزوجته فكيهة بنت عبيد بن دليم وهي أم قيس ابن سعد بن عبادة، وغزية بنت خليفة وهي أم سعيد بن سعد بن عبادة. وهؤلاء الأربع هن من بني ساعدة. وابنه سعيد من حملة الحديث الثقات وقد أدرك النبي عليه الصلاة والسلام، وكانت عنده بثينة بنت أبي الدرداء.

ولبني ساعدة نقيب ثان هو المنذر بن عمرو بن خميس بن لوزان وهو الذي يعنى ضرار بن الخطاب بقوله :
«وكان شفائي لو تداركت منذرا»

وإذا كان منذر هذا أعتق لينجو من قريش بعد العقبة الأخيرة، فإنه أيضا أعتق ليموت يوم بير معونة. فهو الذي كان أميراً على المسلمين في هذه السرية، واشتهر أمره فيها وقد ذكرت تفاصيل هذه الحادثة في معرض الكلام عن حرام بن ملحان النجاري (543).

وقد شهد المنذر بدرا وأحدا، وكان من أكابر الشهداء.
ومن اللواتي بايعن النبي صلى الله عليه وسلم أختاه سلمى بنت عمرو بن خنيس وأختها مندوس أم مسلمة بن مغلد.

(543) ابن هشام عند الحديث عن حادث بير معونة ج 3 ص 184.

ومن بني لوزان بن عبدود بن يزيد بن ثعلبة بن الخزرج بن
ساعة، سماك بن خرشة بن لوزان ذو العصاة الحمراء، كان يجعلها على
جبينه أثناء المعركة ليعرفه الناس وليتعرف الناس على شجاعته ونجدته .
وقد شهد سماك بدرا وأبلى أحسن البلاء، واشتهرت بطالته يوم أحد حين
أخذ سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم بحقه، وبايعه على الموت،
وذهب يجر ثيابه مختالا إلى الوطيس. ويقال ان بعض الحاضرين نفس
عليه اثاره بسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الناس من قال ان
مشيته لا ترضى ربه غير أن الرسول صلى الله عليه وسلم، دافع عن حماه
وقال : «لا في هذا اليوم». وعرف المسلمون ان ذا العصاة يعرف كيف
يختال وكيف يفل جموع المشركين بضربه الصادق المتين. فكان يقاتل
ويرتجز.

أنا الذي عاهدني خليلي بالشعب السفح لدى النحيل
ان لا أكون آخر الافول اضرب بسيف الله والرسول (544)

ويروى أن عليا بن أبي طالب أعطى سيفه لفاطمة وقال لها خذي
هذا السيف غير ذميم. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم، إن كنت
قد أحسنت فقد أسنّه الحارث بن الصمت وأبو دجاجة.

وأبو دجاجة هو سماك بن خرشة وقد اشتهر بكنيته هذه مثل ما
اشتهر بشجاعته، وقد مات شهيدا يوم اليمامة متهللا وجهه عند الموت،
يقول ان رجاءه من الله عظيم لأن قلبه كان مخلصا لله وللمسلمين ولأنه
لم يكن يخوض فيما لا يعنيه.

(544) ابن هشام ج 3 ص 13.

(12) آل الربيع

وبعد آل رواحة تأتي بيت بني الربيع بن عمرو بن أبي زهير بن مالك الأغر. ومن هذا البيت سعد بن الربيع. وهو أحد النقباء الاثنى عشر. شهد بدرًا وأحدًا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. وعرف سعد بن الربيع بالكرم والشجاعة والإخلاص. وهو الذي آخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الرحمن بن عوف. ودعاه سعد إلى منزله وأكرمه ثم أراد أن يشاطره كلما يملك حتى أنه قال ان لي إمرأتين فانظر أيهما أعجبتك أتركها لك. وعف عبد الرحمن عن المال وعن نساء سعد وطلب منه أن يدلّه على السوق. ففعل وربحت تجارة عبد الرحمن (545).

ولقد استشهد سعد بن الربيع يوم أحد ويقول ابن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « رأيت سعد يوم أحد وقد شرع فيه إثنًا عشر سنًا. ولما فقده النبي صلى الله عليه وسلم قال من يأتييني بخبر سعد فقال أبي بن كعب أنا يا رسول الله. ثم ذهب يطوف بين القتلى حتى وجده وقد انفذت مقاتله ولكنه لم يزل حيا فسأل عن الخبر فأبلغه أبي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل عنه فقال له اذهب فاقرئه مني السلام. وقل اني طعنت إثنى عشرة طعنة وان قد انفذت مقاتلي واخبر قومك انه لا عذر لهم عند الله ان قتل رسول الله واحد منهم حي. ودفن سعد بن الربيع مع ابن عمه خارجة ابن زيد بن أبي زهير (546). وأم سعد بن

(545) ابن سعد ج 3 ص 523.

(546) - ابن سعد وابن هشام.

الربيع، من المبايعات وهي هذيلة بنت عمرو بن خريج بن عامر. ومن المبايعات كذلك أخته محبة بنت الربيع زوج أبي الدرداء وابنته جميلة. وروى ابن سعد عن جابر بن عبد الله أن آية الميراث قد نزلت في شأن ابنته، ولم تشتهر منهم غير جميلة أم خارجة بن زيد بن ثابت الذي هو أحد الفقهاء السبعة.

(13) آل زيد بن أبي زهير

وهذا البيت قريب من بيت آل الربيع. وهم أبناء عمومة إذ يجمعهم في النسب أبو زهير بن مالك الأغر. ونجد في هذا البيت خارجة بن زيد وحياته تشبه بكثير حياة سعد بن الربيع. فكلاهما شهد العقبة وبدرا واستشهد يوم أحد بعدما أبلى البلاء الحسن وتلقى عشرات الطعنات وكلاهما كان كريما أيما مخلصا لله ولرسوله.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم، أخى بين خارجة بن زيد وصاحبه أبي بكر الصديق. وتزوج الصديق ابنته حبيبة ابنة خارجة وكانت لها أم كلثوم. وحبيبة وأخوها زيد بن خارجة امهما هذيلة بنت عمرو التي ذكرنا أنها أم سعد بن الربيع. فالثلاثة اخوة لأم.

وزيد بن خارجة هو الذي سمع منه الكلام بعد موته وذلك في خلافة عثمان بن عفان (547).

(547) الاستبصار في بيت الصحابة من الأنصار.

14) آل بشير بن سعد بن خلاص بن زيد بن مالك الاغر

وقد كان بشير من السابقين الأولين في الإسلام حضر العقبة وشهد بدرا وجميع المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد أمره النبي عليه الصلاة والسلام، على سريتين أولهما نحو بني مرة بفدك وقتلهم قتالا شديدا حتى ظن به الموت. والثانية في ثلاثمائة رجل عام سبع من الهجرة. وتوجه إلى جموع غطفان فظفر بهم وقل جموعهم. كما كان أمير السلاح في عمرة القضاء. وواصل بشير جهاده مع المسلمين حتى استشهد في موقعة عين التمر وهو يقاتل تحت راية خالد بن الوليد (548).

وشهد بدرا كذلك أخوه سماك بن سعد.

ولبشير من العقب ابنه النعمان وابنته أبية وهي من المبايعات وامهما عمرة بنت رواحة. وقد سبق ذكرها في آل رواحة.

اما ابنه النعمان فكان من مشاهير الصحابة العلماء وحملة الحديث. فهو الذي روى عنه البخاري حديثه المشهور : «الحلال بين والحرام بين» (الحديث). ولعله الأنصاري الوحيد الذي انحاز إلى معاوية في المشاجرة بينه وبين علي، وقد أعطاه معاوية ولاية الكوفة وقال أهل الكوفة انهم لم يروا خطيبا مثله.

548) ابن سعد ج 3 ص 532.

ولكنه في آخر حياته لم يرض عن معاملة معاوية لقومه. فحين وقع التهاجي بين عبد الرحمن بن الحكم مع عبد الرحمن بن حسان. وأقذع هذا الأخير في هجاء بني أمية طلب يزيد بن معاوية من الأخطل أن يهجو الأنصار ففعل. وقال قبحه الله.

ذهبت قريش بالمكارم كلها واللؤم تحت عمائم الأنصار

فذهب النعمان بن بشير إلى معاوية وحسر عمامته قائلا. هل ترى تحت هذه العمامة من لؤم ؟ فقال معاوية لا أرى إلا كرما. وذكر النعمان لمعاوية ما قاله عبد الراقم الذي هجا الأنصار ضلة. ثم قال انه لن يرضى إلا بقطع لسانه وأن قومه لن ترضيهم الدراهم في هذه الحادثة. وأظهر معاوية رضاه وتقبله لما طلب منه مناصرة الأنصارى. غير أن حيل يزيد ابن معاوية حالت دون إنجاز وعد الخليفة. وبقي للأخطل لسانه الذلق يمدح به بني أمية ويناقض الشعراء.

ولما مات معاوية دعى النعمان لابن الزبير وقتل بعد الضحاك بن قيس في موقعة مرج راهط.

ولعل بنات النعمان أشهر من بنييه وله بنون ومن بناته هند التي كانت تقول وهي عند روح بن زنباع.

فإن انجبت مهرا عريقا فبالحرى وإن يك اقراف فما انجب الفحل وما هند إلا مهرة عريية سليلة افراس تحللها بغل

ولما قتل مصعب بن الزبير زوجة المختار بن أبي عبيد وهي إحدى بنات النعمان بن بشير قال فيها عمر بن أبي ربيعة المخزومي.

ان من أعظم الكبائر عندي قتل حسناء غادة عيطبول

قتلت باطلا على غير ذنب ان لله درها من قتيـل
كتب القتل والقتال علينا وعلى الغايات جر الذيول
ومن أولاد النعمان بن بشير يزيد وإبراهيم. وهذا الأخير هو الذي
زوج ابنته من يحيى بن أبي حفصة جد مروان الشاعر ومولى عثمان بن
عفان لأنه بذل له عشرين ألف درهم. وقد ضج قومه مما صنع وعابوه
بالنشر والشعر. ومما قالوا له :

لعمري لقد حللت نفسك خزية وخالفت فعل الأكثرين الأكارم
ولو كان جداك اللذان تتابعا بيدر لما راما صنيع إلا لائم
واعتذر إبراهيم بن النعمان اعتذار من استولى الطمع على نفسه
فقال :

وما تركت عشرون ألفا لقائل مقالا فلا تحفل ملامة لائم
وان كنت قد زوجت مولى فقدأت به سنة قبلي وحب الدراهم

وان كانت هذه الرواية صحيحة. وقد رواها ابن عبد ربه في العقد
فإنها تدل على الفرق الشاسع بين إبراهيم ووالده النعمان بن بشير. وقد
عرفنا نخوته وأبائه واعتزازه بنفسه فلقد خالف قومه من الأنصار وانضم
إلى شيعة معاوية للصدقة التي بينهما بيد أنه لما استبيح حمى قومه
الاباة. حسر عمامته امام معاوية وملأ اذنيه بالحق. وها هي أبياته التي
هدد بها الخليفة الأموي. وأعرب له فيها عن نخوته وانتصاره لذويه
واحتقاره للدراهم التي أحبها ابنه إبراهيم.

معاوية الا تعطنا الحق تفترق لحي الأسد مشدودا عليها العمائم
أيشتمنا عبد الأراقم ضلة وهذا الذي تجدى عليك الأراقم
فمالي ثأر دون قطع لسانه فدونك من ترضيه عنك الدراهم

15) بيت بني خدره : واسمه الابجر بن عوف بن الحارث

من أهل هذا البيت عبد الله بن الربيع بن قيس بن عامر بن عباد ابن الأبجر. وهو من الذين سبق إسلامهم. فإنه قد حضر العقبة الأخيرة وشهد بدرا وأحدا. ومنهم مالك بن سنان بن عبيد بن ثعلبة بن الأبجر. قتل يوم أحد شهيدا ولما أصيب النبي عليه الصلاة والسلام استقبله مالك ابن سنان فمض دمه وازدرده. (549) وقد روى عن موسى بن محمد الأنصاري عن أمه أم سعد بنت مسعود بن حمزة بن أبي سعيد أنها سمعت أم عبد الرحمن بنت أبي سعيد تحدث عن أبيها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أراد أن ينظر إلى من خالط دمه دمي فلينظر إلى مالك بن سنان.

واشتهرت ابنته الفريعة وهي من نساء الأنصار اللواتي بايعن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد روت عنه حديثا مشهورا في إقامة المعتدة. فقد روت انها جاءته وأخبرته بأن زوجها قد قتل وانها تريد أن تنتقل إلى أهلها. فاذن لها أولا ثم لما أرادت الانصراف أمرها أن تعيد حديثها لكنها لما أكملته قال لها أن تقيم في بيت زوجها حتى يبلغ الكتاب أجله. وقضى عثمان بن عفان بمقتضى ما روته الفريعة (550).

(549) أخرجه الطبراني في الكبير
(550) أخرجه مالك وأصحاب السنن

ولمالك بن سنان ابن من أفاضل الصحابة وعلمائهم وهو سعد بن مالك المشهور بأبي سعيد الخدري. وكان من الذين استصفروا يوم أحد لأنه لم يبلغ الخامسة عشر آنذاك ولما استشهد أبوه يوم أحد أتى النبي صلى الله عليه وسلم، لأن أباه لم يترك شيئاً. فواسه الرسول صلى الله عليه وسلم، ونصحه وقال له من يستغن يغنه الله. ومن يستعفف يعفه الله ومن يتصبر يصبره الله. (551) ورضى أبو سعيد بهذه النصيحة الخالدة. وبائع رسوله على أن لا تأخذه في الله لومة لائم.

وهو من الذين حملوا عن النبي صلى الله عليه وسلم العلم والحديث وروى حديث «لا يمتنع أحدكم مخافة الناس أن يتكلم بالحق إذ رآه أو علمه» (552) ويقول أبو سعيد إن ذلك حمله إلى معاوية فملاً أذنيه بالحق ثم رجع.

وبقى أبو سعيد الخدري في المدينة، وامتدت به الأيام وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم، كثيراً من الأحاديث. وروى عنه ثقات الرواة. وقد سلم من بطش أهل الحرة بالمدينة لما عرفوه مهابة لشيخوخته وعلمه.

وقد خلف عدة أولاد منهم عبد الرحمن بن أبي سعيد وهو كثير الحديث غير أن أهل الحديث استضعفوه فلم يعتبروا جل ما روى عن أبيه. ولعبد الرحمن أخوة منهم حمزة بن أبي سعيد. ومن نساء بني خدرة المبايعات للنبي صلى الله عليه وسلم، سعاد بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن خدرة وهي أم أسعد بن زرارة. وكذلك أختها كبشة التي هي أم سعد ابن معاذ.

(551) مالك والبخاري ومسلم الترغيب والترهيب ج 2 ص 140.

(552) رواه ابن ماجه الجامع الصغير ج 2 ص 505.

ومن دار بني الحارث بن الخزرج عويمير بن زيد المعروف بأبي الدرداء سبق إسلامه وإن كان من آخر قومه إسلاما. ولما رأى ابن خالته عبد الله بن رواحة أنه لم يبادر إلى الإسلام والتخلي عن الأصنام، وافاه وكسر أصنامهم وصار يخاطبه بقوله :

تبرأ من أسماء الشياطين كلها الأكل ما يرعى مع الله باطل
فأسلم أبو الدرداء وحسن إسلامه. ولعله لم يرض عن تأخره في
الركب فأراد أن يجد السير في دينه الجديد فانقطع عن تجارته، وتخلي
عن كل ما كان يشينه من متاع الحياة وانقطع للعبادة.
وكان صديقه وأخوه سلمان الفارسي ينصحه في اعراضه عن الدنيا
بقوله : ان لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا (553).

وكان أبو الدرداء من الذين يحدثون عن النبي صلى الله عليه
وسلم، ويتخرج من أن لا ينطق باللفظ الذي صدر عن النبي عليه الصلاة
والسلام فكان يقول إذا حدث بالحديث «ان لم يكن هكذا فشبهه».
ولعله كان مؤذنا لأهل الشام ثم انتقل إلى القضاء فقد روى عنه
قوله لما عين قاضيا في دمشق «ان القاضي على مهواه مزلتها أبعد من
عدن أبين. ولو علم الناس ما في القضاء لا بتعدوا عنه ولو علموا ما في
الاذان لرغبوا فيه».

وأبو الدرداء كان أيضا كما ذكرنا من أهل العبادة وأهل الزهد .
فلقد كان يقول : تفكر ساعة خير من قيام ليلة، ويقول أحب الفقر
تواضعا لربي ، وأحب الموت اشتياقا إلى ربي، وأحب المرض تكفيرا
لخطيئتي.

(553) البخاري والترمذي جمع الفوائد ج 1 ص 19.

غير أن العبادة المتواصلة والتفكير والاعتبار فهما خلوة الله لم تمنع أبا الدرداء من أن يكون من فرسان الجهاد. فقد روى ابن سعد أنه أثار إعجاب رسول الله صلى الله عليه وسلم. يوم قال : «نعم الفارس عويمير غير آفة» (554) (أي غير ثقیل). وقد ظل أبو الدرداء خفيفا إلى الجهاد ثقيلًا على أعداء الإسلام وشارك في فتوح الشام تحت إمرة يزيد بن أبي سفيان ثم استوطن دمشق وصار فيها قاضيا بين المسلمين حتى توفي سنة إحدى وثلاثين (555).

قبل أن ننهي الكلام عن الحارث بن الخزرج نقف عند خبيب بن يساف الذي عرف بنجدته وشجاعته وقد أراد أن يشارك مع المسلمين في بدر الكبرى من قبل أن يسلم غير أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له فيما رواه ابن سعد عن خبيب بن عبد الرحمن بن خبيب أنا لا نستعين بالمشرکین على المشرکین.

ولكن الله أراد الخير بخبيب فأسلم والتحق بجيش المسلمين وقاتل معهم فكان من أهل بدر الذين فازوا بالمغفرة والرضوان.

ويروى عن خبيب هذا أنه قال : «فقتلت رجلا فضر بني ضربة ثم تزوجت ابنته بعد فكانت تقول لي لا عدمت رجلا وشحك هذا الوشاح فأقول لها لا عدمت رجلا عجل اباك إلى النار» (556).

ولم نعرف من أولاده من كانت أمه من بنات مشرکي قريش. فابنه عبد الرحمن من أم ولد. وهو أبو خبيب الذي كان من ثقات أهل الحديث. وله ابن آخر اسمه أبو كثير وأمه جميلة بنت عبد الله بن أبي ابن سلول.

(554) الإصابة ج 4 ص 748.

(555) راجع الاستبصار ص 125.

(556) ابن سعد ج 3 ص 535.

أما ابنته انيسة فأمها زينب بنت قيس بن شماس ولعل خير من
نختم به الكلام عن بني الحارث بن الخزرج هو عبد الله بن زيد بن
عبد ربه بن زيد بن الحارث وهو من الذين شهدوا العقبة وبدرا وجميع
المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهو الذي رأى الاذان في المنام فقص رؤياه على رسول الله صلى
الله عليه وسلم، فاقراها وصارت سنة المسلمين (557).

(557) الشيخان وأبو داود والترمذي والنسائي جمع الفوائد ج 1 ص 64.

(16) ال قيس بن شماس

وشماس هو ابن زهير بن مالك بن امرؤ القيس بن مالك الأغر. وأول من تتكلم عنه من أهل هذا البيت. هو ثابت بن قيس صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخطيبه في المحافل. ونريد أن ننبه إلى أن في الأنصار رجلين كلاهما اسمه ثابت بن قيس وكلاهما كان من أخيار الصحابة، واحدهما ابن قيس بن الخطيم أبوه كان شاعرا مشهورا. وهو كان من القلة الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، وكان يقاتل بين يديه حاسرا لا ترس له وكان الرسول عليه الصلاة والسلام، يقول له أقبل يا حاسر وأدبر يا حاسر (558) وثابت هذا شهد جميع المشاهد مع النبي صلى الله عليه وسلم، واستعمله علي بن أبي طالب على المدائن.

اما ثابت بن قيس بن شماس فهو الذي نعني هنا. فهو الذي خطب امام رسول الله صلى الله عليه وسلم، يوم مقدمه المدينة قائلا : انا نمنعك مما نمنع منه أنفسنا وأولادنا. واشتهرت أيضا خطبته امام وفد بني تميم التي قال فيها :

الحمد لله الذي خلق السموات والأرض خلقه. قضى فيهن أمره. ووسع كرسيه علمه، ولم يك شيئا قط إلا من فضله. ثم كان من قدرته ان جعلنا ملوكا. واصطفى من خير خلقه رسولا، أكرمه نسبا وأصدقه حديثا.

(558) الإصابة ج 1 ص 196.

وأفضله حسبا. فأنزل الله عليه كتابه وأئتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان فأمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوي رحمه. أكرم الناس حسبا وأحسن الناس وجوها وخير الناس فعلا. ثم كان أول الخلق إجابة نحن أنصار الله ووزراء رسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله، فمن آمن بالله ورسوله منع ماله ودمه، ومن كفر نهجره في الله أبدا وكان قتله علينا يسيرا.

أقول هذا وأستغفر الله لي وللمؤمنين والمؤمنات.

هذه إحدى خطب ثابت التي كان ينصر بها دينه ورسوله ويروى انه لما نزل قوله تعالى : «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض فتحيط أعمالكم وأنتم لا تشعرون»، حزن قيس ولازم بيته ولما كلمه قومه في ذلك قال اني قد هلكت فلقد كنت أرفع صوتي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، واجهر له كما أجهر لكم. ولما علم النبي عليه الصلاة والسلام، بعث إليه أن ياتيه وبشره بالجنة وبأن الله لن يحبط ماله من عمل وفضل (559).

ومكث ثابت بعد النبي صلى الله عليه وسلم، حتى يوم اليمامة، فكان من الذين بذلوا أنفسهم وحياتهم في سبيل إعلاء كلمة الحق، حتى رزق الشهادة. وقد نفذ أبو بكر الصديق وصيته التي أوصى بها بعد شهادته، حيث أنه رآه أحد المسلمين في المنام فذكر له ما عليه من دين يجب أن يقضى عنه وأخبره بمن أخذ درعه التي كانت عليه في المعركة (560).

(559) أخرجه الشيخان جمع الفوائد ج 2 ص 226.

(560) المستدرک ج 3 ص 235.

أما أم قيس بن ثابت فقد سبق ذكرها في النساء المبايعات لأنها
أيضا أم عبد الله بن رواحة كبشة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة. ومن
المبايعات كذلك اخواته عمرة بنت رواحة، وزينب بنت قيس وأختها أم
ثابت.

17) وفي كل دار الأنصار خير

«وفي كل دار الأنصار خير» (561). هذه هي تكملة الحديث الذي كان كله ثناء وتنويها بالأنصار. لقد كانت هذه الجملة الأخيرة عبارة شاملة عن تقدير شامل، ولم يفت رواة الحديث أن يذكروا أن الرسول حينما فاه بهذه العبارة الأخيرة، أمسك أصابعه ورمى بها، ليؤكد بيده ما قاله بلسانه، هذا ما قاله الرسول وصدق رسول الله. ففي كل دور الأنصار خير.

ولقد تحدثنا بشيء من التفصيل عن الدور التي ذكرها رسول الله بالتفصيل والترتيب، وسنتحدث عنهم بإيجاز واجمال.
وما دمنا في دور الخزرج، فنذكر من بني عمرو ابن الخزرج، بيت بني سالم، ومن أهل هذا البيت عتبان بن مالك الذي كان النبي يزور داره، ويجلس عنده على حصير قد أسود من طول ما لبس، ويلتمس عتبان من النبي الكريم أن لا يفادر بيته حتى يصلي فيه، ويستجيب الرسول لطلب عتبان، ويرش حصيره المسود بالماء ويصلي عليه ويدعو لأهل عتبان بالخير والبركة (562).

ونذكر من بني سالم بن عمرو بن عوف، أنصاريا ثاني إثنين فريدين من نوعهما وهما العباس بن عباد بن نضلة لقد كان العباس هذا

(561) رواه الشيخان جمع الفوائد ج 2 ص 237.

(562) أخرجه الستة إلا الترمذي تيسير الوصول ج 2 ص 267.

من المهاجرين والأنصار. ولقد هاجر إلى مكة حين أسلم، وعاد إلى المدينة فجمع بين حسنات الهجرة وحسنات نصره الرسول.

ومن بني غنم بن عوف بن عمرو بن عوف، وغنم هو المشهور بقوئل.

ويكفي هذا البيت فخراً أن منهم عبادة بن الصامت، وهو من النقباء الذين أشار إليهم جبريل في العقبة، وارتضاهم الرسول، ورضى بهم قومهم.

وإذا ما مررنا على بني سالم بن غنم بن عوف، (وهو المشهور الحبلي). فإننا سوف نعبر عما نكنه من تقدير وإجلال، لموقف صحابي جليل من هذا البيت. هذا الصحابي هو عبد الله بن عبد الله بن أبي. لقد كان والده رأس المنافقين في المدينة، وكان لا يدع فرصة تمر إلا وحاول أن يمس الرسول بسوء.

لقد كانت مواقف ابن أبي المنافق معروفة، غير أن ابنه لم يتبرأ منه فحسب، وإنما قال للرسول : «دعني أضرب عنقه» (563) ويعرف صدق عبد الله بن أبي وإخلاصه، فيزداد إعجابه واشفاقه عليه، وتبلغ به الرأفة، أن يصلي على والده بعد موته، وينزل الوحي بأمر من الله إلى الرسول أن لا يصلي أبداً على أحد من المنافقين . كل هذه المواقف تخبرنا بما يكنه الرسول لعبد الله بن عبد بن أبي، الذي ارتضاه الأنصار. أن ينزل في قبر الرسول عليه الصلاة والسلام. وهي ميزة تدل على ماله من فضل وخير. من هذا البيت يزيد بن وداعة، ورفاعة بن عمرو وهما من رجال العقبة وأبطال بدر الكبرى.

563، أخرجه الشيخان والترمذي جمع الفوائد ج 2 ص 116.

ثم ننتقل إلى بيتين متجاورين في ظل العز والكرامة. وهما بيت بني بياضة لنشير أن من بينهم زياد بن لبيد وفروة ابن عمه. وهما أهل سابقة في النصر والإسلام. ومنهم النعمان بن دخيلة الذي حمل راية المسلمين يوم أحد... أما إخوانهم من بني زريق، فقد اشتهروا بمسجدهم الذي كان خاصا بهم في المدينة. كما اشتهروا برجال من علية الصحابة، منهم أبو رافع بن زيد الذي قيل أنه أول من أسلم من الأنصار، وذكروا أن ابن عبد قيس الذي بايع في العقبة، شهد بدرا واستشهد في أحد.

وإذا مررنا ببيوت بني سلمة، فإننا لن نرى إلا خيرا وكرما وشجاعة. كان الرسول يحب أهل هذا البيت، ويأمرهم أن لا يتوانوا عن الصلاة في مسجده ولو كان بعيدا منهم، ويقول لهم أن يحتسبوا بخطاهم. (564) وكان بنو سلمة حريصين على امتثال نصائح الرسول. وليس بغريب عليهم، ذلك إذا عرفنا أن من بينهم ثابت بن الجذع وعيسى بن عامر وهما من الذين بايعوا في العقبة، وجاهدوا في بدر. وإن منهم نقيب عبد الله بن حرام، وهو من شهداء أحد. ولقد حمد الرسول صحبته، وحفظ عهده، وعطف على ابنه جابر، فبارك له في حائطه حتى قضى ديون والده دون أن ينقص من بيادره شيئا. واشترى منه بغيره (565) بثمان مبيع، ومازحه في معرض الحديث عن زواجه، (566) وكان جابر من علماء الصحابة الذين نشروا حديث الرسول وتعاليمه.

أما النقيب الثاني فهو البراء بن معرور، ولقد أشبه عبد الله بن حرام في موته وحياته، مثل ما أشبه ابنه بشر جابرا بن عبد الله. إن

(564) الشيخان جمع الفوائد ج 1 ص 89.

(565) أخرجه الستة إلا مالكا جمع الفوائد ج 1 ص 246.

(566) أخرجه الستة إلا مالكا جمع الفوائد ج 1 ص 216.

بشرا كان من المقربين من الرسول، ومن ملازميه في الحضر والسفر. وتشاء الأقدار أن يأكل معه من الشاة المسمومة في خيبر. (567) ويموت بشر شهيدا ولم تنزل أكلة خيبر تعاذ رسول الله حتى قطع منه ابهره (568).

ومن هذا البيت أحد فرسان رسول الله المعروفين بالشجاعة والشهامة، وهو أبو قتادة بن ربعي، الذي أسلم عن حب وإيمان، وجاهد بقوة وإخلاص.

ونختم القول عن بني سلمة بذكر ابني غفراء، وهما معاذ معوذ ابنا عمرو بن الجموح اللذان عرفناهم في بدر، يتوقدان حماسا لنصرة الإسلام، واستماتة في القضاء على أعداء الإسلام. وكان لهما ما أرادا حيث أنهما أستطاعا أن يكفي المسلمين شر أبي جهل وكيده.

ثم نعود إلى قباء، بين ديار بني عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس، لنرى ما فيها من فضل وخير. نبداً بدار كلثوم بن الهمد التي نزل فيها النبي عليه السلام، وتقف في ديار بني ضبيعة، تكريما لحمى الدبر عاصم بن الأقلح. ان عاصما أهل لهذه المعجزة، لقد عرف المسلمون جهاده وبطولته يوم أحد. حينما كان سيفه يورد المشركين حياض الموت. وكلما سقط أحد من الكفار تحت حده يقول : خذها وأنا ابن الأقلح.

كان عاصم في سرية الرجيع مع رفاقه. واستعصم من المشركين بسيفه حيا، ولما مات وحاول أعداؤه التمثيل به هاجمهم النحل من دونه

(567) أخرجه الحاكم في المستدرک ج 3 ص 220.

(568) البخاري جمع الفوائد ج 1 ص 126.

فلم يستطيعوا إليه سبيلا. (569) ومن أهل هذا البيت حنظلة الفسيل. وهو الذي استشهد وهو جنب ورأى الرسول الملائكة تفسله وتطهره (570) وكان أبنائه سادة مشهورون واشتهدوا في الدفاع عن حوزة مدينة الرسول يوم الحرة حينما انتهكت جيوش يزيد بن معاوية حرمة طيبة.

ومن بني أمية بن مالك بن عوف، أبو لبابة بن عبد المنذر. الذي اعترف بذنبه في حق الرسول حينما أشار إلى اليهود أن النبي سيوقع بهم، وندم أبو لبابة على ما ارتكب وربط نفسه في سارية من مسجد الرسول لا تزال تحمل اسمه إلى اليوم. وبقي في محبسه حتى تاب الله عليه وعفا عنه، والله عفو غفور.

ومن بني ثعلبة بن عمرو بن عوف. عبد الله بن جبير أمير لرماة يوم أحد، وأخوه خوات صاحب ذات النحيين وعمهما الحارث بن النعمان من شهداء أحد. ولنذكر من بني حنشل بن عوف بن عمرو بن عوف ابني حنيف وسهل وعثمان ومواقفهما الحميدة في صدر الإسلام، وما قام به من نصرة الرسول ونصرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. هؤلاء هم الأنصار - بيوت العز والشرف، وعيبة الرسول وكرشه -

لقد قال الرسول عنهم : الأنصار شعار والناس دثار. (571) أجل، انهم القوم الأول، بايعوا على قتال الأحمر والأبيض لتكون كلمة الله هي العليا. وهم الأولى وفوا بما عاهدوا عليه الله وما بدلوا تبديلا. أووا الرسول وعززوه ونصروه، ودخلوا في الإسلام مخلصين. وجاهدوا في سبيله شجمانا مستميتين.

(569) أخرجه البخاري وأبو داود جمع الفوائد ج 2 ص 49.

(570) أخرجه الحاكم المستدرك ج 3 ص 204.

(571) أخرجه في مسند الفردوس الجامع الصغير ج 3 ص 486

واستقبلوا المهاجرين بحب وترحاب، وآثروا على أنفسهم
وشاطروهم دورهم وأموالهم وظلوا مثاليين في الكرم والوفاء.

وعرف لهم الرسول عليه الصلاة والسلام، ما أسدوه من مال وأنفس.
وعرف أنهم سيمودون قليلا (572) (والكرام قليل) وسيكثر غيرهم. وأن
الناس سيتقاولون عليهم، فكان آخر خطبة خطبها في المسجد، في مرضه
الذي توفي به تدور حول مستقبل الأنصار. لقد عصب رأسه بعصابة
حمراء، ليخفف عنه آلام الصداع، وليتحدث إلى المسلمين لآخر مرة،
وليقل لهم.

انه يوصي المسلمين بالأنصار، مشيرا بذلك إلى أمته أن تحفظ
للأنصار حقوقهم، ولتعرف فضلهم ومكانتهم، وأكد أنه لا يحبهم إلا مؤمن،
ولا يفيضهم إلا منافق، وإن آية الإيمان حب الأنصار. (573) ثم دعى
ربه مبتهلا : اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار.

آمين والحمد لله رب العالمين.

(572) أخرجه البخاري جمع الفوائد ج 2 ص 237.
(573) أخرجه الشيخان والترمذي والنسائي جمع الفوائد ج 2 ص 236.

المراجع

- صحيح مسلم
صحيح البخاري
سنن أبي داود
جمع الفوائد
مجمع الزوائد
المستدرک للحاکم
تيسير الوصول
الجامع الصغير
الإصابة
الاستيعاب
أسد الغاية
طبقات ابن سعد
الاستبصار
الدرر في اختصار المغازي والسير لابن عبد البر
الاكتفا في تاريخ الرسول والثلاثة الخلفاء للكلاعي مخطوط
الروض الانف للسهيلي
البداية والنهاية لابن كثير
سيرة بن كثير
شرح المواهب الدنية
السيرة الحلية
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن
العقد الفريد لابن عبد ربه
الأغاني مطبعة التقدم بمصر
مروج الذهب للمسعودي
وفيات الأعيان لابن خلكان
تاريخ الخلفاء للسيوطي
الترغيب والترهيب
- مطبعة مصر سنة 1290م
مطبعة مصر سنة 1296م
دار احياء السنة النبوية
المطبعة الخيرية ببلدة برية في الهند
دار الكتاب بيروت لبنان 1967م
دار الفكر بيروت 1398 هـ
دار المعرفة للطباعة والنشر
دار احياء الكتب العربية
مطبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر
مصطفى محمد بمصر
طبعة طهران
دار صادر للطباعة 1957م
- دار المعرفة للطباعة 1973م
المكتبة الإسلامية بيروت
دار مطابع الشعب
مطبعة دار الاستقامة بالقاهرة 1953م
طبعة مصر 1960م.

الفهرس

1	 مقدمة
2	 رسول الهجرة
13	 في بيوتات النبي
13	 في بيت خديجة
19	 في بيت سودة
22	 في بيت عائشة
35	 في بيت حفصة
39	 في بيت أم سلمة
44	 في بيت زينب بنت جحش
47	 في بيت أم حبيبة بنت أبي سفيان
51	 في بيت زينب بنت خزيمة
53	 في بيت جويرية
58	 في بيت صفية بنت حيى
65	 في بيت ميمونة
67	 خاتمة
70	 المهاجرون الأولون
72	 المهاجرون الأولون بنو هاشم وبنو المطلب

73	 علي ابن أبي طالب
79	 حمزة بن عبد المطلب
83	 جعفر ابن أبي طالب
86	 العباس بن عبد المطلب : خاتم المهاجرين
92	 مهاجرو بني تيم بن مرة
92	 أبو بكر ابن قحافة
100	 طلحة بن عبيد الله
106	 بنو عدى
116	 المهاجرون من بني عبد شمس وبني نوفل
122	 أبو حذيفة
125	 المهاجرون الأولون من بني زهرة
128	 سعد بن أبي وقاص
131	 عبد الله بن مسعود
134	 المهاجرون من بني أسد بن عبد العزى
138	 بنو عبد الدار
141	 المهاجرون من بني مخزوم
142	 الأرقم بن أبي الأرقم بن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم
146	 المهاجرون من بني جمح
149	 المهاجرون من بني سهم بن عمرو بن هصيص
151	 المهاجرون الأولون من بني عامر بن لؤى
153	 المهاجرون من بني الحارث بن قصى

156	 خاتمة : مدلول الهجرة
158	 دور الأنصار
164	 مجد الأنصار
169	 بنو النجار (بن ثعلبة بن عمرو بن الخزرج)
174	 بنو عمرو بن مالك بن النجار
181	 بنو عامر بن مالك بن النجار (المشهورون ببني مذبول)
182	 بنو عدي بن النجار
190	 بيت بني مازن ابن النجار
193	 بنو دينار بن النجار
194	 بنو عبد الأشهل
204	 بنو الحارث بن الخزرج
208	 بنو ساعدة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج
213	 آل الربيع
215	 آل زيد بن أبي زهير
216	 آل بشير بن سعد بن خلاص بن زيد بن مالك الأغر
219	 بيت بني خدرة : واسمه الأبحر بن عوف بن الحارث
224	 آل قيس بن شماس
227	 وفي كل دور الأنصار خير
233	 المراجع

رقم الإيداع القانوني لدى الخزنة العامة بالرباط

1982 / 597

مطبعة فضالة - المحمدية (المغرب)

